
شد
الرحال إلى الله
شريف محمد شحاتة
دار البشير
للثقافة والعلوم

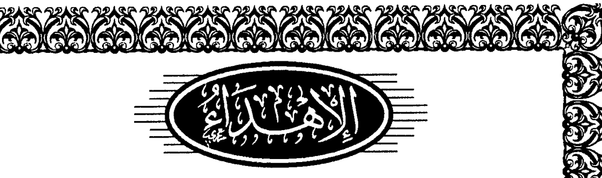
دار البشير للثقافة والعلوم

إسم الكتـــاب : شد الرحال إلى الله.
التـــأليـف : شريف محمد شحاته
الصف التصويرى : الندى للتجهيزات الفنية .
عدد الصفحات : 216 صفحة .
قياس الصفحة : 17 × 24
التوزيع والنشر : دار البشير للثقافة والعلوم .
طنطا - 23 ش الجيش عمارة الشرق للتأمين
تليفاكس3305538/ تليفون 040/3316316
Dar elbasheer@hotmail.com
تصميم الغلاف : الفنان عطية الزهيرى والفنان سيد عبد العزيز

الإيداع القانونى : 2005/13836
الترقيم الدولى : I. S. B. N. 977 - 278 - 286 - 3

1426 هـ
2005 م





في جوٍّ غاصٍ بالملذات .. وغيمت عليه الشهوات .. يخيم على القلب الظلام .. وتهطل عيون الاعتذار بالأمطار.. قلوبكم تبكي من أعمالكم .. حلاوة الدنيا تحت ألسنتكم .. تاهت في دروب المال والجاه عقولكم .. وأهملتم العمل تحت أقدامكم..

وتنساب آهة رقيقة حزينة :

وا سوأتاه .. وا غفلتاه .. وا شباباه..

وإذ بحادي الإغاثة :

عبدي لا تقنط من رحمتي فإنك إن كنت بالغدر موصوفاً فأنا بالجود معروف ، وإن كنت ذا خطايا فأنا ذو عطايا، وإن كنت ذا جفاء فأنا ذو وفاء ، وإن كنت ذا إساءة فأنا ذو أناة ، وإن كنت ذا غفلة وسهوة فأنا ذو عفو ورحمة، وإن كنت ذا خشية وإنابة فأنا ذو قبول وإجابة

ويبعث برسالة :

إلى من دماء قلبه نازفة وأغصان جرحه وارفة .. إلى من ضيعته حيرته ..
إلى من تاه وسط طرق الهوى وضل الطريق فغوى .. إلى من تساقط العرق من جبينه ..
إلى كل العيون الحائرة التي تطلع لآفاق الغفران ووميض الإحسان ..
إلى من رقت صفحات قلبه واستشرف طريق الله ورسوله ﷺ ..

فدعونا..

ننفخ في صور المواعظ لندب أرواح الهدى وتنشق قبور الغفلة وتتمخض الرحم مؤذناً بميلاد قلب جديد .. نلقي عليه قميص يوسف حتى يرتد بصيراً. ونعطيه عصا موسى يتوكأ عليها.. ونهديه استغفار يونس علّه ينجو من براثن الفتنة .. ونمسه بيد عيسى عساه يشفى .. ونستعين بالخليل إبراهيم كي يقنع ويتوكل ويسبح ربًّا هادياً ونصيراً .. ونغمسه في جعبة محمد ﷺ حتى يأنس بعد وحشة .. ويعز بعد ذل .. ويهتدي بعد ضلال .. ويبصر بعد عمى .. وينجو بعد هلاك ..

هذه يد نجاة تمتد إليك فلا تردها وصوت حنون يناديك فلا تخذله ....

الحق بركبنا .. لا تلهك الآمال .. الزاد قليل .. والطريق طويل .. والعمر قصير ..

فلنشد رحالنا إلى الله .. هيا بنا إذاً !!..

شريف ..



وسام شكر وتقدير

يقول (ﷺ)

«لا يشكر الله من لا يشكر الناس» صحيح

ومن هذا المنطلق لم أجد بدا أن أذهب إليهم وأطرق أبوابهم لأبثهم شكرى

إلى روح والدتى الحبيبة التى غمرتنى حنانا لو ُسكب على أهل الأرض لوسعهم وثبتت خطاى على طريق الإلتزام و**إلى روح والدى الغالى** .. رحمهم الله .. وأفسح لهم فى قبورهم .. وصعد أرواحهم فى أعلى عليين فى جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا ..

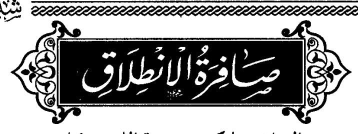
* إلى إخوتى وأقاربى وأحباب قلبى ..
* إلى رفقاء الدرب فى طريق الدعوة
* إلى من يعرفونى أو لايعرفونى .. إلى من يحبونى أو لايحبونى
* إلى من علمنى حرفا .. أو أهدانى نصحا .. أو دعا لى بظهر الغيب .. فكان على أثرها توفيق الله ..

ألقيها إليكم من كل قلبى .. **جزاكم الله خيرا** ..

أساله سبحانه كما جمعنا فى الدنيا على طاعته أن يجمعنا فى الآخرة فى مستقر رحمته مع الأحبة محمدًا وصحبه ..

وأتوسل إليه أن يجعله عملاً صالحاً ولوجهه خالصًا ولا يجعل لأحد فيه شىء.

والله من وراء القصد ،..



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله فاطر السماوات عالم الخفيات رفيع الدرجات . . اللهم لولاك ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا . . فأنزل اللهم سكينةً علينا تهدى بها قلوبنا وتشرح بها صدورنا وتزكى بها نفوسنا وتُحسنَ بها أخلاقنا وتُصلحَ بها أحوالنا . . وأصلى على الحبيب ﷺ عدد الرمال والذرات وعدَد النجوم والمجرات وعدد الأحياء والأموات . . وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . . صلوا عليه وسلموا تسليمًا . .

أما قبـــل

فيا أحباب رسول الله :

ما أن لاحت لى فكرة هذا الكتاب حتى أخذت فى ترداد النظر فيما تشهده القلوب من حوادث الدنيا التى ليست إلا فصلاً ضئيلاً من رواية طويلة الفصول ضاربة فى أغوار الآخرة القريبة فيجثم على الصدور الخناق بذكر الآخرة والإقبال عليها ، مختبئين تحت ستار سكرة الشهوة وحصد المال والشهرة . . وإذا رفعت الستار ذهلت عيونهم بروعة المفاجأة أن المشاهد كثيرة بعد أن حسبوا أن الرواية كلها هى الفصل الواحد الذى كانوا يعيشون فى ظلاله . . فإذ بالحياة عذاب واصب ونكد حاضر وشقاء لازم . . **مساكين هم أصحاب تلك القلوب** . .

ولأن ظلمات الغفلة حجبت القلوب وشهوات الأنعام طوعت النفوس . . فأصبح القلب الربانى عملة نادرة يصارع المرأة السافرة والشاشة الهابطة والكلمة السافلة والمجلة الخليعة والأغنية الماجنة . . كلها تناديه «**هيت لك** » وجليس السوء وداعية الفساد كل ينادى ويذلل له السبل فيأبى إلا أن يرسخ مبدأه « **معاذ الله** » فكان جزاؤه عوضاً أغلى ومنزلاً أعلى وعطاءًا أحلى . . فإذا به إخلاص لا يشوبه رياء . . وزهد لا يكدره طمع . . وصدق لا يشوهه كذب وعزيمة لا يوهنها ترخص وعفة لا يلوثها رذيلة . . وصبر على استهزاء التائهين لا يلين . . وإلا فالانخراط فى بوتقة الفساد هو الحل !! .

وتمعنت بأم عينى تصريح الحبيب ﷺ « **تعرض الفتن على القلوب كعرض الحصير عودا عودا فأى قلبُ أشربها نُكت فيه نكته سوداء وأى قلب أنكرها نكت فيه نكتة بيضاء حتى تعود القلوب على قلبين : قلب أسود مربادًا (يعلوه السواد) كالكوز مجخيًا (مقلوبًا) لا يعرف معروفاً ولا**

يُنكر منكراً إلا ما أُشرب هواه وقلب أبيض لا تضره فتنة مادامت السماوات والأرض » رواه مسلم . .
فأدركت أن الحياة حياة القلوب وإلا فكبر ثلاثًا واقرأ على روحك الفاتحة . .

وأرض الواقع تشهد : فترى الأب انشغل بتوفير الأموال . . وضاعت الأم فى أعباء المنزل . . وانهمك الشاب وراء قوته . . واشتبكت الفتاة مع الموضة وفارس الأحلام الكثير المال . . فتاه الأب عن دوره وأهملت الأم التربية . . وانتحرت أهداف الشباب فأحلت المشاكل واستشرى الضياع . .

فهذا الكتاب .. شد الرحال إلى الله

صيحة تناديكم إلى القمم . . استفقيوا إلى غايتكم . . وتقول لك لا تقف مكانك هل وقفت الشمس مكانها ؟! هل ثبت القمر فى موضعه ؟! هل سكنت الريح ؟! الكل فى حركة والكل فى سباق . .

هِمَمُ الأحْرَارِ تُحْيِي الرِّمَمَا وَنَفْخَةُ الأبْرَارِ تُحْيِي الأُمَمَا

ولأن الجنة انتظرتك الكثير وقبل أن تسهو صاحبى . . فاحضر قلبك لحظة للعظة وتحرك لقطار التذكرة . . سار الصالحون ورجعت ووصلوا وانقطعت وذهبوا وبقيت . . وتفقد كلمات رددها **الإمام الغزالى** فأسداها لك « **مالى بضاعة إلا العمر ومتى فنى عمرى فقد فنى رأس مالى وهذا اليوم الجديد قد أمهلنى الله فيه وأنسانى أجلى وأنعم على به ولو توفانى لكنت أتمنى أن يرجعنى إلى الدنيا يومًا واحدًا** »(1).

وها هو الله أمهلك . .

أخى .. أختاه :

الأرباح كثيرة والحياة قصيرة ألا فانتهب نثار الخير قدر الإمكان قبل أن تدخل فى خبر كان ولكن . .

آه لأمراض نفوس قد يئس طبيبها ولأصوات مواعظ قد خرس مجيبها ..

فصيحات الوعظ كانت تهز موجات الهواء ولكنها لم تهز جوانب القلب . . أطلوا برأسكم إلى آيات الرحمن التى يتردد صداها فى المنازل ولكن أين نقشها فى القلوب ؟!
﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: 82] . . فهل صارت شفاءً لقلوبنا ؟! بل انظروا إلى مئات الأحاديث الشريفة التى تتناثر من الألسن فى الهواء . . ألا تعلمون . . أنها الدرر التى كانت تنحدر من فم رسول الله ؟! **فماذا حدث لنا ؟!**

(1) محاسبة النفس لابن أبى الدنيا / 12

هذا الكتاب يعلنها أن أغلقوا صفحات الماضي : فإن تذكر الماضي وإلحاحه يعرضك لهبوط الهمم وخرور العزائم ولذا فالعاقل من يطوي سجل ماضيه ويغلق عليه في زنزانة النسيان فلا الحزن يعيده ولا الهم يصلحه ولا الغم يصححه ولا الكدر يحييه . .

وهنا يعلو الصوت مرددا :

﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: 122] .

حياة تنشيء فى القلب الروح بعد الموت . . وتولد فيه نوراً يبدد تحت أشعته الظلمات . . فتمشى بين الناس تهدى الضال وتلتقط الشارد وتطمئن الخائف وتكشف معالم الطريق وتعلن فى الأرض ميلاد قلب جديد . . يسعى حثيثاً فى إصلاح نيته وإحسان عمله وتعمير مستقبله وتهذيب نفسه وتقويم اعوجاجه . .

أما من عطل عزيمة قلبه وأنفق عمره فى الأمانى الكاذبة والخيالات الفاسدة حتى بدد العمر فى سوق الغبن ومزق ثوب الأيام بكف التفريط وأحرق شجرة الهمة بنار الخذلان . . أعيد على مسامعه هتاف **أبو الدرداء لعبد الله بن رواحة إذ سبقه ابن رواحة للإسلام** فانطلق لسان المنافسة من أبي الدرداء «**سبقتنى بالأيام وسأسبقك بالأعمال** » .

فإلى من كان له قلب : «اسمعوا **نصيحة عيسى بن مريم** « معاشر الشيوخ أما علمتم أن الزرع إذا ابيض ويبس واشتد فقد دنا حصاده قالوا : بلى ؛ قال : « **فاستعدوا فقد دنا حصادكم** » . . ثم مر بشبان فقال : «معاشر الشباب أو ما تعلمون أن رب الزرع ربما حصده فصيلاً (لا زال أخضر)» قالوا : بلى . . قال : « **استعدوا فإنكم لا تدرون متى تحصدون** » [(1)] . .

إنَّما الدُّنْيَا إلى الجنَّة والنَّار طريقٌ — وَاللَيالى مَتْجَرُ الإنْسَان والأيَّام سُوقُ

هذا الكتاب .. يتوجه كذلك إلى الشباب ..

فالشباب سن الهمم الوثابة واليقظة العالية والدماء الفائرة والآمال العريضة كما أنه سر نهضة الأمة وبعثها بعد موات وإيقاظها بعد طول رقاد . . وأنه ضيف سريع الرحيل وكما شبهه **الإمام أحمد بن حنبل** «ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كمي فسقط» [(2)] فما تلبث هذه الأيام الجميلة أن تطير وتهرب فتردد والحزن يملأ جوفك « يا ليتني » .

يا هذا : اسمعنى جيداً عمرك كله ساعات وفترة شبابك فيها دقائق ثمينة لا تعود . . والباقى وقت ضائع . .

(1) مواعظ الأنبياء / 192

(2) علو الهمة / 406

وما المرءُ إلا راكبٌ ظَهْرَ عُمْرِه ... عَلَى سَفَرٍ يُفْنِيه باليَوْم والشَّهْر
يَبيتُ ويُضحى كُلَّ يومٍ وليلَةٍ ... بَعِيدًا عَنِ الدنْيَا قَرِيبًا إلى القَبْرِ

ورفع راية السباق وهيب بن الورد فكان مكتوبًا فيها « **إن استطعت أن لا يسبقك إلى الله أحد فافعل** »[1] . . كان رأس السابقين إلى الخيرات من هذه الأمة أبو بكر . . ثم عمر ثم . . ، ، فمتى تصير سابقاً يا مسبوق ؟! .

ويَبثُك شيخ الحكمة ابن الجوزى خبرته «وما تقف همة إلا لخساستها وإلا فمتى علت الهمة فلا تقنع بالدون ، وقد عُرِف بالدليل أن الهمة مولودة مع الآدمى وممكن تقصر بعض الهمم فى بعض الأوقات فإذا حُثَّتْ سارت ومتى رأيت فى نفسك عجزًا فسل المنعم أو كسلا فسل الموفق فلن تنال الخير إلا بطاعته ولا يفوتك خير إلا بمعصيته»[2] .

والله مَا جِئْتُكم زَائِرًا ... إلا وَجَدت الأرضَ تُطْوى لىْ
ولا تَنيتُ العَزْمَ عن بَابِكُمْ ... إلا تَعَثَّرتُ بأذْيالىْ

ومن هنـا ..

فقد صرفت وجه الحديث لهذه اللمحات المنبثة فلابد أن تخلو بنفسك فى بيت الفكر لترى كم التهمت الدنيا والشهوات والأموال من حياتك وأوقاتك ؟! ومدى تآله القلوب عليها ؟! قبل أن تقيدك فى غيبوبة عن الموت والقبر والجنة والنار . .

وكأنها أمور تحتاج منك إعادة نظر !!

إذَا كُنتَ في الأمسِ اقْتَرفت إسَاءة ... فَثن بإحْسَان وأنتَ حَمِيدُ
لا تُرْجِ فعلَ الخير يومًا إلى غدٍ ... لعَل غداً يأتي وأنت فَقِيدُ
ويَوْمُكَ إنْ عَاتبتهُ عَادَ نَفْعاً إليك ... وَمَا ضَحَى الأمس لَيْسَ يَعُودُ

فمن هذا الوقت ومن الآن . . ابدأ تعداد حياتك الجديدة وعهدك القادم . . ولكن لابد أن تعلم « أن تجديد الحياة لا يعني إدخال بعض الأعمال الصالحة أو النيات الحسنة وسط جملة ضخمة من العادات الذميمة والأخلاق السيئة فهذا الخلط لا ينشئ به المرء مستقبلاً حميداً ولا ملكاً مجيداً فإن القلوب المتحجرة قد ترشح الخير والأصابع العاجزة قد تتحرك بالعطاء» [3] . .

---

(1) لطائف المعارف / 329
(2) صيد الخاطر / 36
(3) جدد حياتك / 20

شد الرحال إلى الله . .

دليلك إلى رحلة النجاة وهجرة الإنقاذ وركوب سفينة الصالحين ومؤشر سماعك لنداء الله عبدي . . غفرت لك وأدخلتك جنتي وأسكنتك جواري وينظر في وجهك ويهمس فى أذنك **« إني راضٍ عنك فهل أنت راضٍ عني ؟ ! »**

وشتـان بين من يخطب فيـه إبليس وبين من يسـامـره النبي ﷺ وأبو بكر وعـمـر و . . و . . وخديجة وعائشة و . . و؟؟؟؟ . .

فيا من عرف طول الطريق وبعد السفر ونفاسة المطلوب . . أسرع بالركوب فصافرة الانطلاق تأخذ شهيقها وكان لابد من هذا التذكير قبل المسير .

واقرع لأبواب السماء

«اللهم اجعله للقلوب شفاءًا، وللأرواح زادًا، وللعقول غذاءًا، وإلى الجنة دليلاً وعن النار مزحزحاً، اللهم اجعل مع كل سطر فيه نورًا، وعند كل كلمة هداية، وفي كل حرف دواءًا، اللهم اجعله خطوة لنا إلى الجنة وردنا به والناس إلى دينك مرداً جميلاً، اللهم افتح به آذانًا صـمًا عن آياتك وقلوبًا غلفًا عن أنوارك وأعينًا عميًا عن آثار رحماتك . . اللهم أيقظ به الهمم والعزائم ونبه بما فيه الغافل والنائم . . اللهم اكتب لنا به أجرًا وضع عنا به وزرًا واجعله لنا عندك ذخرًا » .

والآن . .

احزم أمتعتك . .

وشد رحالك . .

هيا بنا إذن !! . .

أخوكم
الملتمس رضاء ربه
شريف محمد شحاتة



شارات البدء

جلست يومًا بين يدى الله تعالى أتأمل انبثاق الفجر وإذ بنسيم السحر كالرشاش المتطاير على وجهى فلاح لعقلى الندم على أوقات قد سلفت من عمرى واستدعيت لحظة من لحظات حياتى وأرسلت إليها همساتى . .

فقلت لها : عودى إلىَّ حتى أُضيئك بالخير .

قالت : إن الزمان لا يقف محايدًا أبدًا ولا مساومة فقد انتهيت !!

قلت : يا لحظة . . أرجوك ارجعى حتى انتفع بك وأعوض تقصيرى فيك . . فكم من اللحظات قد ضيعتها بعدك؟! .

قالت : لو كان الأمر بيدى لرجعت ولكن قد طويت صحائف أعمالك ورُفعت إلى الله بها سيئاتك وحسناتك .

وسكتت اللحظة . .

ناديت بقلب حزين ولسان مضطرب : يا لحظة!! يا لحظة!! يا لحظة!! ألا تسمعينى؟؟ أجيبى أرجوك . . لا تتركيني

عادت وعاتبتني : يا غافلاً عن نفسه يا مضيعًا وقته . . ألا تعلم أنك الآن من أجل إرجاع لحظة وقد ضيعت لحظات عمرك؛ فهل عساك أن ترجعهم كذلك ؟!! .

فبادر يا . . واعمل واجتهد وأذكرك ﴿ **إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ** ﴾ [هود: 114].

فصرخت في نفسى : يا أنا . . ما فات لا يعود وما بقى موجود . . إجمع قواك المبعثرة . . أولد النور فى قلبك من جديد . . فصاحت حناجر المآذن « **حى على الصلاة . . حي على الفلاح** » . . وتذكرت ﴿ **حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (٩٩) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ** ﴾ [المؤمنون: 100] . . **فقلت :** أنت فى الأمنية فاعمل . . ﴿ **وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ** ﴾ [طه: 84]. . ومن ساعتها . .

أخى القارىء.. أختى القارئة :

قرر ابن القيم أن « **أنفع الناس من مكنك من نفسه لتزرع فيها خيراً** » . . وصرح ابن المبارك « **إذا أحب الله عبداً جعل له واعظاً من قلبه** » . . فهذه الكلمات لك أنت . . **نعم لك أنت** . . ما يهمنا إلا قلبك . . وما يسعدنا إلا عملك . . وما يشرح صدورنا إلا أن تُلهب شعلة همتك ويعلو صوت عزيمتك :

نعم.. أنا لها.. أنا لها..





﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ ﴾ [فصلت: 23]

(حسن الظن بالله)

إلهي لا تُعذِّبني فإنيْ ... مُقرٌ بالذي قد كانَ منيْ

ومَالي حيْلةٌ إلا رَجَائيْ ... لعفوك إنْ عفوْتَ وحُسْن ظنيْ

يَظُنُّ النَّاسُ بيْ خيْراً وإنّيْ ... لشرُّ النَّاس إنْ لمْ تعْفُ عنيْ



- إلى من غفلوا فحان وقت اليقظة ..
- إلى مقيمى الذنوب فآن الاتعاظ
- إلى من استعبدهم الشيطان وصرخوا أن كفى..
- إلى من خسروا أعظم صفقة وهى : حسن الظن بالله
- إلى التائه قلبه في الضلال بلا دليل..

إليكم أنتم

- إلى من لم يقدم الزاد

ترى ماذا سيكون الجواب ؟!

شريف



رسالة حب

أسكبها في آذان قلبك

قال ربك لك : « يا عبدي لم تقنط من رحمتي ؟ ! أليس أنا الذي أظهرتك ؟ ! وبأماني طوقتك ؟ ! مالك تتجاهل عليّ كأنك ما عرفتني ؟ ! وتتنحى عنى كأنك ما وافقتني ؟ ! عبدي إن استقلتنا أقلناك وإن تبت إلينا قبلناك وإن عزمت قصدنا أدنيناك وإن اضطرب دليلك أريناك ؛ وإن عاديت نفسك في حب ودنا واليناك وإن بكيت لعوز دوائك داويناك وإن بكيت لضرك شفيناك وإن بكيت خشية أحضرناك وإن بكيت خوفا أمناك وإن بكيت أسفًا على ما فاتك من حقوقنا عوضناك » . .

وأنادى بأعلى صوتى :

أيها الشاردون عن الله . . آن لكم أن ترجعوا . .

أيها الغافلون عن الآخرة . . آن لكم أن تنتبهوا . .

أيها الناسون الموت . . آن لكم أن تدركوا . .

أيها الهازلون . . آن لكم أن تجدوا . .

أيها التائهون . . آن لكم أن ترشدوا . .

يا أخانا.. يا أختنا :

الباب مفتوح قبل أن يغلق والفرصة متاحة قبل أن تفوت وفى العمر بقية أن تضيع .

إطلالة واعية

لأن يد الغفلة امتدت . . والشياطين للقلوب تسللت . . تاهت النفس وفسدت الروح واحتار العقل . . طرق الدنيا مكتظة بالأموال والشهوات . . وغاصت في أوحالها . .

(عندما) . . لا تجد في نفسك ميلاً لربك أو حبًا لنبيك . . أو تلهفًا لقراءة بعض الآيات أو شوقًا لبعض السجدات في المحراب .

عندما . . لا تجد نفسك تستمع لموعظة إلا وتنفر . . ولا لكلمة طيبة إلا وتتأفف . . ولا لنصيحة إلا وتتعتى وتتكبر .

عندما . . يدق النـاس بابك لتقبل علي ربك . . ولا تزال تعاند وتصر على الذنب والغفلة والهلاك والعذاب .

عندما . . تجد قلبك قاسيًا يائسًا حزينًا فتبكي ولا تجد من يكفكف دمعك الحزين . . أويداوى جرحك الأليم .

عندما . . تتحاور مع نفسك وتعزم عزمه قوية على ولوج باب الجنة . . فتتوقف لضعف الإرادة أو لموت الهمة أو لقهر الصحبة أو لسيطرة الشهوة أو لاستهزاء أقارب أو خوف على الوضع العام .

عندما . . تكون إنسانًا مصليًا صائمًا قائمًا ساجدًا عابدًا ثم تفقد حلاوة إيمانك قطرة بعد قطرة . . وتذبل زهرة عزماتك مرة ثم مرة .

عندما . . تتدافع كل تلك الظروف . . فيبيت القلب حينها يشكو الري بعد الظمأ والروح تناجي الغذاء بعد الجوع . .

أقف لأخبرك بحبي لك . . وحب ربك لك . . وحب نبيك لك . . واشتياق الجنة لك . . ودعوات الملائكة لك . . حتى ينبث لقلبك المكدود وميض أمل وسراج فرحة وشعلة حماس . . **أنا أحسن الظن بربي** . .

ولأن المعني يحتاج كلام والسلعة لها ضريبة فأناشدك أن تمر على تلك الكلمات بعين العقل . . وسوف ترى الفارق ؟!

فأبشر أخانا .. وأبشري أختنا .. فربكم لا يزال يحبكم.

قبل كل شئ ..

يا أحباب رسول الله : ربما يفهم الإنسان أن أول خطوات الجنة وإطلاق صافرة العودة إلى الله هي « **التوبة** » ولكن أهمس بأذنك أن : **مهلاً** . . قف لحظات لأنك حينئذ تحتاج مزيدًا من التوضيح . . إذ كيف تصح توبة من لا يحسن ظنه بمن يتوب إليه ؟! وكيف يعشق الطاعة ويتذوق حلاوتها من لا يحسن الظن بصاحبها ؟! وكيف يهجر شهوته ولذته ويخاصم أماكن لهوه من لا يحسن الظن بمن يأخذ بيده ؟! وكيف يتأمل نعيم أهل الجنة ويتسلق فكره أنه من أهلها من لا يحسن الظن بخالقها ؟! . .

وأبرهن لك...

هناك من يتوب ثم بعد أيام يردد كلمة ثقيلة وهو لها غير مدرك « لقد تبت . . ولكن لا أدري أقبل الله مني توبتي أم لا ؟! » . . **فإن قالها** علي سبيل التذلل لله لخوفه على توبته . . فهذا جميل . . أما إن قالها وهو بحق غير متيقن الذهن أن الله قد قبله . . فهذا سوء ظن بربه . . ومن ثم فارجع لتوبتك عقب تحسين ظنك بربك . .

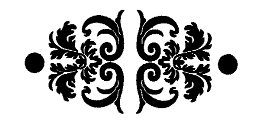
وثان يقول : « لقد صليت وصمت وقمت ولا أدري ما فعل الله بي ؟! » **فإن فعلت** ذلك للتذلل واستحقار العمل حتى يتفضل الله بالقبول . . فهذا أمر حسن . . أما إن قيلت وأنت غير موفور الثقة في ذلك . . فراجع نفسك . .

وثالث ينادى : « دعوت ربي مراراً وتكراراً ولكن لا يستجيب لي » . . **فهل هذا** حسن ظن بالله لتتنزل الاستجابة ؟! **والمريض يشتكى** : أين الشفاء ؟! . . **والأب ينادى** : لا فائدة من الأولاد . . **والشاب يهتف** : ضعت والله ضعت فاقرؤا على روحى الفاتحة . . **وتلاحقك الفتاة** : لا تضيعوا وقتى ولا أضيع وقتكم . . والكثير والكثير ؟! . .

وهنا أناشدكم :

لابد إذن من الفهم الصحيح وتعديل خط المسير . . أم ما رأيكم ؟! . .

وهل لكم أسهم من هذه الغنيمة الضائعة ؟!





• عند ظن عبدي

يقول ﷺ : « **يقول الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم وإن تقرب إليّ بشبر تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت إليه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هروله** » صحيح .

سبحانك ربي . . ما كل هذا الحب ؟! كلمات ربانية سرت على آذاننا مئات المرات . . ولكننا نأخذ النتائج دون ملاحظة قوية لبداية الكلمات أي لسبب هذه النتائج الربانية الجميلة . . أي أن الأساس « **عند ظن عبدي بي** » . . **فإن تحقق** السبب أطلت النتائج «**فإن ذكرني في نفسه** و . . و . . » فكيف تفرح بأن الله يذكرك . . وكيف يستشعر قلبك قربه وحبه . . وكيف تنغمر روحك في هذا الود العميق والحنان المتدفق مع الرب دون ظن حسن به ؟! . .

توضيح مطلوب

ويوضح **الإمام القسطلاني** « **إن ظن العبد أني (الله)** أقبل أعماله الصالحة وأثيبه عليها وأغفر له إن تاب فله ذلك مني وإن ظن أني لا أفعل به ذلك فسيكون له ذلك فينبغي للمرء يكون موقناً بأن الله يقبله ويغفر له لأنه وعده بذلك وهو لا يخلف الميعاد أما ظن المغفرة مع الإصرار على المعصية فذلك الجهل والغرور » . .

ويلاحقه **الإمام الشوكاني** « أنه ترغيب من الله عز وجل لعباده بتحسين ظنونهم وأنه يعاملهم على حسبها فمن ظن به خيراً أفاض عليه جزيل خيراته وأسبل عليه تفضلاته ونثر عليه محاسن كراماته وتوابع عطياته » . .

ويضع شوكة الميزان **الحسن البصري** « **إن المؤمن** أحسن الظن بربه فأحسن العمل وإن العاصي والفاجر أساء الظن بربه فأساء العمل » **أعرفتم الفرق إذن ؟!**

رؤوس أساءت الفهم

ولكن لا تستند على حسن الظن أنه سعة المغفرة والرحمة والعفو وأن رحمة الله

سبقت غضبه وأنه لا تنفعه العقوبة ولا يضره العفو دون عمل . . فهذا فهم خاطىء لأنه كما أبان وأوضح وأزال هذه الغشاوة العلامة **ابن القيم** قائلاً : « حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه وحسن الظن ينفع من تاب وندم وأقلع وبدل السيئة بالحسنة واستقبل بقية عمره بالخير والطاعة ثم أحسن الظن بعدها فهذا هو حسن الظن » .

• شرط التوفيق والراحة

روى الشيخ **الكُليني** عن **بُرَيْد بن معاوية** عن **أبي جعفر** قال وجدنا في كتاب علي أن رسول الله ﷺ قال وهو على منبره : « **والذي لا إله إلا هو ما أُعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلا بحسن ظنه بالله ورجائه له وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين ؛ والذي لا إله إلا هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلا بسوء ظنه بالله وتقصيره من رجائه وسوء خلقه واغتيابه للمؤمنين ؛ والذي لا إله إلا هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلا كان الله عند ظن عبده المؤمن لأن الله كريم بيده الخيرات يستحي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخيب ظنه ورجاءه فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه** » . .

أرى عينك تعاود القراءة ثانية . . وقسم النبى هذا فهمه **ابن مسعود** فتحرك لسانه «والذي لا إله غيره ما أُعطى عبد مؤمن شيئًا خيرًا من حسن الظن بالله والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله الظن إلا أعطاه الله ظنه ذلك بأن الخير في يده » . .

• ولو ذرة من خير !!

قال رسول الله ﷺ : « **إن الله تبارك وتعالى يقول للملائكة : من وجدتم فى قلبه مثقال ذرة خير فأخرجوه من النار فيخرجون خلقًا كثيراً ، ثم يقولون : ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا . . فيقول الله تبارك وتعالى : شفعت الملائكة وشفعت الأنبياء فلم يبق إلا أرحم الراحمين !! فيقبض قبضة فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط إلا التوحيد قد عادوا حمماً فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون منه كما تخرج الحبة من حميل السيل فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتيم !! فتعرفهم أهل الجنة ؛ فيقولون : هؤلاء عتقاء الله أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه فيقال لهم : ادخلوا الجنة فما رأيتم فهو لكم !! فيقولون : ربنا قد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين ؛ فيقول الله تبارك وتعالى : ولكم عندى أفضل من هذا فيقولون : وأى شىء أفضل من هذا ؟ ! فيقول : أحل عليكم رضوانى فلا أسخط عليكم أبداً** » البخارى ومسلم . .

ولا تعليق للقلوب إلا : لا إله إلا أنت سبحانك . . سبحانك . . سبحانك . . إنا كنا ظالمين . .

• **القدوة الحسنة ..**

قال أبو أسامة سهل بن حنين : « دخلت أنا وعروة بن الزبير على عائشة رضي الله عنها فقالت : لو رأيتما رسول الله ﷺ في مرض له وكانت عنده ستة دنانير أو سبعة دنانير فأمرني رسول الله ﷺ أن أفرقها فشغلني وجع رسول الله ﷺ حتى عافاه الله ثم سألني عنها فقال : «**ما فعلت ؟ أكنت أخرجت الستة دنانير ؟**» فقلت : لا والله ، لقد شغلني وجعك قالت : فدعا بها فوضعها في كفة فقال : « **ما ظن محمد بربه لو لقي الله وهذه عنده** » . . سبحانك ربي . .

يا أختنا . . يا أخانا :

أأبصرتم حال من غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ؟! . . فماذا عن حالك أنت ؟! وقد أوغلت في عصيانه وأصبحت المعاصي تداعبك من كل جانب ؟! وما ظن ربك بمن هو شارد عنه ومرتحل في ما يغضبه وزاهد فيما أتاه به رسوله ﷺ وليس للجنة في خريطة حياته متبع ؟! . . ولذلك ناداه ابن القيم بأعلى صوته « حسن الظن بالله هو حسن العمل نفسه» .

همسة :

قال أبو علي الردزباري : « من الاغترار أن تُسيء فيحسن إليك فتترك التوبة توهماً أنك تُسامح في الهفوات» .





❶ هيا إلى الجنة ..

روى أن رجلين يوم القيامة يخرجان من النار فيقول الله تبارك وتعالى لهما «كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما» فيقولان: شر مقيل وأسوأ مصير .. فيقول الله تبارك وتعالى: «ذلك بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد» فيأمر بردهما إلى النار فأما أحدهما فيبادر إليها وأما الآخر فيتوقف .. فيقول الله للذي بادر: «ما حملك على ما صنعت ؟» فيقول: عصيتك في الدنيا أفأعصيك في الآخرة .. ويقول للذي توقف: «ما حملك على ما صنعت؟» فيقول: حسن ظني بك ؛ يارب حين أخرجتنى منها أن لا تعيدنى إليها .. فيرحمهما ويأمر بهما إلى الجنة !!.

❷ يا لها من فرحة

رُئي يحيى بن أكثم بعد موته في النوم فقيل له: «ما فعل الله بك ؟! قال أوقفني الله بين يديه وقال: «يا شيخ السوء فعلت وفعلت .. فأخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت: يارب ما هكذا حدثت عنك !! فقال: وما حدثت عني ؟! فقلت حدثني عبد الرازق بن معمر عن الزهري عن أنس عن نبيك ﷺ عن جبريل عليه السلام أنك قلت: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء» وكنت أظن أنك لا تعذبني .. فقال الله عز وجل: «صدق جبريل وصدق نبي وصدق أنس وصدق الزهري وصدق معمر وصدق عبد الرازق وصدقت» .. قال: فأُلبست ومشى بين يدى من الولدان إلى الجنة فقلت: يا لها من فرحة» ..

❸ لمن ذا يا رب ؟!

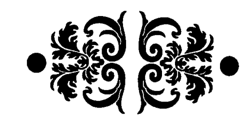
وفى مواعظ الأنبياء أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه «بعينى ما يتحمل المتحملون من أجلى وما يكابد المكابدون فى طلب مرضاتى فكيف بهم إذا صاروا إلى دارى وتبحبحوا فى رياض رحمتى هنالك فليبشر المصفون لله أعمالهم بالنظر العجيب من الحبيب القريب .. أتراني أنسى لهم عملا ؟! فكيف وأنا ذو الفضل العظيم ؟! أجود على المولين عنى فكيف بالمقبلين على .. ولو رآنى عبادى يوم القيامة كيف أرفع قصوراً تحار فيها الأبصار فيسألون

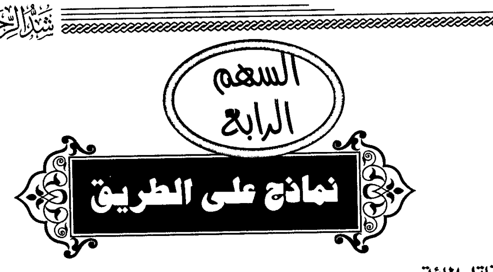
لمن ذا ؟! فأقول : لمن رهب منى ولم يجمع على نفسه معصيتى والقنوط من رحمتى وإني لمكافىء على المدح فامدحونى » حسن .

قَدْ مَضَى فيْ اللَّهْو عُمْرى	وَتَنَـــاهى فِـيْه أمْـــرِىْ
كُــل يَـــوْمٍ أنَـــا رَهْـــنٌ	بَـــيْـنَ آثَـامِىْ ووزرىْ
وَيْـحَ قَلْبى من تَنَـاسِىْ	مَـقَـــامى يَوْم حَـشْـــرىْ
وَاشْـتِـغَـالى عَـنْ خَطَـايا	أثْقَـــلَـتْ وَالله ظَهْـــرىْ

همسة :

قال أبو يعقوب القارى : رأيت في المنام أويسًا القرنى فقلت : أوصنى فقال : « ابتغ من رحمة الله عند محبته واحذر نقمته عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك » . .





(1) قاتل المائة

رجل قتل مائة نفس ونحن على دراية بقضيته . . بأن قتل تسعة وتسعين نفسًا ثم بحث عن التوبة فلم يأذن له من سُئل فأكمل به المائة !! وذهب لآخر فنصحه بهجر أرض السوء والإقبال على أرض الخير بمكان آخر فأتاه حتفه أثناء الطريق واختصمت ملائكة العذاب وملائكة الرحمة فلم يقدم لنفسه حسنة بل قدم قتل مائة نفس فكان الحكم إلى أى الأرضين أقرب ؟! فقيست المسافة فأمر الله الأرض الطيبة لتقترب والخبيثة بالابتعاد فصافحته ملائكة الرحمة . . وهنا تحكى القصة عن التوبة ولكن السؤال : هل تاب الرجل ؟! أم أنه لم ييأس ممن أقعد همته بأن ليس له توبة ؟! ولكنه ظل يبحث عن مخرج حتى جاءته البشرى بأن الباب مفتوح فهذا الرجل لديه حسن ظن بربه - فاق كل الحدود- أن الله سيقبله وسيتفضل عليه برحمته . . رغم ما حدث . .

وأنتم يا أحبابى . . لا تيأسوا ولا تقنطوا لأن الرب رحيم غفور لطيف تواب .

(2) إني لملتمس شفيعًا

عن ربيعة ين عثمان التيمى قال : «كان رجل على معاصى الله تعالى ثم إن الله أراد به خيرًا وتوبة ؛ فقال لزوجته : إنى لملتمس شفيعا إلى الله تعالى . . فخرج إلى الصحراء فجعل يصيح : يا سماء اشفعى لى ؛ يا جبال : اشفعى لى ؛ يا أرض اشفعى لى ؛ يا ملائكة اشفعى لى فأدركه الجهد والمشقة فخر مغشيًا عليه فبعث الله اليه ملكاً فأجلسه ومسح رأسه وقال : أبشر فقد قبل الله توبتك » . . وهذا لحسن ظنه بربه وانظر بحثه عن ربه حتى أدركه التعب وأنت مسترح أو مضطجع الآن وربك يقول لك كل يوم بل ومع كل نفس يتردد في صدرك « **إن تقربت إليَ بشبر تقربت إليك ذراعاً ؛ وإن تقربت إليَ ذراعاً تقربت إليك باعاً ؛ وإن أتيتني تمشي هرولت إليك** » .

فأين أنت يا عبد الله ؟!!

(3) غفر الله لك

عن أبي أمامة أن رجلاً جاء إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله إني قد أصبت حداً فأقمه عليَّ، فسكت عنه فأعاد الكلام ثلاثًا وأقيمت الصلاة . . فصلى النبي ﷺبالناس ثم انصرف فتبعه الرجل وأعاد الكلام . . فقال له النبي ﷺ : « **أرأيت حين خرجت من بيتك أليس قد توضأت فأحسنت الوضوء** » فقال : بلى يا رسول الله ؛ قال : **ثم شهدت الصلاة معنا** » قال : نعم يا رسول الله . . فقال ﷺ : «**فإن الله تعالى غفر لك حدك . . أو قال ذنبك** » البخاري ومسلم .

(4) اللهم فاقبلني

ذكر ابن قدامة في كتاب التوابين : « جلس ذات يوم في مجلس صالح المرى فتى يقال له صالح فقال له : اقرأ يافتى . . فقرأ : ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ** ﴾ [غافر : 18] فقطع صالح قراءته وقال : وكيف يكون لظالم حميم أو شفيع والمطالب له رب العالمين ؟ إنك والله لو رأيت الظالمين وأهل المعاصى يساقون في السلاسل إلى الجحيم حفاة عراة مسودة وجوههم مزرقه عيونهم ذائبة أجسادهم ينادون : **يا ويلنا يا ثبورنا ماذا نزل بنا ؟ ماذا حل بنا ؟ أين يُذهب بنا ؟ ماذا يُراد منا ؟** والملائكة تسوقهم بمقامع النيران فمرة يجرون على وجوههم ويُسحبون عليها منكبين، ومن بين صارخ طائر القلب مبهوت . . إنك والله لو رأيتهم على ذلك لرأيت منظرًا لا يقوم له بصرك ولا يثبت له قلبك ولا تستقر لفظاعة هوله على قرار قدمك !

ثم نحب وصاح : يا سوء منظراه ! يا سوء منقلباه ! وبكى فبكى الناس . .

فقام الفتى فقال : أكل هذا المقام يوم القيامة ؟!

قال : نعم والله وما هو أكثر . . لقد بلغنى أنهم **يصرخون في النار حتى تنقطع أصواتهم فما يبقى منهم** . .

فصاح الفتى : إنا لله ! **واغفلتاه** عن نفسى أيام الحياة **وا أسفاه على تفريطى في طاعتك** يا سيداه ! **وا أسفاه** على تضييعى عمرى في دار الدنيا !

ثم بكى واستقبل القبلة . . فقال : **اللهم إني استقبلت في يومى هذا بتوبة لا يخالطها رياء لغيرك ؛ اللهم فاقبلنى على ما كان منى واعف عما تقدم من فعلى وأقلنى عثراتى وارحمنى وتفضل عليَّ بجودك وكرمك يا أرحم الراحمين** . .

وعندما مات رآه احد أصحابه في المنام فقال له : لقد أدخلنى الله في سعة رحمته التى وسعت كل شىء » . .

وأنت .. ماذا تنتظر ؟! وأنتِ .. ماذا تنتظرين ؟!!

1- . . . .

2- . . . .

3- . . . .

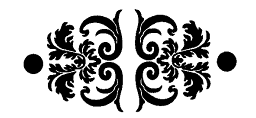
هذه النقاط ليست خطأ طباعى أو عطل فنى ولكنها تحتاج لوصية عملية تكتبها أنت بخط يدك وتنفذ !! .

همم نكست .. والآن ترتفع

يا أحباب رسول الله : هكذا كان حال من هام قلبه بحسن ظنه بربه . . فما حالك أنت ؟! . .

ربح القوم وأنت نائم ورجعوا بالغنائم وأنت بالليل راقد وبالنهار هائم نظروا في عواقب الأمور فقبروا أنفسهم قبل القبور . . وخرجوا من ظلام الغفلة إلى الهدى والنور . . فما أذلهم أو أقعدهم فتور ولا غرور . . عقولهم الحذر قد أذهلها . . وقلوبهم الفكر قد شغلها . . فهذا يعاتب نفسه على التقصير وآخر تعلق همه بهول المصير وذاك يخاف من ناقد بصير وآخر يتعبد فيبكي على خوفه ويندب زمانه على ما قد مضى ويتأسف على حاله .

ويترجم **عبد الله بن عمر** فكان فى كل صباح يناجى ربه ويقول : « اللهم اجعلنى من أعظم عبادك نصيباً فى كل خير تقسمه الغداة، ونور تهدى به ، ورحمة تنشرها ، ورزق تبسطه ، وضر تكشفه، وبلاء ترفعه، وفتنة تصرفها» .





• إرشادات على الطريق

لأن حسن الظن بالله من علامات القبول وكارنيه خاص لعبور بوابة الجنة لذا فلابد أن تحسن الظن بربك وأنت قادر وتتحرك وتأكل وتشرب . . كى لا تخونك نفسك عند اللحظة الحاسمة وأنت هامد اليدين مرتخي القدمين لا حراك ولا كلام وفي واد آخر . لذا فاسع إليه من هنا ومن الآن . . وإلا . . !

ولا تستعجب وأنا أخبرك : أن كان الدعاء المحبب لأمير المؤمنين **عمر** و **سعيد بن جبير**«اللهم ارزقنى صدق التوكل عليك وحسن الظن بك» فاحفظه وافهمه . .

وارع انتباهك لنظرية **الإمام القرطبي** « حسن الظن بالله تعالى ينبغي أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه في حال الصحة وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له وينبغي لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل في قوله تعالى « **أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي بي ما شاء** » صحيح . .

• إلا وهو يحسن الظن !!

قد يحسب المرء أن حسن الظن بالله مجرد فضيلة يتحلى بها أو كرامة يسعى إليها . . بل والأعجب أن تفهم أنه مجرد إحساس في الدنيا . . ولكن . . يصحح كل تلك المفاهيم ويعاين كل تلك المعايير صاحب القلب الرحيم والخلق العظيم **محمد** ﷺ وهو يوصيك وصية النجاة في برقية خاصة ومستعجلة « **لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل** » صحيح . . أعلمت بخطورة الأمر وأهميته لذا أكرر : اقرأ ثم افهم ثم اعمل .

• مساكين والله . .

من عند موته لا يتذكر إلا الأموال والعقارات والسيارات والمحمول والتركات . . وآخر أين يذهب أولاده من بعده ؟! **وثالثة** : لمن أترك زوجي وأولادى ومن يخدمهم ؟! . . **ورابعة** : أين حجابى وحشمتى ؟! وكل ذلك لا يليق بمثل هذا المقام لأن الرازق موجود

والوكيل موجود والحفيظ من فوق سبع سماوات مطلع وعالم . . ولذا . . فانظر لحالك أنت . . **نعم أنت** . . وهو ما تجسده كلمات **ابن عباس** « إذا رأيتم الرجل بالموت فبشروه حتى يلقى ربه وهو حسن الظن به وإذا كان حيًا فخوفوه بربه » . .

• رباعية يحتذى بها

لأن السلف والتابعين خير من نهل من ميراث النبوة فكانت الوصية تداعب أعينهم لا يزيغون عنها ولذا كان الحرص والانتباه في الدنيا والسعي الحثيث لحسن الظن بالله حتى تأتي يوم الفراق . . لأن الإنسان يحتاج من يعينه فلنتعلم :

❶ أبو المعتمر

اسمع من **المعتمر** وهو يخبرك ويقول : قال أبي حين حضرته الوفاة : «يا **معتمر** . . حدثني بالرخص لعلي ألقى الله وأنا حسن الظن به » . . لأن السلف كان يهتفون بها طيلة حياتهم فبلغها عنهم **إبراهيم** صادقًا « كانوا يستحبون أن يلقنوا العبد محاسن عمله عند الموت حتى يحسن الظن بربه عز وجل» . .

وهم من هم . . وأنت من أنت !! . . فهل عملت شيئًا يُذكر لك عند الموت ؟! وهل لك من طاعات تزيد من هذا المؤشر؟! . . فمن الآن . . اسع لذلك . .

❷ شاب وأمه ..

قال **ثابت البناني** « كان شاب به رهق (تعب) فلما نزل عليه الموت انكبت عليه أمه وهي تقول : يا بني قد كنت أحذرك مصرعك هذا . . قال : يا أماه إن لي ربًا كثير المعروف وإنى لأرجو اليوم أن لا يحرمني بعض معروفه . . فقال **ثابت** :«فرحمه الله بحسن ظنه بالله فى حاله تلك » . . وسبحان الله . . وما أجملك أيتها الأم العابدة . . وما أشوقنا لمثل هذا الشاب ! . . ومن يدلنا على مثلك الآن ؟!!! . .

❸ رأى بعض التابعين أحد السلف فى المنام وحينما سألوه : بماذا قدمت على الله تعالى؟

قال : بذنوب كثيرة محاها عنى حُسن الظن بالله تعالى .

❹ أبو حازم الأعرج

حين حضره الموت قال ليملأ آذان الدنيا ويعظ قلوب البشرية : « أجدني بخير أجدني راجيًا لله عز وجل حسن الظن به ، إنه والله . . لا يستوي من غدا وراح يُعمر عقد الآخرة لنفسه فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له . . ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ويُرجِع الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب » . . ولا تعليق .

• **قلوب خاملة**

يا غفول : إلى متى تظل تائهًا معرضًا ؟! يناشدك ربك مراراً وتكراراً وكأن كلامه سبحانه لا يعجب مسامع أذنك ؟! وسرعان ما يتلاشى رنين مثل هذه الكلمات !! أما من ذاق طعمها عرف ربه فهام شوقا إليه . . **فماذا تنتظر** ؟!. . أخبرني بالله عليك . . قم واستدرك الفائت. . . إلام ترفض قول الناصح وقد أتاك بأمر واضح ؟! أترضى بالذنوب والقبائح؟! يا مضيع الزمان فيما ينقص الإيمان يا معرضًا عن الأرباح أيقظ نفسك وهلم إلى ربك .

وابن عطاء السكندري ينبهك « لا يعظم الذنب عندك عظمة تصدك عن حسن الظن بالله تعالى فإن من عرف ربه استصغر في جنب كرمه الذنب . . وأصل كل معصية وغفلة وشهوة الرضا عن النفس وأصل كل طاعة ويقظة وعفة عدم الرضا عنها » .





كلاليب الغرور

هذا هو حسن الظن بالله وكيف ناله من سبق . . وكيف تقتنيه قلوبنا ؟! ولكنه طريق محفوف بالقلق . . وجسر آيل للتصدع . . وجبل شامخ متعرض للشقوق . . فحسن الظن بالله الصادق جسر يسير المؤمن في رحابه ويتنعم بنسماته أما إذا اختل الميزان وتأرجحت الشياطين من حوله . . وراودته النفس على الاستكانة والكسلان انقلب هذا الدليل المنجي إلى بوصلة خطر لا فكاك منها . . ولذا فأقرأ ما تقدم بعناية ثم استفق الآن وحرك لسانك مستغفرًا عساك تنال صك البراءة . . وتمر علي الجسر بسلام قبل أن تخطفك كلاليب الغرور وسوء الظن أو سوء الفهم . . جاهز ! .

ما هو الغرور ؟!

يعرفه السلف : « هو سكون النفس إلي ما يوافق هواها وتميل إلي شهواتها مع خدع الشيطان حيث يعتقد المرء أنه علي خير مع علمه بذنوبه وإصراره وتقصيره وشهواته فهو الغرور ، أما الخوف مما جناه المرء والقلق من خجل المواجهة مع الرب مع التماس سبل الرحمة والسعي للعمل وطرق باب الجنة بالطاعات والنوافل فهذا ليس بغرور » .

انهيار السد

* قال ﷺ : « **لن يُدخل الجنة أحد عمله .. قالوا : ولا أنت يا رسول الله؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته** » صحيح . . وأنت من أنت ؟!

* **عن البراء بن عازب قال بينما نحن مع رسول الله ﷺ إذ بصر بجماعة فقال : علام اجتمع هؤلاء ؟ قيل .. على قبر يحفرونه ففزع رسول الله ﷺ . . فبدر بين يدي أصحابه مسرعًا حتى انتهى إلى القبر فجثا على ركبتيه فاستقبله بين يديه لأنظر ما يصنع فبكى حتى بل الثرى من دموعه ثم أقبل علينا فقال : أي إخواني لمثل هذا اليوم فأعدوا** » حسن .

شَمِّر عَسَى أن يَنْفَعَ التَّشْمِيرُ وَانْظُر بفكْرِك مَا إليه المصِيْرُ
طَوَّلتَ آمالاً تكنفَهَا الهَوَى وَنَسِيتَ أن العُمْرَ منكَ قَصِيْرُ
وَلَقَدْ تَساوَى بَيْن أطْبَاق الثَّرَى فيْ الأرْضِ مَأمُوْرٌ بهَا وَأمِيْرُ

* روى الشيخ الكُليني عن أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر قال : قال رسول الله ﷺ : «**قال الله تبارك وتعالى : لا يتّكل العاملون على أعمالهم التي يعملونها لثوابي فإنهم لو اجتهدوا وأتعبوا أنفسهم أعمارهم في عبادتي كانوا مقّصرين غير بالغين في عبادتهم كنهَ عبادتي فيما يطلبون عندي من كرامتي والنعيم في جناتي ورفيع الدرجات العلى في جواري ولكن برحمتي فليثقوا وفضلي فليرجوا وإلى حسن الظن بي فليطمئنوا فإن رحمتي عند ذلك تدركهم وأمني يبلغهم رضواني ومغفرتي تلبسهم عفوي فإني أنا الله الرحمن الرحيم وبذلك تسميت**» .

فرق بين هذا وذاك

يفرق صاحب الجواب الكافى : « **إن حسن الظن بالله** يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل ، أما **التمني والغرور** يكون مع الكسل ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها ويأخذ زرعها وكحال من يشق أرضه ويفلحها ويبذرها ويرجو طلوع الزرع» ولهذا أجمع العارفون « **أنه لا يصح إلا مع العمل** » . .

واستفيدوا مع **يحيى بن معاذ** «من أعظم الاغترار التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة وانتظار زرع الجنة ببذر النار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله عز وجل مع الإفراط » .

لكي تزن أمورك

* جاء في الخبر **أن داود** عليه السلام خرج إلى الساحل فعبد ربه سنة فلما تمت السنة قال : يا رب قد انحنى ظهري وكلت عيناي ونفذت الدموع فلا أدري إلى ماذا يصير أمري؟! فأوحى الله تعالى إلى ضفدع أن أجيبي عبدي **داود** . . فقالت الضفدع : يا نبي الله أتَمُن على ربك في عبادة سنة ؟! والذي بعثك بالحق إني على ظهر بردية منذ ثلاثين أو ستين أسبحه وأحمده وإن فرائصي ترتعد من مخافة ربي . . **فبكى داود** عليه السلام .

* أنصت لأصحاب **الحسن البصري** وهم يحكون أنه إذا سمع حديث : « **آخر من يخرج من النار يخرج بعد ألف سنة** » يقول : يا ليتني كنت ذلك الرجل !! وقيل له ذلك يومًا . . فقال : **أليس يخرج من النار ؟!!**

وسأله أحدهم : أراك طويل البكاء . . فقال : أخاف أن يطرحني في النار ولا يبالي!!

* وقال بشر الحافي : « إذا صعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على الإسلام تعجبت الملائكة منه وقالت : **كيف نجا هذا في الدنيا وقد هلك فيها خيارنا ؟!** » لأن السعيد من ترك الدنيا قبل أن تتركه وبنى قبره قبل أن يدخله .

والخلاصة : اعرف من أنت ؟!

منعطف يجب تفاديه

أيا مغرورًا بالأماني . . لُعن إبليس وأهبط من منزل العز بترك سجده واحدة أمر بها؟! . . وأخرج آدم من الجنة بلقمة تناولها وحجب القاتل قابيل منها بعد أن رآها عيانًا بملء كف من دم . . (**فلا تأمنه أن يحبسك في النار بمعصية واحدة من معاصيك**) . . وسبحان الله دخلت امرأة النار في هرة ، وآخر دخل الجنة في كلب سقاه وإن الرجل ليعمل بطاعة الله ستين سنة فإذا كان الموت جار وظلم في الوصية فيختم له بسوء عمله فيدخل النار . . ذلك لأن . . **العمر بآخره والعمل بخاتمته** . .

قبل ذبول الأعمار

إخوتي يا من ضيع القوة ولم يحفظها . . ويا من لا صبر له على لذات الدنيا . . لا تنكر قرب الهلاك . . ولا تنس عسرة الحساب . . أزح بخار الشهوة الذي غطى بصيرتك وكفاك جزع من صبر ساعة على معاصيك فتتجرع ذل الأبد . . سافرت في طلب الشهوات واللذات والدنيا وهي عنك زائلة . . وقعدت عن السفر بالطاعات إلى الآخرة وهي إليك راحلة . . وهنا تبرز القاعدة « **إذا رأيت الرجل يشتري الخسيس بالنفيس ويبيع العظيم بالحقير فاعلم أنه سفيه** » . .

وكان **محمد بن السماك** على دراية بذلك . . فحين نظر إلى مقبرة صدح لسان النصح دون شعور « لا يغرنكم سكوت هذه القبور فينبغي للعاقل أن يكثر ذكر القبر قبل أن يدخله . . فما أكثر المغمومين فيها . . ولا يغرنكم استواء القبور فما أشد تفاوتهم » . .

ورحمة الله على الشافعي القائل :

خَلقتُ العبَادَ عَلى ما علمتْ … فَفي العلْم يَجْري الفتَىْ والمسنْ
عَلَى هَذا مننتُ وَهَذا خَذلتْ … وهذا أعنت و هذا لم تَعنْ
فَمِنْهم شَقيّ ومنهم سَعيدْ … ومنهم قبيح ومنهم حَسَنْ
وَمِنْهُم غنيّ ومنهُمْ فقيرْ … وَكُلٌ بأعْمَاله مُرتَهنْ

ما ظنكم بربكم ؟! وما ظنكم بحبيبكم ﷺ ؟!

ما ظنكم بربكم إذا وقفتم أمامه يوم القيامة وقد بارزتموه بالمعصية ؟وما ظنكم بربكم إذا نودي عليكم . . فلان بن فلان يهم للعرض على الجبار ؟ . . وأنتم على مثل حالكم لا تحاولون التصحيح . . ولا تشتاقون للتغيير ولا تتهافتون لطريق الصالحين وهدى خير المرسلين . . وما ظنكم بربكم وقد عصيتم أمره واتبعتم كلام غيره ؟وما ظنكم بحبيبكم ﷺ وقد أمركم فأهملتم ؟

أهذا هو الوجه الذي تريدون مقابلة ربكم به ؟

وهذا الخُلق الذى تودون به التماس الشفاعة ؟

ألا من معتبر ؟!

ألا يعتبر تارك الصلاة والمتهاون فيها بحال غيره وقد فارقه وهو يبكي دمًا لتضييعها ؟! **ألا تعتبر** المغرورة بمن لم يحفظ عورتها ويلبسها حجابها إلا الكفن ؟!! **ألا تعتبر** بمن تعرض زينتها ومفاتنها وغداً سيذوب جمالها في نار جهنم ؟! **ألا يعتبر** مطلق عينيه في العورات والتقاط النظرات وغدًا سيأكلها الدود ؟! **ألا يعتبر** مرتادو المواقع الإباحية بمن لقوا حتفهم أمامها وسيبعثون كذلك يوم القيامة ؟ **ألا يعتبر** من لسانه في الفحش والسب وقول القبيح وغدًا يخرص حين يسئل من ربك ؟ ومن نبيك ؟ وما دينك ؟ . .

ألا يعتبر المدخن بمن أهلكه دخانه وبمن دفنه ؟! **ألا يعتبر** من لا يصلي إلا الجمعة ومن لا يقرأ القرآن إلا في رمضان ومن لا يعيش إلا لملء فاه بالطعام وكظ خزائنه بالمال وهو غدًا بلا أنيس ولا جليس ؟!

يا من غرتك غفلتك أوأموالك أومناصبك . . كيف بك إذا حفر لك في الأرض مقدار أربع أذرع ؟!

﴿ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [لقمان: 33].

فاللهم يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك . .

اللهم ارحمنا إذا لم يزرنا زائر وإذا لم يذكرنا ذاكر . .

الدواء الموصوف ..

قال العلامة السمرقندي : « من أراد أن يكسر العجب والغرور فعليه بأربعة أشياء :

أولها : أن يرى التوفيق من الله تعالى فإذا رأى التوفيق من الله تعالى فإنه يشتغل بالشكر ولا يعجب بنفسه . .

الثاني : أن ينظر إلى النعماء التي أنعم الله بها عليه فإذا نظر نعماءه اشتغل بالشكر عليها ، واستقل عمله ولا يعجب به . .

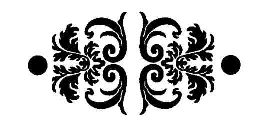
الثالث : أن يخاف ألا يتقبل منه فإذا اشتغل بخوف القبول لا يعجب بنفسه . .

الرابع: أن ينظر في ذنوبه التي أذنب قبل ذلك فإذا خاف أن ترجح سيئاته على حسناته فقد كسر العجب» . .

يا سادة . . ميزان الآخرة يحصي اللفظة وعدله أدق من الشعرة هذا الميزان سيحاسب عليه **بلال وسلمان وسعد وخالد** .. **وسمية والخنساء** وهو هو . . ما سَنقف أنت وأنا عليه ؟!!



كان **هرَم بن حيان** لم يزل مهموماً الشهر والدهر فإذا قيل له ذلك، يقول: ومن أولى مني بذلك وأنا لا أعرف ماذا إليه مصيري ؟!.





1 الإنابة القلبية

وأنيبوا إلى ربكم

يعرفها ابن القيم « الإنابة هي عكوف القلب على الله عز وجل كاعتكاف البدن في المسجد لا تفارقه وحقيق ذلك عكوف القلب على محبته وذكره بالإجلال والتعظيم وعكوف الجوارح على طاعته بالإخلاص له والمتابعة لرسوله» .

يا أخانا : ألم تجد قلبك يحن وروحك تشتاق لحب الله ورؤيته ؟! وحب رسوله ﷺ وإتباعه ؟! والسعي الدءوب في التعديل والتغيير والتصحيح فلا ترضى لنفسك بمنزلة العصاة . . ومنزلة ضعفاء الإيمان . . بل قلبك في سعي لا يتوقف .

إذا دخل النور القلب

فمن ثمرات حسن ظنك أن تجد هذا الميل فتجد التوبة عقب المعصية والسيئة تلحق بها الحسنة لتمحوها . . فيا من يعظه الدهر ولا يقبل وتنذره الأخبار بمن يرحل . . لا تحتقر نفسك فالتائب حبيب والمنكسر مستقيم وإقرارك بالإفلاس غنى واعترافك بالخطأ رجولة وتنكيس رأسك بالندم رفعة . . ومن جرب أدرك . . لذا بشر الحبيب ﷺ « **إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح ، قالوا : فما علامة ذلك يا رسول الله ؟ قال : الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزوله**» الترمذي . .

* * *



2 مراقبة ويقظة

معكم أينما كنتم

أيها العبد : راقب من يراك على كل حال وما زال نظره إليك في جميع الأفعال وطهر سرك فهو عليم بما يخطر بالبال . . واقرأ وتمعن : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: 4] . . فسمعها منك ابن كثير فعلق : «أي رقيب عليكم شهيد على أعمالكم

حيث كنتم وأين كنتم من بر وبحر فى ليل أو نهار فى البيوت والقفار الجميع فى علمه على السواء وتحت بصره وسمعه فيسمع كلامكم ويرى مكانكم ويعلم سركم ونجواكم » . . فهذه علامة وثمرة ثانية .

حديث مرعب

أرهبنا النبى ﷺ جميعا لنعيد حساباتنا من جديد فقال : « **لأعلمن أقوامًا من أمتى يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء فيجعلها الله هباءً منثوراً أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم قوم إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**» صحيح . .

وحُكى أن **زليخا** لما خلت **بيوسف** عليه السلام قامت فغطت وجه صنم كان لها فقال **يوسف** : مالك ؟! أتستحين من مراقبة جماد ولا أستحى من مراقبة الجبار !!

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل على رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أن ما تخفيه عنه يغيب

* * *



ثمرة ثالثة

علم أرباب القلوب أن الله تعالى لهم بالمرصاد . . وأنهم سيناقشون فى الحساب . . ويطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات . . وتحققوا أن لا ينجيهم إلا لزوم المحاسبة ومن لم يحاسب نفسه دامت حسراته وطالت يوم القيامة عرصاته ووقفاته وقادته إلى الخزي والمقت سيئاته . . قال تعالى : ﴿ **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً** ﴾ [الاسراء: 36] . . وكان أحدهم **الحسن** فكان يقول : « لا تلقى المؤمن إلا يعاتب نفسه ماذا أردت بكلمتى ؟! ماذا أردت بأكلتى ؟! ماذا أردت بشربتى ؟! والعاجز يمضى قدمًا لا يعاتب نفسه» . . ولذا استقامت النفس . .

محاسبة يتبعها عقاب

وقام بهذه التجربة **الأحنف** بن **قيس** حيث كان يضع إصبعه على المصباح ثم يقول : «حس . . **يا حُنيف** ما حملك على ما صنعت يوم كذا ؟! ما حملك على ما صنعت يوم كذا؟! » . . أى يوم لا تصلى الفجر فأكمل اليوم صائمًا . . تأخرت على صلاة الجماعة فلا تكمل غداءك . . فاتتك تلاوة بعض الآيات أخرج بعض الصدقات وهكذا . . فليكن هذا دأبك محاسبة دائمة وعقاب فورى ولذا ترتفع منزلتك ويتألق جبينك لانتصارك على نفسك وشيطانك .



4 السبق في الخيرات

قفزات استعجال

يقول ﷺ: «**من دل على خير فله مثل أجر فاعله**» مسلم . . حسنات تجدها في صحيفتك بلا تعب أو عناء؛ بكلمة بسيطة تنصح بها؛ بترديد حديث وسط أهلك أو أصدقائك، بنشر شريط أو إهداء كتيب، وليس حسب بل ما يبلغوه هم يصب في بحار حسناتك بلا تعب شريطة الإخلاص وابتغاء العمل لوجه الله . . ووالله الذي نفسك بيده إن الثواب يطل برأسه من كل جانب ومن كل ثقب ولكن عندنا الأرباح تذروها الرياح والفوائد فوايت . . وإن تيقظت فيمن حولك لاغترفت من الثواب ما ليس له تعداد . . والحسنة بعشر أمثالها وارفع شعار السباق ﴿ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ ﴾ [المطففين: 26] . . وهذه ثمرة وعلامة رابعة .

انضم لتيار الإصلاح

قال ﷺ : «**بادروا بالأعمال سبعًا قبل سبع : هل تنتظرون إلا فقرًا منسيًا أو غنى مطغيا أو مرضًا مفسدًا أو هرمًا مفندًا أو موتًا مجهزًا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة فالساعة أدهى وأمر**» حسن . .

ولما رأى **الحسن البصرى** أنه سيفيدك أكثر فأزاحنى جانبًا وقال : « رحم الله امرءًا نظر ففكر وفكر فاعتبر واعتبر فأبصر وأبصر فصبر ؛ لقد أبصر أقوام ولم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم فلم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا فخسروا الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين . . والموت على رؤوسكم والنار بين أيديكم » . . ويوقظك **عبد القادر الجيلانى** : « يا مقصر فى الأعمال ما تستحى ! قد رضيت بالبطالة فى نهارك وليلك وتريد ما عند الله عز وجل مع التقصير !! اهجم على الأعمال وكن أنت واعظ نفسك » . .

فَحَيَّ عَلى جَنَّات عَدْن فإنها	مَنازلكَ الأولَى وفيها المخيم
وَلَكننا سَبْيُ العَدو فهل تَرى	نَعود إلىْ أوطَاننا ونَسْلم

* (العدو : الدنيا والشهوات والشيطان والغرور)

* * *





• أربعة أشياء تشغلني

قيل لـ إبراهيم ابن أدهم لو جلست حتى نسمع منك شيئا . .

فقال : إنى مشغول بأربعة أشياء فلو فرغت منها لجلست معكم .

قيل وما هى؟

قال : تفكرت في يوم الميثاق من بنى آدم وقال الله عز وجل هؤلاء في الجنة . . وهؤلاء في النار فلم أدرى من أى الفريقين كنت أنا؟ . . وتفكرت في الولد إذ قضى الله بخلقه في بطن أمه ونفخ فيه الروح .

فقال الملك الذي وكل به : يارب أشقى أم سعيد ؟ .

فلم أدر كيف خرج جوابى في ذلك ؟ . . وتفكرت حين ينزل ملك الموت فإذا أراد أن يقبض روحى فيقول أمع المسلمين أم مع الكافرين ؟ .

فلم أدر كيف يخرج جوابي . . وتفكرت قوله : ﴿ وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: 59] فلا أدرى من أي الفريقين أكون . .

يا سادة : هذا ما شغل الصالحين فماذا شغلكم ؟ ! قليل من الاعتبار يرحمكم الله . .

* * *

وإلى اللقاء فى ..

قال ﷺ : « إن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة وليأتين عليها يوم وهى كظيظ من الزحام » صحيح . .

لذا أقول لك مهر الآخرة يسير قلب مخلص ولسان ذاكر وترنمات بالسحر وتأملات قرآنية وحسن خلق . . لأن من تبصر تصبر والعزم والجد مطية النجاح والغرور بداية النهاية والتوانى أبو الفقر والتفريط أخو الندم والكسل ابن عم الحسرة وما العز إلا تحت ثوب الكد والتعب وعلى قدر الاجتهاد تعلو الرتب . . وحسن الظن بالله فوق كل هذا وذاك .

وعند باب الجنة ووسط هذا الزحام يكون اللقاء !!..إن شاء الله

هل فاضت آبار المحبة من قلبك لربك ولنبيك ؟ وطاقت نفسك اشتياقًا لهم وحزنا على هجرانهم ؟! وأتودد إليك لاتكن من الغافلين فكم وعظوا ورفضوا وكم سمعوا وصموا فضمهم والله التراب وتقطعت بهم الأسباب .

يا معشر المقصرين .. قد بقى القليل

والأيام تناديكم : قد دنا الرحيل . . و صاحت نفوسكم : إلى الهدى إتنا . .

فابك بكاء المستغيث ونظف أذنك من الشيطان والنفس والهوى وجدد العهد مع ربك لتنال السراح و﴿ **إِنَّ هَٰذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلاً** ﴾ [المزمل: 19] . .

إن كنتم تسمعون ؟!!..

وأزف إليك البشرى الربانية : ﴿ **فَبَشِّرْ عِبَادِ ⑰ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ** ﴾ [الزمر: 17، 18] . .

فهل أنت منهم ؟ وإن لم.. فلم لا ؟..



الجولة الثانية

ميلاد جديد

﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا ﴾ [الأنفال: 70]

رِضاكَ خَير منَ الدنيـا وَمَا فيها | يا مُنْية القَلب قَاصيـها وَدَانيهَا
وَمَا ذَكرتكِ إلا همْتُ من طَربِ | كَـأن ذكرك ألحَـان أغنيهَا
فَنَظْرة منـك يا سُؤْلي ويا أمـلي | أشْهَى إلى منَ الدنيـا وما فيـهَا
وَلَيْـسَ للنفـسِ آمال تؤملهـا | سِوَى رضـاك فذا أقصى أمانيهَا



- إلى من عظمت غفلته وطالت غيبته ..

إلى من سَوَّفَ بالمتاب حتى شاب .. يا هذا إذا طردك مولاك عن بابه فلأى باب ترجع ؟! ..والى اى طريق تذهب ؟!..

وإلى اى جهة تقصد ؟!

- إلى من جربوا صنوف المعاصى وملوا تكرارها
- إلى القلوب التى حرمت حلاوة الإيمان ولذة القرآن
- إلى من يحاولون كثيرًا وفى انتظار فرصة النجاح والثبات

هلموا إلى ربكم ولبوا أمره .. وصالحوا نبيكم وذوقوا حبه فلعل وعسى يثمر عودكم وتطيب لكم الحياة

شريف



يا الله..يا الله

يقول صاحب لا تحزن : «إذا ضل الحادي في الصحراء . . ومال الركب عن الطريق وحارت القافلة . . نادوا : يا الله . .

إذا أوصدت الأبواب أمام الطالبين وأسدلت الستور في وجوه السائلين . . صاحوا : يا الله . .

إذا ضاقت عليك الأرض بما رحبت وضاقت عليك نفسك بما حملت فاهتف : يا الله . .

إذا بارت الحيل وضاقت السبل وانتهت الآمال وتقطعت الحبال نادوا : يا الله . .»

يارب : ألق على العيون الساهرة نعاساً أمنةً منك . . وعلى النفوس المضطربة سكينة وأثبها فتحاً قريباً .

يارب : اهد حيارى البصائر إلى نورك . . وضلال المناهج إلى صراطك . . والزائغين عن السبيل إلى هداك . .

اللهم أزل الوساوس بفجر صادق من النور . . وأزهق باطل الضمائر بفيلق من الحق . . ورد كيد الشيطان بمدد من جنود عونك مسومين .

تفاؤل مُبشــر

ورد في الأثر : « أن الشاب إذا بكى من ذنوبه واعترف بعيوبه فقال : إلهي أنا أسأت .

فيقول الله تعالى : وأنا سترت .

فيقول : إلهي وأنا ندمت .

فيقول : وأنا علمت .

فيقول : إلهي رجعت .

فيقول الله تعالى : قبلت أيها الشاب . . إذا تبت ثم نقضت فلا تستحى أن ترجع إلينا ثانيًا ؛ وإذا نقضت ثانيًا فلا يمنعك الحياء أن تأتينا ثالثًا وإذا نقضت ثالثًا فارجع إلينا رابعًا . .

فأنا الجواد الذى لا أبخل؛ وأنا الحليم الذى لا أعجل؛ وأنا الذى أستر على المعاصى وأقبل التائبين وأعفو عن الخاطئين وأرحم النادمين وأنا أرحم الراحمين . .

من ذا الذى أتى إلى بابنا فرددناه . . من ذا الذى لجأ إلى جنابنا فطردناه . . من ذا الذى تاب إلينا وما قبلناه . . من ذا الذى طلب منا فما أعطيناه . . من ذا الذى استقال من ذنبه فما غفرناه . . أنا الذى أغفر الذنوب وأستر العيوب وأغيث المكروب وأرحم الباكى الندوب وأنا علام الغيوب » .

أقول لكم

عن تجربة عانيتها . . وأيام عشتها . . كم خُدعنا بالأماني الكاذبة والخيالات الفارغة؟! وكم غفلنا عن طرق ربنا مرارًا وتكرارًا ؟! لأن من أعظم مصائب هذا الزمان خسة الهمم وبرود العزائم وفتور الأرواح . . انشغال بما يلهي . . إصرار على الهلاك . . لا في العبادة مستمرين ولا في عمل الآخرة مجتهدين ولا في معالي الأمور مغامرين . . وعند الإنسان عمر واحد إما وإما . . ونفس واحدة إما وإما . . وقلب واحد إما وإما . . ومن ورائهم إما نار وإما جنة . .

سيل يفاجىء السابحين

ممكن خمس دقائق وركعتين . . كلمة يلفظها البعض عند الفراق . . ولكن . . لا فائدة . . فنحذر ونحذر من مراتع الغفلة ولكن العقل في حجاب كثيف يحتاج إلى مطارق قوية تهزه هزاً عنيفاً وتقلقله قلقاً شديداً حتى يعود إلى رشده . . ويستعمل معك العارفين كل ما معهم من آلات تنبيه قائلين : «إن ملك الموت إذا ظهر للعبد أعلمه أنه بقى من عمرك ساعة وأنك لا تستأخر عنها طرفة عين فيبدو للعبد من الأسف والحسرة ما لو كانت الدنيا بحذافيرها لخرج منها على أن يضم إلى تلك الساعة ساعة أخرى ليستعتب فيها ويتدارك تفريطه فلا يجد إليه سبيلاً ﴿ **مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ⑩ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا** ﴾ [المنافقون:10، 11]. .

فيا أخانا ويا أختنا ما حالك وكأنك تردد :

يا ملك الموت : أخرني يومًا أعتذر فيه إلى ربي وأتوب وأتزود صالحًا لنفسي ولكن : فنيت الأيام فلا يوم !!

يا ملك الموت : فأخرني ساعة . . ولكن : فنيت الساعات فلا ساعة ولا دقيقة ولا ثانية . .

فأين الطعام اللذيذ الذي أكلته أمس ؟! أين الماء البارد الذي ارتويته ؟! أين اللذة التي تمتعت بها ؟! لا أثر ولا حلاوة ولا متعة . . وبعد . . ولا زال في العمر بقية ولا زال هناك خيوط أمل . . ولا زلت تقرأ ؟!!

ألا يشرح صدرك .. ويزيل همك وغمك ويجلب سعادة قلبك قول ربك ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ [الزمر: 35].

يا عبادي .. يا لها من كلمة تألف لها القلوب وتأنس معها الأرواح وتلتف حولها النفوس بل .. والذين أسرفوا .. أي أذنبوا وأذنبوا وأذنبوا .. وهو ما ترجمه **سعيد بن المسيب في قوله** : ﴿ **فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا** ﴾ [الإسراء: 25]. «نزلت في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب» .. فمهما بلغ الذنب عنان السماء .. وناطح القمم الشماء .. وبلغ ذرا السحاب .. وفاق عدد الرمال والذرات .. فلا تيأس ولا تهتف : لا فائدة ولا حل .. لأن لك رب هو من نادى « **يا عبادي :إنكم تذنبون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم** » .. **سبحانه** .. بابه مفتوح للطالبين .. وجناب رحمته ينادي الغافلين .. فاخرجوا من دائرة المذنبين المقصرين .. وبادروا مبادرة التائبين الصادقين وتعرضوا لنسمات الرحمة تخلصوا ..

* * *

هز قلبك وسله: ألا تستغرب حالك؟!

تَقَضى العمر وتَقَدم الزمن وضاع الدهر .. لا همة عالية ولا توبة نصوح ولا تنافس في الخيرات ولا وثبة إلى الجنة ..

أخي التائب : إلى متى الوقوف والركب أمامك ؟! التفت من حولك فلا شيء يقف مكانه إلا أنت ..

كفى مماطلة .. كفى تسويف .. كفى رقاد ..

استفق من سكار الغفلة وسنه العطلة وأفسح لنفسك المجال مع حب ربك والشوق لنبيك وصدقني حين ذلك قد رزقت الحياة السعيدة ..

يَا ربِّ إن عظمتْ ذنوبي كثرةً	**فلقدْ علمت أن عَفْوك أعظَمُ**
إن كان لا يرجوك إلا محسنٌ	**فمن الذي يَدْعو ويرجو المجرمُ**
أدعوك ربي كما أمرت تَضرعاً	**فلئن رددت يدى فمن ذا يرحمُ**
مَالي إليْك وسيلة إلا الرَّجَا	**وَجَميل عَفْوك ثم إني مسْلمُ**



❶ ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [النور: 31]

أرى ضيقاً في صدرك . . وتأففاً في نفسك . . وكأنك تقول التوبة . . أعرفها . . وهل مثلي لا يعرف التوبة ؟!!! . . ولكنى استأذن عقلك ثانيتين لأقول : أن هذه الآية كما قال أهل العلم : « خاطب الله بها أهل الإيمان وخيار خلقه أن يتوبوا إليه وعلق الفلاح بالتوبة » . . فهل ستكون واحدًا منهم ؟!

وإذا لم تقتنع فأقرأ هذه ﴿ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الحجرات: 11] فإلى متى تظلم نفسك معك ؟! . . ولعل هذا السؤال يتردد منك . . ليس عندي كبائر . . وليس عندي عظائم ذنوب . . فبالله عليك إلا هذه إذ لا نقصد التوبة من مثل ذلك وفقط بل التوبة من التقصير ومن منا لا يذنب أو قل ليس بمقصر ويفطمك عن غفلتك حبيبك ﷺ « **يا أيها الناس توبوا إلى الله فوالله إني لأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة** » صحيح . . وآخر لم يتب فى حياته مرة واحدة ؟!

❷ ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ [الحشر: 19]

وهو ما أوضحه ابن القيم «أن الله عاقبه بأن أنساه نفسه أى أنساه مصالحها وما ينجيها من عذابه وما يوجب لها الحياة الأبدية وكمال لذتها وسرورها ونعيمها فأنساه الله ذلك كله جزاء لما نسيه من عظمته وخوفه والقيام بأمره فترى العاصى مهملاً لمصالح نفسه مضيعًا لها قد أغفل قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان أمره فرطاً قد انفرطت عليه مصالح دنياه وآخرته وقد فرط فى سعادته الأبدية واستبدل بها أدنى ما يكون من لذه»، ولذا قال ربك : « **ما أقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل ؛ كيف أجود برحمتي على من بخل بطاعتي** » .

❸ ﴿ تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا ﴾ [التحريم: 8]

آية عقلها جيدًا الإمام الجيلانى فحثنا وقال : « انتهزوا واغتنموا باب الحياة مادام مفتوحا وعن قريب يغلق عنكم ؛ اغتنموا أفعال الخير ما دمتم قادرين عليها ؛ اغتنموا باب التوبة

وادخلوا فيه مادام مفتوحًا لكم ؛ اغتنموا باب الدعاء فهو مفتوح لكم ؛ اغتنموا باب مزاحمة إخوانكم الصالحين فهو مفتوح لكم . . **يا قوم** : ابنوا ما نقضتم ؛ اغسلوا ما نجستم ؛ أصلحوا ما أفسدتم صفوا ما كدرتم ؛ ارجعوا إلى مولاكم . . ولا تكسلوا فإن الكسلان يكون أبداً محرومًا » . .

وهو حال الرجل الذى سأل **بن مسعود** : «عملت ذنبًا هل من توبة ؟! فالتفت إليه فرأى عينه تذرفان الدموع فبشره قائلا : **إن للجنة ثمانية أبواب كلها تفتح وتغلق إلا باب التوبة فإن عليه ملكًا موكلاً لا يغلقه إلى يوم القيامة فلا تيأس من رحمة الله**» .

❹ ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ ﴾ [البقرة: 222] .

قال **النابلسى** فى ذكر التواب : « أى كثير التوبة . . بمعنى أنه كلما تاب من الذنب ثم عاد إليه ثانيًا بتقدير الله تعالى يتوب منه ثانيًا ولا يصر على شىء من الذنوب وذكر اسم الله الجامع « الله» في محبته للتوابين دون بقية الأسماء زيادة بشارة لهم بنهاية قربه » . . وبريق هذه المحبة انعكس على قلب **يحى بن معاذ** فكان إذا سمع قوله تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾ [طه:44] هتف : « إلهي إذا كان هذا قولك فى حق من قال : أنا ربكم الأعلى . . فكيف يكون رفقك بمن لا يشرك بك شيئا ؟! بل يعلم أنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك» .

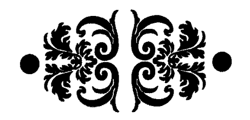
❺ ﴿ وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾ [آل عمران: 133] . .

أى بادروا بالطاعة والقرب إلى ربكم وقارنوا بين لذة من الدنيا تجلب الحسرة والندامة . . ولذة من الجنة يطير بها القلب محلقا حول العرش وبرفقة الحبيب ﷺ والصحب الكرام وأترك المكان **لابن عباس** إذ يخبرك : « تقترن السماوات والأرض بعضهما إلى بعض فذلك عرض الجنة » . . ولأن **الإمام الطبراني** يحب الإيضاح فقال : « لما خلق الله الجنة قال لها : امتدى . . قالت : يا رب كيف امتد ؟! قال : امتدى مائة ألف عام فامتدت . . ثم قال لها : امتدى . . قالت : يا رب إلى كم ؟! قال : امتدى مقدار رحمتي فهى تمتد إلى أبد الآبدين ليس لها طرف كما أن رحمة الله ليس لها طرف » . .

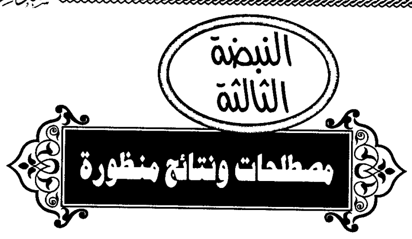
فيا يا حبيب ويا حبيبة رسول الله ﷺ . . كم اشتريت منها ؟! وفى أى جنة يكون السكن ؟!

* * والآن أرى وجهك أشرقت عليه الابتسامة وأطلت منه بشريات التفاؤل . . ذلك لأن الغفلة والشيطان حين ينسجان خيوطهما على القلب يجعلان التوبة ثقيلة ثقل الجبال وترفضها أذناك ولابد منها إذ هى مفتاح الجنة ولا غيره يفيد .

يا مسكين : لو نظرت على ذنوبك لأهلكتك ولو لاحظت تقصيرك لذبلت . . **حقًا** أختنا وأخانا . . ما المانع من أن تقبل على الله فلازال بابه مفتوح ولا يزال فى عمرك كبعض نوح ؟! وما دام قلبك ينبض وروحك تتحرك ونفسك يخرج فالإمكانية موجودة . . وقل وداعا للتكاسل والهوان . . . ووداعاً لأصحاب السوء . . . وداعاً لاتباع خطوات الشيطان فالرب ينتظرك الآن ويناشدك أما أفقت نفسك بعد وشددت رحل قلبك مسارعاً « **لبيك ربى لبيك ربى** » . . وقبل أن تكمل . . هل ذاق قلبك حلاوة تلك الكلمات ؟! كررها لعل الاستيقاظ يدق بابك والانتباه يكون حالك والطاعة تصير عنوانك . . وكفى هجران غير جميل لطريق الجنان . .


علامة تعجب!!

ويتعجب ابن الجوزى مستفهمًا إياك « لو علق بثوبك مسمار رجعت إلى الوراء لتخلصه وهذا مسمار الأضرار والذنوب قد تشبث بقلبك فلو عدت للندم خطوتين تخلصت ويحك اعرف ما ضاع منك وابك بكاء من يدرى قيمة الفائت» .



اختلاف بيّن

يقول **ابن القيم** : « الغفلة نوم القلب ولهذا تجد كثيراً من الأيقاظ فى الحس نياما فى الواقع فتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ضد حال من يكون يقظان القلب وهو نائم فإن القلب إذا قويت فيه الحياة لا ينام إذا نام البدن فالغفلة واليقظة يكونان فى الحس والعقل والقلب فمستيقظ القلب وغافلة كمستيقظ البدن ونائمة » واستشف بقلبك كلمات ابن عطاء « **علامة موت القلب ثلاثة : عدم الحزن على ما فات من الطاعات ؛ وترك الندم على ما فعلت من الزلات ؛ وصحبتك للغافلين الأموات** » . .

أسقط كلماته على قلبك ثم حدد الطريق وأوقد نار الندم المحرقة لحطب الذنوب ودموع الأسف الغاسلة لأوحال الخطايا ونور العزيمة الصادقة المصممة على عدم العودة مهما راودت المغريات أو سنحت الأحوال . .

التوبة .. سلعة قلّ مشتريها

لماذا هذه التوبة ؟!

إذا كان هذا سؤال حالك . . فيجيب **الإمام الغزالي** « لأمرين . . **أحدهما** : ليحصل لك توفيق الطاعة فإن شؤم الذنوب يورث الحرمان ويعقب الخذلان وإن قيد الذنوب يمنع عن المشي إلى طاعة الله عز وجل والمسارعة إلى خدمته لأن ثقل الذنوب يمنع من الخفة للخيرات والنشاط في الطاعات وإن الإصرار على الذنوب يسود القلب فتجده في ظلمة وقساوة لا خلاص فيها ولا صفاوه ولا لذة ولا حلاوة . . **وثانيهما** : إنما تلزمك التوبة لتقبل منك عبادتك فإن رب الديّن لا يقبل الهدية وذلك أن التوبة عن المعاصي فرض لازم وعامة العبادة التي نقصدها نفل فكيف يقبل منك تبرعك والديّن عليك حال لم تقضه؟! وكيف تترك لأجله الحلال والمباح وأنت مصر على فعل المحظور والحرام ؟!» .

وإذا سئلت : لماذا أخفى الله الموت والقيامة ؟! يسارع بالرد **العلامة العلائى** فى تفسيره «إن الله تعالى قد وعد بقبول التوبة . . فلو بيّن ذلك لتمادى العبد فى المعصية إلى ذلك الوقت فيكون كالإغراء على الفعل» .

وآثر صاحب المدارج التلخيص فقال : «المقصود من التوبة تقوى الله وخشية الله والقيام بأمر الله واجتناب نهي الله فيعمل بطاعة الله ويرجو ثواب الله ويترك معصية الله ويخاف عقاب الله وهو على نور من الله » . . أي ليست توبة لأشخاص أو رهبة من الناس أو طلب ثناء وصيت أوشهرة ومنصب .

حتى تكتمل الصورة .. شروط ثلاثة

* **أولاً : تـــرك**

ترك الذنب على الفور ويتوب من ذنوبه التي سبقت حيث هناك ذنوب يتناساها الفرد أو ربما يتعدى مرحلة الذنب مثل ذنب الشباب وهو في سن الكهولة أو ذنب كالكذب أو الغيبة أو النميمة أو ذنوب نسيتها ثم تتذكرها فيما بعد في خلواتك لخوف **ابن عباس** عليك «كم من تائب يأتي يوم القيامة وما هو بتائب » .

* **ثانياً : لا عـودة**

ويفيدك أهل العلم « وهو أن توطن قلبك وتجرد عزمك على أنك لا تعود إلى الذنب البتة . . أما ترك الذنب وفي نفسك أنه ربما تعود إليه فإنه ربما وقع لك العود فإنك ممتنع عن الذنب غير تائب» .

* **ثالثاً : نـــدم**

وهو الوقود القلبي والمحرك الفعلي لصدقها وقبولها . . حيث ربما تأتي لتتوب فتراوغك حلاوة الذنب والتلذذ به فتتركها ولذا فهذه التوبة تحتاج لتوبة وتأخذ بيد نفسك للندم لأن النبي ﷺ لخص كل ذلك « **الندم توبة** » صحيح . .

فهم خاطىء

ولأن الصراحة عنواننا والصلاح هدفنا والجنة مطلبنا فاستشرنا أحد الخبراء في تلك الخطأ الشائع وهو ما ستعرف إجابته مباشرة دون معرفة السؤال فأجاب طبيب الداء **ابن القيم** « كثير من الناس يظن أنه لو فعل ما فعل ثم قال « أستغفر الله» زال الذنب وراح هذا بهذا وإذا عوتب على ذلك سرد ما يحفظه من سعة رحمة الله ولكن هذا اغترار بالله حيث يظن أن الله غني عن عذابه وعذابه لا يزيد في ملكه شيء ورحمته لا تنقص من ملكه شيئًا وهذا فهم خاطئ» . .

وفى مزامير داود « **أتدرى لمن أغفر من عبادى ؟! قال : لمن يا رب ؟! قال : الذى إذا أذنب ذنبا ارتعدت لذلك مفاصلة ذاك الذى آمر الملائكة أن لا تكتب عليه ذلك الذنب** » رواه احمد فى الزهد بسنده .

همسة :

قال الفضيل بن عياض : « **استغفار الله بلا إقلاع توبة الكذابين** » .



أول خطـوة

أنشد السلف قاصدين قلبك «أول التوبة يقظة من الله تعالى تقع في القلب فيتذكر العبد تفريطه وإساءته وكثرة جناياته ومعاصيه مع دوام نعم الله تعالى عليه فيعلم أن الذنوب سموم قاتلة يخاف منها حصول المكروه وفوات رضا الله ورسوله في الدنيا والآخرة . . فإذا حصل له هذا العلم أثمر حالاً هو الندم على تضييع حق الله تعالى ثم يثمر الندم عملاً وهو المبادرة إلى الخيرات وقضاء الواجبات والطاعات ورد الظلامات والعزم على إصلاح ما هو آت» .

تعلم فن الندم

ربما يجيء الإنسان ليعلن التوبة والانتصار على النفس والهوى والشيطان ويتسلم درع الجنة فيهيم القلب أو ينشغل العقل بما فعل من أوزار فيقول فى نفسه كيف أندم ؟! ولا أعرف كيف ذلك ؟! ولأننا اتفقنا على إعلان التوبة وإقامة مراسم الاحتفال خلال دقائق فاستعن بذلك كى تحقق الندم . .

اقرأ واسبح واسمع عن سعة رحمة الله وعظيم عفوه واستمع لنصائح نبيك وصحابته واقرأ قصص التائبين واسمع عن مملكة الجنة وأقلها أن عرضها كعرض السماء والأرض فما بالك بطولها . . نعيم أبدى . . وفي ذلك الحين آخر بين طبقات النيران . .

أحوال تجلب الشرق

وأقلها أن أهل النار يجزعون ألف سنة ثم يقولون كنا في الدنيا إذا صبرنا كان لنا الفرج ويصبرون ألف سنة فلا يخفف عنه فيقولون : ﴿ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: 21] فيدعون الله تعالى الغيث ألف سنة لما بهم من العطش وشدة العذاب لكي يزول عنهم الحرارة والعطش فإذا تضرعوا ألف سنة يقول الله تعالى لجبريل : أي شيء طلبون ؟! فيقول جبريل : يا رب أنت أعلم إنهم يسألون الغيث . . فتظهر لهم سحابة حمراء فيظنوا أنهم يمطرون فترسل عليهم العقارب كأمثال البغال فتلدغ الواحد منهم فلا

يذهب عنه الوجع ألف سنة ثم يسألون الله تعالى ألف سنة أن يرزقهم الغيث فتظهر لهم سحابة لسعة لا يذهب وجعها ألف سنة . . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴾ [النحل: 88] . .

نضوج عاقل

فالندم على الذنب والتقصير أنفع أم عض أصابع الندم عند قول الجبار لأهل النار ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴾ [المؤمنون: 108] ؟! .

فالندم على الذنب والتقصير أنفع أم الندم على فوات شفاعة الحبيب ﷺ وضياع العرش ؟!

فالندم على الذنب والتقصير أنفع أم الندم وزميلى بين أحضان النبى ﷺ ويشربه بيده شربة لا ظمأ بعدها وأنا سابح فى العرق والحر والعطش والأهوال ؟!

فأيهم أنفع يا حبيب رسول الله ﷺ ؟!!

تذكرة ربانية

روى أن الله أنزل فى **صحف إبراهيم** . . . ، ،

عبدى . . أذكرك وتنسانى وأسترك ولا ترعانى لو أمرت الأرض لابتلعتك من حينها أو البحار لأغرقتك فى معينها . . ولكن . . أحميك بقدرتى وأمدك بقوتى وأؤخرك إلى أجل أجلته ووقت وقته . . فلا بد لك من الورود علىّ والوقوف بين يدىّ، أعدد عليك أعمالك وأذكر أفعالك حتى إذا أيقنت بالبوار وقلت لا محالة أنك من أهل النار أوليتك غفرانى ومنحتك رضوانى وغفرت لك الذنوب والأوزار وقلت لا تحزن . . فمن أجلك سميت نفسى الغفار» . .

أَتُعرِضُ عَنَّا والجنانُ فسيحُ	**وتهرب منا إن ذا لقبيحُ**
وَنَدْعُوك للحُسْنى ونمنحك الرضَا	**وأنت لأسباب البِعاد طروحُ**
وكم مَرَّة جاءتك منَّا رسَائل	**وفيها خِطَاب لو سمعتَ فصيحُ**

تعقيبات هادفة

يا قليل البضاعة بل يا مفلس : يا من معاصيه جمة مشهورة ونفسه بما يجني عليها مسرورة إليك الأمر كما تشاء . . عظمت ذنوبك فمتى تدرك بل وصرت في تحصيل الذنوب محترف فتش عن قلبك واطلبه مع ربه ؛ تفكر في عمرك ولو قليلاً حدث نفسك

ولو همساً . . أتناسيت موتك أم نوم حفرتك؟! أيام عمرك قصيرة فلا تضيعها وأنت على بصيرة؟! وكما أفهمك **المحاسبى** « فإلى الله فارغب فى التوفيق وإياه فسل العفو وبه فاستعن فى كل الأمور فعجبت كيف تقر عينك ؟! أو كيف يزايل الوجل والإشفاق قلبك ؟! وقد عصيت ربك واستوجبت بعصيانك غضبه وعقابه والموت لا محالة نازل بك بكربه وغصصه ونزعه وسكراته » .

قَدْ كَان عُمْرك مِيلاً فأصبح الميل شبراً
وأَصْبح الشبر عقداً فَاحْفُر لنفْسك قَبْراً

آه .. لو نتدبر

يقول لك **ابن الجوزي** : (آه للسان نطق بإثم كيف يغفل عن قوله : ﴿**الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ**﴾ [يس: 65] . . آه ليد امتدت للحرام كيف نسيت ﴿**وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ**﴾ [يس: 65] . . آه لقدم سعت في الآثام كيف لم تتدبر ﴿**وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم**﴾ [يس: 65] .

آه لجسد ربا على الربا والحرام أما سمع منادي التحذير ﴿ **فَلا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ** ﴾ [الروم: 39] . . آه لفم فغره لتفريغ الكذب والغيبة والنميمة والمهلكات أما بلغه « **فاجتنبوه** ») . . هبت والله دبور الذنوب فتركت الأجساد بلا قلوب . .

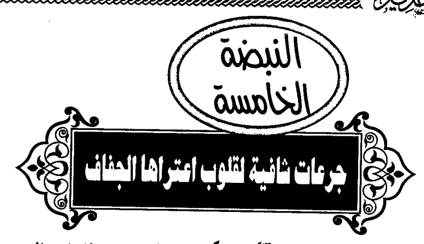
أليس كذلك !!

يا مسكين : قلب العاصى تائه فى ثلاثة : حزين على ما مضى ؛ مهموم بما يستقبل ؛ مغموم فى الحال . . فهل هذه حياة ؟

همسة :

قال **عبد الله بن خبيق** «الرجال ثلاثة : رجل عمل حسنة فهو يرجو قبولها ورجل عمل سيئة ثم تاب فهو يرجو المغفرة ورجل كاذب يتمادى في الذنوب» . . **فتعرف على نفسك ؟!**





* أيا مشتاقًا لربه : أهداك النبي ﷺ قبساً من مشكاته : «**إذا تاب العبد من ذنوبه أنسى الله عز وجل حفظته ذنوبه وأنسى ذلك جوارحه ومعالمه من الأرض حتى يلقى الله يوم القيامة وليس عليه شاهد من الله بذنب**» ابن عساكر والحاكم والترمذي . . **ألك تعليق بعد ذلك؟!** إلا المبادرة والهمة ؟!

* قال موسى : يا رب إذا سألك الطائع ماذا تقول له ؟ قال : أقول : لبيك . . قال : فالزاهد ؟! قال : أقول : لبيك . . قال : فالصائم ؟! قال : أقول : لبيك . . قال : فالخاطىء ؟! قال : أقول : لبيك لبيك لبيك . . يا موسى كل واحد من هؤلاء يتكل على عمله والعاصي يتكل على رحمتي وأنا لا أخيب عبدا اتكل على لأنى قلت : ﴿ **وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ** ﴾ [الطلاق : 3] .

* أما آن الوقت ؟! أما حان الود ؟!! يا حبيب قلبى . . إن الله يحبك فلا تكن ناكراً للجميل . . و **هو منهاج تلك القصة** : تاب شاب ثم وقع فى الذنب والتقصير مرة أخرى ففكر لو تاب هل يقبله الله فسمع هاتف « **يا فلان أطعتنا فشكرناك ثم تركتنا فتركناك وان عدت إلينا قبلناك** » . . ألم أقل لك ؟! . .

* انهل من رحمته الواسعة وما قاله السلف : « ما من عبد يعص إلا استأذن مكانة من الأرض أن يخسف به واستأذن سقفه من السماء أن يسقط عليه كسفًا . . **فيقول الله تعالى** : للأرض والسماء : كُفا عن عبدي وأمهلاه فإنكما لم تخلقاه ولو خلقتماه لرحمتماه ولعله يتوب إليَّ فاغفر له ولعله يستبدل صالحًا فأبدله حسنات » .

* حين ندم أحد العباد وأتى **رابعة العدوية** سائلاً : إني أكثرت من الذنوب والخطايا أفتراه إن تبت يقبلني ؟! فقالت : ويحك أم سمعته يدعو المدبرين عنه فكيف لا يقبل المقبلين عليه ؟!» عاود القراءة وتأمل

يا مَنْ أساء فيما مضى ثم اعترفْ ... كُنْ محسناً فيما بقى تلقي الشرفْ
واسْمَعْ كَـــلام الله في تنــزيله ... إن ينتهـــوا يغفر لهم ما قد سلفْ
وَبادِرْ إلى التـــوبة في وقتـــها ... فالمرءُ مرهـــونٌ بما قد فعـــلْ



1 ثعلبة بن عبد الرحمن

هو فتى من الأنصار وكان يخدم النبى ﷺ ويخفف عنه وبعثه رسول الله ﷺ فى حاجة له فمر بباب رجل من الأنصار فرأى امرأة من الأنصار تغتسل وخاف بنزول الوحى عليه ﷺ يخبره بما صنع فخرج هاربًا على وجهه ودخل فى جبال بين مكة والمدينة ففقده النبى ﷺ أربعين يومًا فنزل **جبريل** ﷺ على النبى ﷺ فقال له : «**يا محمد** . . إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك : إن رجلاً من أمتك بين هذه الجبال يتعوذ بى .

فقال ﷺ : يا **عمر** ويا **سلمان** انطلقا فأتيانى **بثعلبة بن عبد الرحمن** . . فخرجا بحثاً عليه فقابلا راعيًا فسألاه عن شاب يقع بين هذه الجبال . .

فقال : لعلك تريد الهارب من جهنم ؛ فقال له : وما علمك بأنه هارب من جهنم ؟!

قال : لأنه إذا كان جوف الليل خرج علينا من بين هذه الجبال واضعًا يده على أم رأسه وهو ينادى « يا ليتك قبضت روحى فى الأرواح وجسدى فى الأجساد ولم تجردنى لفصل القضاء»

فقال **عمر** : إياه نريد . . فانطلق بهما . . وحين وجده **عمر** احتضنه، فقال له **ثعلبة** : هل علم رسول الله ﷺ بذنبى ؟!

قال : لا علم لى . . وطلب منه **ثعلبه** ألا يُدخله على النبى ﷺ إلا وهو فى الصلاة . . فابتدر **عمر** و**سلمان** الصف فلما سمع **ثعلبة** قراءة النبى ﷺ خر مغشيًا عليه فلما سلم النبى ﷺ قال : **يا عمر . . يا سلمان . . ما فعل ثعلبه ؟!**

قالا : ها هو ذا يا رسول الله . . فقام النبى ﷺ فحركه فانتبه . .

فقال له رسول الله ﷺ : ما غيبك عنى ؟!

قال : ذنبى يا رسول الله . .

قال : أفلا أدلك على آية تمحو الذنوب والخطايا ؟!

قال : بلى يا رسول الله . .

قال : قل ﴿ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [البقرة:200]

قال : ذنبى يا رسول الله أعظم . .

قال : «بل كلام الله أعظم »، ثم أمره بالانصراف إلى منزله فمرض ثمانية أيام ؛

فقال سلمان : يا رسول الله هل لك فى ثعلبه فإنه قد هلك ؟! . .

فقال رسول الله ﷺ قوموا بنا إليه . . فدخل عليه ﷺ فوضع رأسه فى حجره فأزال ثعلبة رأسه فقال له ﷺ : «لم أزلت رأسك عن حجرى ؟!» . .

قال : لأنه ملآن من الذنوب.

قال : «ما تشتكى ؟!».

قال : مثل دبيب النمل بين عظمى ولحمى وجلدى . .

قال ﷺ : «ما تشتهى ؟!».

قال : مغفرة ربى . .

فنزل جبريل عليه السلام فقال : يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول لك : لو أن عبدى هذا لقينى بقراب الأرض خطايا لقيته بقرابها مغفرة . . فأعلمه النبى ﷺ . . فصاح صيحة فمات . . فأمر النبى ﷺ بغسله وتكفينه فلما صلى عليه جعل يمشى على أطراف أنامله فلما دفنه . .

قيل له : يا رسول الله رأيناك تمشى على أطراف أناملك ؟!

قال : «والذى بعثنى بالحق نبيًا ما قدرت أن أضع قدمى على الأرض من كثرة من نزل من الملائكة لتشييعه» !! (أعد القراءة ثانية ومَثِّل هذا الموقف معك) . .

2 توبة من آية :

نزل منصور بن عمار فى سكك الكوفة فى ليلة مظلمة فإذ بصارخ فى جوف الليل يقول : إلهي ! وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك وقد عصيتك إذ عصيتك وما أنا بنكالك جاهل ولكن خطيئة عُرضت لى أعاننى عليها شقائى وغرنى سترك المرخى على؛ وقد عصيتك بجهدى وخالفتك بجهلى ولك الحجة على ؟ فالآن من عذابك من

يستنقذني ؟ وبحبل من أتصل إذا قطعت حبلك مني ؟ واشباباه واشباباه !

قال : فلما فرغ من قوله تلوت قوله تعالى : ﴿ **نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدَادٌ** ﴾ [التحريم: 6] فسمعت حركة شديدة ثم لم أسمع بعدها حسًا فمضيت فلما كان من الغد رجعت من الطريق وإذ بجنازة قد وُضعت وإذا بعجوز كبير فسألتها ولم تكن تعرفني ؛ فقالت : هذا رجل لا جزاه الله إلا جزاءه ! مر بابني البارحة وهو قائم يصلي فتلا آية من كتاب الله ولما سمعها ابني تفطرت مرارته فوقع ميتا . .

يا أختاه : أما آن لك أن تحاسبي نفسك ..

3 زاذان الكندي

مر ذات يوم **عبد الله بن مسعود** على أحد نواحي الكوفة فرأى شبان يشربون الخمر وفيهم مغنى يسمى **زاذان** يغني وكان له صوت حسن . . فلما سمعه **ابن مسعود** قال : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله ؟! وجعل الرداء على رأسه ومضى . . فسمع **زاذان** قوله .

فقال : من كان هذا ؟! قالوا : **عبد الله بن مسعود** صاحب رسول الله ﷺ . .

قال : وأي شيء قال ؟! قالوا : ما أحسن هذا الصوت لو كان بقراءة كتاب الله ؟! فقام وضرب بالعود على الأرض فكسره ثم أسرع فأدرك **ابن مسعود** وجعل يبكي بين يديه فاعتنقه **ابن مسعود** وجعل يبكي كل واحد منهما . .

ثم قال **ابن مسعود** : كيف لا أحب من قد أحبه الله . . فتاب إلى الله من ذنوبه ولازم **ابن مسعود** حتى تعلم القرآن وأخذ حظًا وافرًا من العلم حتى صار إمامًا في العلم . .

ويا سبحان مغير الأحوال

أيا شابًا لربِّ العرش عاصي	**أتدري ما جزاء ذوي المعاصي**
سعيرٌ للعصاة لها زفيرُ	**وغيظ يوم يؤخذ بالنواصي**
فإن تصبر على النيران فاعصه	**وإلا كن عن العصيان قاصي**
وفيما قد كسبتَ من الخطايا	**رهنت النفس فاجْهد في الخلاص**

همسة :

قال أحد الصالحين : «إن العبد ليذنب الذنب فيدخل به الجنة فقيل كيف ذلك ؟ قال : يكون نصب عينه تائبًا منه فارًا حتى يدخله الجنة » . .

وإياك وهذه

كان لمنصور بن عمار صديق مسرف على نفسه ثم تاب وكان كثير العبادة والتهجد فافتقده أيام فإذ به مريض فذهب يستكشف خبره وحين دخل عليه رأى ما لم يكن يحسبه فوجده مضطجع على فراشه وقد اسود وجهه وازرقت عيناه وغلظت شفتاه فارتجف منصور وقال له :

يا أخي أكثر من قول لا اله إلا الله ففتح عينيه ونظر إليه شزرا وغشى عليه فقال له ثانياً وثالثًا . .

فرد عليه : يا منصور هذه كلمة قد حيل بيني وبينها !!! . .

فقال : لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال : يا أخي أين تلك الصلاة والصيام والتهجد والقيام ؟!

فقال : كان ذلك لغير الله وكانت توبتي كاذبة وكنت أفعل رياء الناس وليقال عني وأذكر به فإذا خلوت أغلقت الباب وبارزت ربي بالمعاصي ودمت على ذلك مدة فأصابني المرض وأشرفت على الهلاك .

فقلت لابنتي : ناوليني المصحف .

وقلت : اللهم بحق هذا القرآن العظيم إلا ما شفيتني وأنا لا أعود إلى ذنب أبداً ففرج عني ولما شفيت عدت كما كنت للهو واللذات وأنساني الشيطان العهد الذي بيني وبين ربي ؛ فبقيت على ذلك فمرضت أخرى وأشرفت على الموت ثم دعوت بالمصحف فقرأت فيه ثم رفعته

وقلت : اللهم بحرمة ما في هذا المصحف الكريم من كلامك إلا ما فرجت عني فاستجاب الله وفرج عني ثم عدت إلى ما كنت فوقعت في هذا المرض فأخرجوني وسط الدار ثم دعوت بالمصحف لأقرأ فيه فلم يتبين لي حرف واحد !!! . . فعلمت ان الله سبحانه قد غضب علي فرفعت رأسي إلى السماء وقلت : اللهم بحرمة هذا المصحف إلا ما فرجت عني يا جبار الأرض والسماء.فسمعت هاتفًا يقول :

تتوبُ عن الذنوب إذا مرضْتَا	وتَرجعُ للذنوب اذا برئتَا
فَكَم من كُرْبة نجَّاك منها	وكَمْ كَشَف البلاء اذا بليتَا
أمَا تَخْشى بأن تأتي المنَايَا	وأنتَ علَى الخطَايا قَدْ دهيتَا

قال منصور : فوالله ما خرجت من عنده إلا وعيني تسكب العبرات فما وصلت الباب إلا وقيل لي : إنه قد مات ؟!

مصارحة نفس تقول: أسرع الصعود

أغلق على نفسك وكن مصارحًا لها مكتشفًا خباياها . .

* كم من مرة أغلقت بابك عليك وبارزت ربك بالذنوب ؟! .

* كم من مرة سترك ربك وأنت لا تزال على عنادك؟!

* كم من طاعة أديتها ليقال أنك تفعلها وكم منها لله ؟!

* كم ركعة خلوت بها مع ربك فى السحر وناجيته ؟!

* كم مرة تصحفت مصحفك وتدبرت فيه ولو آيه أو آيات قليلة ؟! وكم ختمت القرآن خلال آخر ثلاث سنوات ؟!

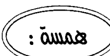
* كم من لذة مارستها فتلاشت حلاوتها وزلت بعدها القدم ولا زلت تحرص عليها ؟!

* كم مرة أمهلك ربك ولازال المنى والتسويف يلاعبك وإصرارك يطل من عينيك ؟!

* كم من رسالة ربانية أتتك وأنت لا تعى وربما تجهل قراءتها ؟!

يا قليل البضاعة : كم تعد بالتوبة وما تفى ؟! لا تجعل ضمانك عقيم ووعدك عاقر . .
والآن .. هل من مانع ؟!

أن تعلنها من كل قلبك فى الآفاق « **الآن يارب عدت إلى رحابك فاقبلنى . . الآن يا رسول الله أفقت من غفلتى . . الآن يا ملائكة ستسعدون بتأييد حسناتى . . الآن يا شيطانى سأخذلك . . الآن يا زوجتى سنعيش سعداء أحباء . .الآن يا صحبتى ويا أهلى سنقتفى طريق ربنا . . الآن سنشتاق إلى الجنة ونفر من سواد الجحيم . . . . الآن ستسعد بنا الدنيا . . الآن سأحرص على حجابى وعفتى وحيائى . . الآن يارب صحوت فاغفر لى وسامحنى . . واعفو عنى وأعنى وثبتنى** » . . هل تتردد !! توضأ وادعو ربك وصلى ركعتين والله ينتظرك فهل ستكون أهلاً لذلك ؟! وكما أبان **عيسى بن مريم** « لا ينتظر امرؤ بتوبته غدا فإن بينك وبين غد يوماً وليلة وأمر الله غاد ورائح» .



قال **الحسن** « أكثروا من الاستغفار فى بيوتكم وعلى موائدكم وفى طرقكم وفى أسواقكم وفى مجالسكم وأينما كنتم فإنكم ما تدرون متى تنزل المغفرة » .





★ إذا تاب المذنب من ذنبه ثم عاد إليه .. فما الحكم ؟!

ويجيبك فضيلة **الإمام المحاسبى** : «ينقسم الناس إلى قسمين . .

الأول : صادق فى توبته الأولى لم يصر على ذنبه وليس فى نيته العودة إليه بعد التوبة ثم عرض له فيما بعد ذلك ذنب آخر دون إعداد ولا ترتيب له أو غيره من الذنوب فارتكبه وحينئذ يجب عليه الإسراع بالتوبة بشروطها وصحت توبته الأولى والثانية مهما تكرر منه الذنب بشرط عدم الإصرار وعدم التفكير والترتيب لارتكابه . .

الثانى : تائب من ذنبه الأول على حب له وتمن لارتكابه مرة أخرى لم يقتلع حب المحرم من قلبه ثم عرض له الذنب فارتكبه وهذا مستهزىء بربه وتسمى توبة الكذابين لأنه يتوب بلسانه على نية العودة إلى الذنب بقلبه » . .

• كثير من الناس يظنون أن العمل الصالح مع البقاء على الذنوب ينفع الإنسان عند الله ؟!!

وقد تكفل بالرد **الحارث المحاسبى** « قبول الله لأعمال البر من عبد مقيم على المعصية غير محقق لأن النفس المشغولة بلذة المعاصى قلما تخلص من عمل الخير فضلاً عن أن محل النية القلب وهو ملوث بالشهوات فيستحيل أن يخلص العمل الصالح لتتابع الذنوب وهذا بقلب واحد والإنسان مطالب بترك الشر كله وليس مطالبا بعمل الخير كله » . . أراك تأخذ نفسًا عميقًا أزاح عن قلبك هموم الذنوب وأثقال الأوزار فاحمد الله واستغفر ثلاثًا وسر على الدرب .

ولكى تزداد الرؤية وضوحًا جلسنا مع صاحب نزهة المجالس فقال : « **يستحب أن يكفر كل معصية بحسنه تشاكلها . . فيكفر معصية النظر إلى ما لا يحل بالنظر إلى المصحف ؛ ومن سماع الملاهى بسماع القرآن والقعود فى المسجد جنبا إلى الاعتكاف فيه ؛ ومن شرب الخمر والدخان بالتصدق بكل شراب حلال ؛ ويكفر أذى المسلمين بالإحسان إليهم**» .

تعاظم ركام السيئات

روى عن عمر بن الخطاب أنه قال : لا يغرنكم قول الله : ﴿ مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا ﴾ [الأنعام:160] فإن السيئة وان كانت واحدة فإنها

تتبعها عشر خصال مذمومة (فرح إبليس لعنه الله ؛ تباعد من الجنة ؛ تقرب من النار ؛ آذى أحب الأشياء إليه وهى نفسه ؛ نجس نفسه وقد كان طاهرًا ؛ قد آذى الحفظة ؛ قد أحزن النبى ﷺ فى قبره ؛ أشهد على نفسه السماوات والأرض وجميع المخلوقات بالعصيان ؛ والعاشرة : أنه خان جميع الآدميين وعصى رب العالمين) . .

ولك كلمات : « **إن مثل الذى يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كانت عليه درع ضيقة قد خنقته ثم عمل حسنة فانفكن حلقة ثم عمل حسنة أخرى فانفكت أخرى حتى يخرج إلى الأرض»** . . هل تعلم أن ما قرأته ما هو إلا حديثاً صحيحاً؟!

هل هناك علامات وإشارات تؤكد صدق التوبة ؟!

* **علامات** :

لكل شيء دليل وكذلك قبول التوبة تدل على : أن تكون بعد التوبة خيراً مما قبلها فقد تبدلت أحوالك؛ واشتد خوفك ؛ وزاد رجاؤك ؛ والجد فى الطاعة صار عنوانك

* **علامات** :

ملازمة الخوف قلبك حتى لا تأمن مكر الله طرفة عين ؛ انخلاع القلب وتقطعه ندماً وخوفاً على التقصير أو التهاون في أداء الطاعة ؛ استعظام الذنب أكان صغير أم حقير ؛ الإقبال على الطاعات وقراءة القرآن ؛ التقاط بعض الأيام للصيام والقيام .

* **علامات** :

التسابق فى إخراج الصدقات ؛ إبدال صحبة السوء بصحبة الخير ؛ المسارعة في الخيرات والدلالة عليها ؛ تحسن السلوك مع الأهل والأصدقاء وخاصة مع الوالدين؛ السعي فى العمل لدين الله ؛ كثرة الإنابة والتوبة ومحاسبة النفس .

* **علامات** :

أجاب **سفيان بن عيينه** حين سئل : «ما علامة التوبة النصوح ؟! فقال « أربعة أشياء : قلة الدنيا وذلة النفس وكثرة القرب إلى الله بالطاعات ورؤية القلة والنقص فى ذلك » . .

يا صاحبى . . عمرك ذاهب إلى الفناء مهما امتد . . والآن تصفح أوراق عملك وسطر عليها الإجابة . . بماذا ستلاقي ربك غداً ؟! باليد الفارغة . . بالكتاب القاتم . . بالتقصير القاتل أم بماذا ؟! وإذا فرحت بجوابك فأكمل وإن خجلت نفسك فماذا تنتظر؟! .

يا حبيبى : إذا هممت فبادر . . وإذا عزمت فثابر . . ولا يلتقط الفضائل من رضي بالصف الآخر . .

عوامل حفز

يحفزك **شميط بن عجلان** « **أيها المغتر بصحته أما رأيت ميتاً من غير سقم ! أيها المغتر بطول المهلة . . أما رأيت مأخوذاً من غير علة ؟!**» ويفطمك عن كسلك **يزيد الرقاشي** يقول : « إلى متى تقول غداً أفعل كذا وبعد غد أفعل كذا . . أغفلت سفرك البعيد ونسيت الموت ، أما علمت أن دون غد ليلة تخترم فيها الأنفس أما رأيت صريعاً بين أحبابه لا يقدر على رد جوابهم ؟!» وذات مرة مر **داود الطائى** على إمرأة تبكى على قبر لها وتقول : «ليت شعرى بأى خديك بدأ الدود » . . فخر **داود** مغشيا عليه . .

دعوات للسمو

● **أخي التائب :** تنبه لرحيلك وانتقل إلى الصلاح قبل أن تنقل وحاسب نفسك على ما تقول وتفعل ولا تغفل عن تدارك حالك . . الله الله لا تغفل . . .

● **أخي التائب :** أما حنت نفسك لربك بعد ؟! أما راودتك رائحة الجنة ؟! أما اقشعرت يدك شوقاً لسلام الحبيب ﷺ ؟!!

● **أخي التائب :** ﴿ **أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [الحديد: 16] هذا نداء الله إليك ولا زال أمام عينك . . فما ردك ؟! وهل ستبادر وتنهض . . ؟!

● **أختي التائبة** تذكرى : « **إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم** » صحيح ؛ فماذا سيرى فى قلبك الآن ؟!

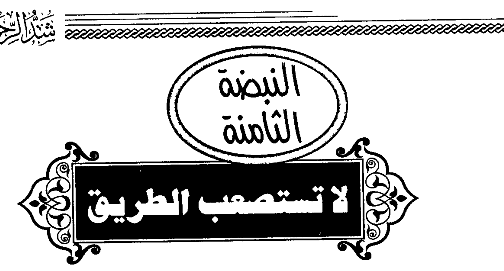
● **أخي التائب :** لا تضيع عمرك فى أكلوا وأكلنا وشربوا وشربنا ولبسوا ولبسنا وجمعوا وجمعنا . . راقب الله عز وجل فى خلواتك واجعله نصب عينك حتى كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك . .

● **أختي التائبة :** داومى على سماع المواعظ فإن القلب إذا غاب عن سماع المواعظ عمى . .

● **أخي التائب :** أما تريد مرافقة من قصورهم في الجنان عالية . . وعيشتهم في القصور صافية . . وقطوف الأشجار لهم دانية . . وأقدامهم على أرض من المسك ساعية وأبدانهم من السندس كاسية . . كانوا في الدنيا على المجاهدة يصرون . . ويصومون ويسارعون إلى مغفرة من ربهم ويبادرون . . ﴿ **وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ** ﴾ [المطففين: 26] . .

همسة ..

سئل **إبراهيم بن أدهم** بم زهدت في الدنيا فقال بثلاث رأيت الطريق طويلاً وليس معي زاد ، رأيت القبر موحشاً وليس معى مؤنس ، رأيت الجبار قاضياً وليس معي حجة ولا من يدافع عني».



★ **كيف تصلح نفسك ؟!**

ذهب رجل إلى **إبراهيم بن أدهم** وقال له : إني مسرف على نفسي فقال **إبراهيم**: إن قدرت على خمس خصال لن تكون من العصاه ؟!!

الأولى : إذا أردت أن تعصى الله فلا تأكل من رزقه ؟!! فتعجب الرجل ثم قال متسائلاً : كيف تقول ذلك والأرزاق كلها من عند الله ؟ فقال : إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تأكل رزقه وتعصيه ؟! . . قال : لا . .

هات الثانية . . فقال: إذا أردت أن تعصى الله فلا تسكن بلاده . . فتعجب الرجل أكثر وقال : كيف والبلاد كلها ملك الله . . فقال : إن كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تسكن بلاده وتعصيه ؟! قال : لا . .

هات الثالثة : فقال : إذا أردت أن تعصى الله فانظر مكانا لا يراك الله فيه فاعصه فيه قال : كيف وهو أعلم السر و الأخفي ويسمع دبيب النمل على الصخرة الصماء فى الليلة الظلماء فقال **إبراهيم** : إذا كنت تعلم ذلك فهل يجدر بك أن تعصيه ؟ . . قال :

هات الرابعة . . فقال : إذا جاءك ملك الموت ليقبض روحك فقل له . . أخرنى إلى أجل معدود . . فقال الرجل كيف والله يقول : ﴿ **فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [الأعراف:34] فقال : إذا كنت تعلم فكيف ترجو النجاة ؟! قال : نعم . .

هات الخامسة: إذا جاءك الزبانية وهمَ ملائكة جهنم ليأخذوك إلى جهنم فلا تذهب معهم ؛ فما كاد الرجل يستمع إلى هذه الخامسة حتى قال باكيا : كفى يا **إبراهيم** أنا أستغفر الله وأتوب إليه ؛ ولزم العبادة حتى فارق الحياة » . .

وبعد . . أعد القراءة بعقل قلبك . . ثم آتنى بالرد على هذا . . هل تريد أن تعصى الله ؟!! . . وأعد الحوار وكأنه يحدثك أنت . . ثم انظر ماذا ترى ؟!!

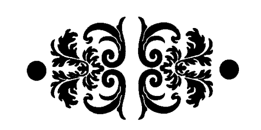
★ **ليس المطلوب معجزة**

يا حبيب رسول الله : لكى تطرق باب ربك . . فقط ثلاثة حروف قلبيه تفعل ما أردت «**ندم ؛ إقلاع ؛ لا عودة** » وليس المطلوب أن تأتى بمعجزة أو تقوم بخارقة أو تبدل الكون غير الكون أو الأرض غير الأرض . . الأمر سهل بسيط ولكن الشيطان الملعون يزيحك عن الطريق وفى الأثر الإلهى « **وعزتى وجلالى ؛ لا يكون عبد من عبيدى على ما أحب ثم ينتقل عنه إلى ما أكره ؛ إلا انتقلت له مما يحب إلى ما يكره ؛ ولا يكون عبد من عبيدى على ما أكره ثم ينتقل عنه إلى ما أحب إلا انتقلت له مما يكره إلى ما يحب** » . . **ما رأيك** ؟!!

واتبعتهم ذريتهم بإيمان

عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ: « إن الله ليرفع ذرية المؤمن إليه فى درجته وإن كانوا دونه فى العمل لتقر بهم عينه ثم قرأ : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ ﴾ [الطور: 21] . . بل ويؤكد ابن عباس النظرية حيث قال : حكى النبى ﷺ : إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده . . فيقال : إنهم لن يبلغوا درجتك أو عملك فيقول : يا رب قد عملت لى ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم ثم تلا ابن عباس ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الطور: 21] . .

وبالله عليكم لا تنسونا ولو بصالح الدعاء ؟!





وقبل السلام

أخي . . أختاه . . أمي . . أبتاه . .

وبعد أن دلفت باب ربك . . فانزع نفسك من أحضان الشيطان واترك أكفان العصيان . . واستدعي همم الرجال وألزم نفسك طريق الجنان . . وإلا فمتى تتحرك هممك في اتجاه الحق ؟ .

أفرد شراع سفينتك وأدم طرق الباب وإن طال المدى فالرب غفور رحيم . .

وافتح عيني قلبك ليحيا زكياً حياً منيباً . . إن المواعظ قد أفصحت وأعربت فالتوبة طبيب متلطف وبادر قبل أن يقول لك ربك ﴿ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ [الكهف: 78] . .

ويا ترى أنفترق على حال غفلة شاملة أودموع جامدة أوقلوب قاسية . . بالله عليكم لا تفعلوا . . وأنا على ثقة فيكم . .





إخواني : السنون مراحل والشهور فراسخ والأيام أميال والأنفاس خطوات والطاعات رؤوس أموال والمعاصي قطاع الطريق والربح الجنة والخسران النار ولهذا الخطب شمر الصالحون كلما رأوا مركب الحياة يُتخطف في بحر العمر شغلهم ما هم فيه عن عجائب البحر فما كان إلا قليل حتى قدموا من السفر فاعتنقتهم الراحة وحازوا ربح الدهر ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: 73] .

* الطفل لا يصبر عن الرضاع ساعة فإذا صار رجلاً صبر عن الطعام يومين إنما تقع الكلفة بقدر الطاقة ؛ فأول مقامك « **يحب التوابين** » وفى أوسطه « **بعينى ما يتحملون من أجلى** » وفى المقام الأعلى « **كذب من ادعى محبتى فإذا جنه الليل نام عنى** » . .

* فتشوا أحمال الأعمال قبل الوصول ﴿ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: 18] . . من وقف على صراط التقوى وبيده ميزان المحاسبة وترمومتر الورع يستعرض أعمال نفسه يرد الزائف إلى كير التوبة كى ينقى، ويسلم من رد الناقد ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: 18] . .

* **يا قليل التركيز** . . قنديل الفكر فى محراب قلبك مظلم فاطلب له زيت خلوة وفتيلة عزم . . وافهم كلام **الحسن** إذ شيع جنازة وجلس على شفير القبر وقال : «**إن أمراً هذا آخره لحقيق أن يزهد فى أوله وإن أمراً هذا أوله لحقيق أن يخاف آخره**» .

* يا من يسير بعمره وقد تعدى الحدود ؛ ابك على مصيبتك فلعلك مطرود ؛ يا من عمره ينتهب وليس الماضى يعود ؛ قد أسمعتك المواعظ من إرشادها نصحا ؛ وناداك لسان الاعتبار ﴿ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلاقِيهِ ﴾ [الانشقاق: 6] . . سابقة القدر قضت لقوم وعلى قوم . . أعرَض عن قوم فلم تنفعهم الحسنات ورضى عن قوم فلم تضرهم السيئات ف ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ [الشورى: 7] . .

* قال رجل لذى النون المصرى وهو يعظ الناس : يا شيخ ما الذى أصنع ؟ كلما وقفت على باب من أبواب المولى صرفنى عنه قاطع المحن والبلوى . . قال له : يا أخى كن على باب مولاك كالصبى الصغير مع أمه كلما ضربته أمه ترامى عليها وكلما طردته تقرب إليها فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها . .

* يا أبناء الدنيا إنها مذمومة فى كل شريعة ؛ حيلتك فى تحصيلها أدق من الشعر ؛ وأنت فى تدبيرها اصنع من النحل ؛ وعين حرصك عليها أبصر من العقاب ؛ وبطن أملك أعطش من الرمل ؛ ﴿ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴾ [الحديد: 14] . . قيل لأحدهم : لم تخليت عن الدنيا؟ فقال : خوفا والله من الآخرة أن تتخلى عنى . .

* كم فرح بشهر وإهلاله متهلل لرؤية هلاله اختطفه الموت فى خلاله . . كم مائل إلى جمع ماله تَرَكهُ تَرَكةً ومر بأثقاله . . هل رحم الموت مريضًا لضعف أوصاله؟! هل ترك كاسبًا لأجل أطفَالَه ؟! هل أمهل ذا عيال لأجل عياله ؟! كم أشرف على شريف فلم ينظر فى خلاله ؟! كم أيتم طفلاً صغيرًا ولم يباله ؟! . . ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [الأعراف: 34] . .

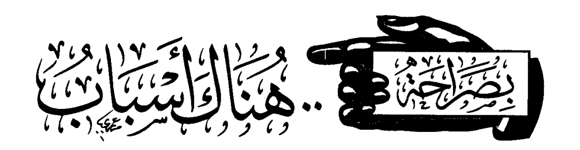
* ما حظى الدينار بنقش اسم الملك حتى صبرت سبيكته على التردد على النار فنفت عنها كل كدر ثم صبرت على تقطيعها دنانير ثم صبرت على ضربها على السكة فحينئذ ظهر عليها رقم النقش ﴿ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ ﴾ [المجادلة: 22] . .

* كان الصالحون إذا ضيق الخوف عليهم الخناق نفسوه بالرجاء فكان **أبو سليمان الداراني** يقول : إلهي إن طالبتنى بذنوبى طالبتك بكرمك وان أسكنتنى النار لأخبرن أهلها أنى كنت أحبك . . وكان **معاذ** يقول : « إن قال لى يوم القيامة عبدى ما غرك بى ؟! قلت : إلهي برك بى » . .

* يا من كان قريبًا فطرد؛ يا من كان مشاهدًا فحجب؛ أصعب الفقر ما كان بعد الغنى ؛ وأوحش الذل ما كان بعد العز . . مازالت الدنيا مرة فى العبرة ولكن قد مرض ذوقك ؛ لسان قلبك فى عقله غفلة؛ وسمع فهمك مسدود عن الفطنة بقطنه، وبصر بصرك محجوب بعشا عمى ومزاج تقواك منحرف عن الصحة . . فيا نفس تدبرى أمرك وتأملى . . وإذا ضللت الطريق فاسألي . .

* إن غايتنا هى غاية الوجود كله . . هى أغلى من الوجود كله . . هى أحلى من الحياة كلها . . غايتهم الدنيا فانية وحقيرة وغايتنا باقية وعظيمة . . ثمرة غايتهم عاجلة زائلة وثمرة غايتنا آجلة خالدة . . غايتنا . . الله سبحانه وتعالى . . ومن أبقى من الله ؟! ومن أعظم من الله ؟! ومن أجل من الله ؟!





﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران: 8]

فَلا تَحسـبوا أني نسـيتُ ودَادكُم ... وَإِني وإنْ طَال المدى لسْتُ أنساكمْ

حَفظنا وَضَيّعتـم وداداً وَ حُرْمَةً ... فلا كَان في هَجْرنا اليوم أعزاكُمْ

فَكَمْ لبيتـكم إِذا دَعَـوتموني؟ ... فَما مَنعكم عنْ رَحْمتي وأغرَاكُمْ

ارفع راية الأمل

قف بالباب . .أيها العبد الفقير . . وتضرع إلى الله تضرع الأسير بقلب كسير وقل : يا إله العالمين وأكرم الأكرمين . . أسير الظلمات والسيئات واقف بباب كرمك ينتظر فوائد رحمتك وزوائد نعمتك . . الخير دأبك والحكم حكمك . . اجعل منتهى مطالبنا رضاك وأعظم مقاصدنا رؤياك . . سبحانه من اعتز بحماه حماه . . من استضاء بهداه هداه . . من انقطع إليه كفاه . . من حط رحاله ببابه آواه . . من أعرض عنه ناداه . . من رجع إليه قبله وأدناه . . ومن تمادي في متابعة شهواته وهواه أبعده وأقصاه . .

يا ناقضي العهود انظروا لمن عاهدتم ؟! ثم تلافوا خرق الخطايا قبل أن تتسع أعرضتم عني وما أعرض عنكم لطفي !! وقطعتم طاعتي وما قطعت عنكم نعمتي ؟!!..

هل لكم من إله سواه يجبر كسركم ويكشف ضركم ويستر قبيحكم ويفرج همكم ؟!! . .

تحليل الأحداث

حينما . . ننظر نظرة متفحصة في مجتمعاتنا فترى استشراء الفساد . . واكتساح الشهوات . . وتيه الشباب . . وعري الفتيات . . وغفلة الآباء . . وانشغال الأمهات . . فتقول . . لماذا ؟! . . **فاعلم أن هناك أسباب.**

حينما . . تشد رحالك إلى ربك فتناديك شهواتك ويعلو صوتها فتحجب عين العقل فتثقل راحلتك ويستغيث بك الحادي صارخًا ولكن . . يا حسرتا . . فهو في واد وأنت في واد . . **فاعلم أن هناك أسباب.**

حينما . . تحن نفسك إلى ربك مرة فيصدمك ذنبك مرة بعد مرة فترجع أسوأ مما كنت؟! . . **فاعلم أن هناك أسباب.**

حينما . . تتلهف القلوب حول مائدة القرآن والصلاة في رمضان ثم ما هي إلا فترة قصيرة ثم يعود الحال كما كان **فاعلم أن هناك أسباب.**

حينما . . تتردد إلى المسجد . . وتصلي أيام . . وتتصفح كتاب ربك ساعات . . ثم تخر القوى وتضعف العزائم **فاعلم أن هناك أسباب .**

حينما . . يتدفق إلى قلبك حب الحجاب والتزين بالعفاف والاحتشام . . فتميل النفس وتخشى الاستهزاء . . وينحنى القلب بسماع العتاب . . فالتردد يصير طبعك . . **فاعلمي أن هناك أسباب.**

(حينما) . . يعلو صوت الأبناء على الآباء . . والفتيات على الأمهات . . وتنزع الرحمة من القلوب . . فتبكى الأم الدم وينحنى ظهر الأب حسرة على أولادة . . **فاعلموا أن هناك أسباب .**

(حينما) . . تقف مع نفسك وقفة متأنية . . فتهز روحك وتستفتي قلبك . . وتتسلل إلى عقلك بمطارق اليقظة . . وتغلق عينك فتمر عليك ذكرياتك الحسنة مع ربك . . وما تلبث أن تسود الصورة وتضمحل الرؤية لهجوم غيوم الغفلة وزحف سحب الذنوب السالفة فتجد من قلبك حزنا . . ومن عقلك ألما . . ومن روحك يأسًا . . ثم تستفيق على فكرة تنفذها أو على صاحب يناديك أو ذنب يستهويك . . فتنسى تلك اللحظة الجريئة . . رغم قربك من طريق الصالحين بخطوة . . ولكن . . تطيش الأيام وكأن شيئًا لم يكن . . **فاعلم أن هناك أسباب . .**

(حينما) . . تسمع كل ذلك وترى حالك . . وتسأل : أين أنا من شاب نشأ فى عبادة الله ؟! لماذا لا أتسابق مع الصالحين ؟! وألحق بقطار الطائعين ؟! وأسلك منهاج العابدين؟! فيقعدك الوهن والكسل . . **فاعلم أن هناك أسباب.**

وآيات تحتاج لتأمل

قال تعالى : **﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾** [طه:124-126] . .

وقال تعالى : **﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾**[الكهف: 57 -58] . . **اترك عقلك يسبح فى هذه الآيات ثم . . .**

تعالوا بنا نصطلح

يا منقطعاً عن ركب السابقين في بيداء الغفلة . . إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية . . شمر عن ساق الجد وشد عن مئزر الكد واحذر حسرة البعد عساك تلحق بالقوم . . ويحك . . أما يؤلمك ألم الهجران ؟ أما يبكيك الحرمان ؟ قف على أطلال غفلتك وتلمح الآثار . .

ونادى الحادى :

يا ديار الأحباب أين السكان ؟! يا منازل الصالحين أين الخلان ؟! يا أسرى القيود أين

الاستقلال ؟! استغث بالمقبولين ونادهم: يا واصلين اشفعوا في منقطع . . وقل لهم : فتح الباب في وجوهكم ورد في وجهي . . فأين النجاة ؟!

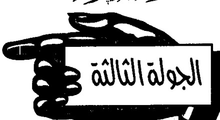
فيأتيك الخبر : « **إذا تاب العبد توقد توبته بين السماء والأرض سبعين قنديلاً وينادى المنادى : ألا وان العبد قد اصطلح مع ربه** » . .

ومن هنا . . جاءتك تلك الكلمات . . كي تستل سكين العزيمة واليقظة فتردي به تلك العوائق قتيلة منطرحة بين يديك . . وحينها تكبل وتساق إلى زنزانة النسيان لأن الطريق أضاء . . وإشارات النجاة أهلت من هناك . . .

كسر قيودك وحطم أسرك . . وهي عقباتك في طريقك إلى الله . . فأقرأها واستحضر تركيزك . . ومن قبل ذلك اعقد النية وأبرم العقد (**أنك ستنفذ**) . . لأن الحجة ستكون ثقيلة ومالك من عذر . . أما إذا ترددت فأخر القراءة حتى تستعد . . وإذا داهمتك المشاغل !!

فاجعلها أحد تلك المشاغل ..





الجولة الثالثة
قيود القلوب

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾

[الأنفال: 24]

ذُنوبي كَثيرة ما أطيق احْتمَالها ... وَعَفْوك عن ذَنبي أجَلُّ وأكبرُ

وَقَد وسعتني رَحْمةٌ منكَ هَهنا ... وإني لهَا يَوْم القيَامة فقيرُ



- إلى من قيدتهم الحبال عن منافسة الطائعين
- إلى من أغراهم الشيطان وابعدهم عن درب الصالحين
- إلى القلوب المنهكة التى ألجمتها الشهوات
- إلى النفوس المأسورة عن نعيم الجنات
- إلى كل هائم ونادم ....هيا بنا نؤمن ساعة
- إلى من ألجمته المكبلات .. هيا بنا نفك القيود

حتى يرضى الرب.. ويشفع الحبيب.. وننال القبول ..

هيا بنا إذن ...

شريف





دمار مترامي الأطراف

يا مسكين : الإصرار هو عودتك لمثل الذنب مرة أخرى . . ولهذا قال **أبو ذر الغفاري** : «لا صغيرة مع إصرار ولا كبيرة مع استغفار » . . وتأمل ولو مرة قوله ﷺ : « **إن المؤمن إذا أذنب ذنباً كانت نكتة سوداء في قلبه فإن تاب ونزع واستغفر صُقل منها وإن زاد زادت حتى يُغلف قلبه فذلك الران الذى ذكر الله في كتابه ﴿ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾** [المطففين: 14] » حسن . . وشخص الحالة طبيب القلوب **ابن القيم** « منعتهم الذنوب أن يقطعوا المسافة بينهم وبين قلوبهم فيصلوا إليها فيروا ما يصلحها ويزكيها وما يفسدها ويشقيها . . وأن يقطعوا المسافة بين قلوبهم وبين ربهم فتصل القلوب إليه فتفوز بقربه وكرامته وتقر به عينا وتطيب به نفسا . . بل كانت الذنوب حجابا بينهم وبين ربهم» . . وعلق **مجاهد** على هذه القلوب : «القلب مثل الكف المفتوحة كلما أذنب العبد ذنباً انقبضت إصبع حتى تنقبض الأصابع كلها فيسد على القلب فذلك هو الطبع»، ولذا صاح السلف : « الإصرار أعظم من الذنب بكثير فالإصرار على المعصية معصية أخرى وذلك علامة هلاك العبد » . .

فإلى متى وأنت الخاسر دوماً؟!!

سداسية العظائم ورباعية الشدائد

ركز مع **ابن عباس** وهو ينادي : « **يا صاحب الذنب** : لا تأمن سوء عاقبته . . ولما تتبع الذنب أعظم من الذنب إذا عملته قلة حيائك من على اليمين وعلى الشمال ؛ وأنت على الذنب أعظم من الذنب ؛ وضحكك وأنت لا تدري ما الله صانع بك أعظم من الذنب ؛ وفرحك بالذنب إذا ظفرت به أعظم من الذنب ؛ وحزنك على الذنب إذا فاتك أعظم من الذنب ؛ وخوفك من الريح إذا حركت ستر بابك وأنت على الذنب ولا يضطرب فؤادك من نظر الله إليك أعظم من الذنب » . . وبصيغة أخرى يقول **العوام بن حوشب** : « أربع بعد الذنب اشد من الذنب وهى استغفار من غير إقلاع والاغترار بحلم الله، والإصرار والاستبشار بالمغفرة إذا عمل بعده طاعة فقد لا يغفره الله بها » . . **أفهمت أم أشرح لك ؟!**

لا تكن الفريسة

ولأن الإصرار عقبة كئود تتأرجح على قلوب التائبين فإما تغلبهم وإما ينتصرون عليها . . فاعلم أن العاصي دائمًا في أسر شيطانه وسجن شهواته وقيود هواه فهو أسير مسجون مقيد ولا أسير أسوأ من أسير أسره أعدى عدو له ولا سجن أضيق من سجن الهوى ولا قيد أصعب من قيد الشهوة فكيف يسير إلى الله والدار الآخرة قلب مأسور مسجون مقيد ؟! وكيف يخطو خطوة واحدة ؟! ولذا قال **خالد بن معدان** : «يمر التوابون على جهنم فلا يرونها فيقولون : يا ربنا ألم تعدنا أننا نرد النار ؟! فيقال لهم : إنكم مررتم عليها وهى خامدة لكونكم كنتم تائبين فإنها لا تهيج إلا من الذنوب والإصرار عليها !!» . .

وهو ما جعل ابن المبارك ينشد

رَأيتُ الذنوبَ تُميتُ القلوبْ وقدْ يورثُ الذل إدمانهَا
وَتركُ الذنوبُ حياةُ القلوبْ وخير لنفسك من عصْيَانهَا

نماذج للإصرار

منها تأخير الصلاة عن وقتها وعدم حضورها في جماعة وإصرار الفتاة على ترك حجابها ولا تزال عين هذا الشاب تطوف في الشوارع وصارت كلمة غض البصر لاتينية تحتاج لترجمة . . وكذلك المداومة على ممارسة الشهوات وإتيان اللسان للكذب والغيبة النميمة وهناك من لا يصلي إلا الجمع وآخر هاجر تصفح كتاب الله . . وذاك صوته يعلو صوت والديه وهذا لا يزال يصافح النساء وكل ذلك إصرار على الذنوب . . ويدق لك الحسن ناقوس الخطر «إن بين العبد وبين الله حداً معلوماً من المعاصى إذا بلغه طبع الله على قلبه ولم يوفقه بعدها لخير» . .

الدواء الموصوف

لا يبطل الشيء إلا بضده ومعرفة السبب طريق العلاج الصحيح ..

1 - اعتراف ولوم وإقرار:

يا صاحب الذنب : تعرف على الأسباب التي تؤدى إلى إصرارك ومن ثم أقطع كل تلك العلائق التي تجر لهذا الذنب واعلم أن دقة تشخيصك لذنبك هو الطريق السليم لصدق الدواء والمشكلة التي تعرقل أن الشخص المذنب لا يستطيع تحديد ذنبه أما إذا تفرس في نفسه وأغلق على قلبه وتتبع ذنبه المصر عليه وتمهل التفكير حتى يعلم الاستدراج إليه يستطيع بالورقة والقلم كتابة الذنب وأسبابه ومن ثم يعالج الشيء بضده فيستطيع وضع قدمه على الطريق الصحيح . .

ونفذ الآن . . واعترف لربك بذنبك وقد صرح بذلك أبو محمد المرزوى « إنما شقى إبليس بخمس خصال : لأنه لم يقر بذنبه ولم يندم عليه ولم يلم نفسه ولم يبادر إلى التوبة فلم يتب وتكبر وقنط من رحمة الله فطرد من الجنة . . وإنما سعد آدم لأنه أقر بذنبه وندم عليه ولام نفسه وبادر إلى التوبة وتواضع ولم يقنط من رحمة الله » . .

أي : **الاعتراف يمحو الاقتراف . .**

2- أدم.. الدعاء والاستغفار :

أكثر وأكثر الاستغاثة بربك ولا تمل الدعاء أو الاستغفار واشتكى نفسك لربك وفضفض بذنبك لربك ولا تنقطع فقد روى « أن العبد إذا كان مسرفا على نفسه فيرفع يديه ويقول : يا رب . . حجبت الملائكة صوته أولا وثانيا وثالثا وفى الرابعة يقول الله تعالى : إلى متى تحجبون صوت عبدى عنى ؟! قد علم أنه ليس له رب يغفر الذنوب غيرى أشهدكم يا ملائكتي أنى قد غفرت له » . . ولا تنس الاستغفار جواراً للدعاء فقد قال ﷺ : « **إن الشيطان قال : وعزتك يا رب لا أبرح أغوي عبادك ما دامت أرواحهم في أجسادهم فقال عز وجل : وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لا أزال أغفر لهم ما استغفروني** » حسن . . فالآن . . أخرج آهات الاستغفار والحرقة والندم . .

3- الغذاء القرآنى :

لابد لك من زاد ربانى فتصفح مصحفك يوميًا ولو خمس آيات بتدبر وتأمل فهى تقربك من الله وتشغلك به عن ذنبك وذلك المعنى كان واضحا عند آل عياض إذ قرأ **الفضيل بن عياض** فى صلاة الفجر ﴿ **إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ** ﴾ [يس: 52] فتأملها ابنه على فسقط مغشيا عليه وكان علىّ هذا إذا قرأ سورة لم يقدر أن يتمها وكان لا يقدر أن يسمع ﴿ **إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا** ﴾ [الزلزلة: 1] . . وكان يقول لوالده : أُدع الله أن يقدرنى على ختم القرآن ولو مرة قبل موتى !! . . **والربيع بن خيثم سمع بن مسعود** يرتل : ﴿ **إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيراً** ﴾ [الفرقان: 12] . . خر مغشيًا عليه ثم حُمل إلى بيته ففاته الظهر والعصر والمغرب والعشاء وكان هو الإمام فى حارته !! .

فهل يجد فيك القرآن قلب يسعه ؟!

4- وخزات المعاصى مؤلمة ..

حذرك ابن القيم « أنها تولد قلة التوفيق وفساد الرأي وخفاء الحق وفساد القلب وخمول الذكر وإضاعة الوقت ونفرة الخلق والوحشة بين العبد وبين ربه ومنع إجابة الدعاء

وقسوة القلب وسحق البركة في الرزق والعمر وحرمان العلم ولباس الذل وضيق الصدر وطول الهم والغم وضنك المعيشة والابتلاء بقرناء السوء الذي يفسدون القلب ويضيعون الوقت وأضداد ذلك تتولد عن الطاعة » . . ويشارك **الحسن البصرى** برأيه « **من علامة من غرق فى الذنوب عدم انشراح صدره لصيام النهار وقيام الليل** » . .

وبعد : أعلمت لما أنت مقطوع الحيلة ؟! ما لى أراك تعيد القراءة !!

5. التفكر ..

شغل عقلك مع **الإمام الغزالي** « أن يقرر العبد المصر على نفسه بتأخر العقاب وأن كل ما هو آت آت وإن غداً للناظرين قريب وإن الموت أقرب لأحدكم من شراك نعله فما يدريك لعل الساعة قريب . . ماذا لو مرض أحدكم وأخبره طبيبه بأن شرب الماء البارد يضره ويسوقه إلى الموت وكان الماء البارد ألذ الأشياء عنده لتركه مع أن الموت ألمه لحظات إذا لم يَخف ما بعده ومفارقته للدنيا لابد منها فكم نسبة وجودك في الدنيا إلى عدمه أزلاً وأبداً ؟!! .

6. إطلال وتطلع :

على سير الصالحين وهمم العابدين ويقظة العارفين سواء بالقراءة أو السماع . . يوقظ فيك الهمة والإرادة والاستعلاء وفى تصريح **لصاحب المدارج** « أى تستولى عليك كاستيلاء المالك على المملوك وهمة العبد إذا تعلقت بالحق تعالى طلبًا خالصًا صادقًا محضًا فتلك هى الهمة العالية فلا يقدر على المهلة على الذنب ولا يتمالك الصبر على فعله . . وصاحب هذه الهمة سريع وصوله وظفره بمطلوبه وهنيئًا له السعادة والجنة » . .

وبعبارة أخرى . .

يا سادة . . إن لم يحرك فيكم الوقوف على سيَر أصحاب الأهداف السامية فانظروا لأهل الدنيا فى دنياهم وخذوا منهم حافزا وكيف يَكدحون ليلهم ونهارهم فى تعاملهم مع المال . . أيكون هؤلاء أعظم تجلدا منكم وأنتم تتعاملون مع الله الكبير المتعال ؟! . .

7. لا تأمن .. لا تأمن :

* **اعلم يا قليل التركيز** أن الله لا يضيره أن يختم على قلبك في مرة من مرات ممارستك لذنبك وسخطه عليك تلك اللحظة . .

* **اعلم قول النبي ﷺ** : « **يبعث العبد على ما مات عليه** » فهل ترضى لنفسك أن تُبعث يوم القيامة على مثل وضع ذنبك ؟!

** واعلم أيضًا تحذير النبي ﷺ «المصر على الذنب كالمستهزئ بربه » رواه ابن أبي الدنيا .

** تأمل وأنت على ذنبك دق بابك فتأخرت عن فتح الباب حتى تتحرر من أثر ذنبك أو تخفي ما تستطيعه . . فذهبت إليه فإذا من بالباب قد تركك وذهب . . وحين سألت عنه قيل لك : إنه كان رسول الله ﷺ!! . . فتأمل هذا المعنى لعله يأتي بفائدة .

8 - تذكر أن لك نهاية :

اسحب لك بعض الأوراق فقارن . .

* بكى أبو هريرة في مرضه فقيل له : ما يبكيك؟! فقال : أما إنى لا أبكى على دنياكم هذه ولكنى أبكى على بُعد سفرى وقلة زادى وإنى أصبحت فى صعود مهبط على جنة ونار ولا أدرى أيهما يؤخذ بى . .

* دخل أصحاب عطاء السلمى فى مرضه الذى مات فيه فسألوه : كيف حالك ؟! فقال : الموت فى عنقى والقبر بين يدى والقيامة موقفى وجسر جهنم طريقى ولا أدرى ما يفعل بى . . ثم بكى حتى غشى عليه فلما أفاق رفع اكف الضراعة « اللهم ارحمني وارحم وحشتى فى القبر ومصرعى عند الموت وارحم مقامى بين يديك يا ارحم الراحمين » . .

* وعن عمران الخياط قال : دخلنا على إبراهيم النخعى نعوده وهو يبكى فقلنا له : ما يبكيك يا أبا عمران؟! قال : انتظر ملك الموت ولا أدرى يبشرنى بالجنة أم بالنار . .

يا صاح : ألم تفكر ولو مرة فى موقفك أنت ؟! وأعيدها عليك

«تذكر أن لك نهاية » . .

ونادى عليك الحبيب ﷺ فعلا صوت النصيحة « ما من يوم طلع فجره ولا ليلة غاب شفقها إلا وملكان يتجاوبان بأربعة أصوات يقول أحدهما : يا ليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الآخر : يا ليتهم إذ خلقوا علموا لماذا خلقوا ؟! فيقول الآخر : يا ليتهم إذا علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا » . .

ألا أيُهَا الناسى ليوْم رحيْله	أراك عن الموت المفرق لاهيَا
ألم تَعْتبر بالظّاعنين إلى البلىْ	وتركهم الدنيا جميْعَا كما هىَ
وَلم يخرجوا إلا بقطْن وخرقةِ	وما عَمَّروا من منزل ظل خاليَا
وأنتَ غداً أو بعده فى جوَارهم	وَحيداً فريداً فى المقابر ثَاوِيَا

9- اصنع المقارنة :

قام بها **ابن السماك** فقال : « لو لم يكن فى الطاعة إلا ظهور نور الوجه وبهاؤه والمحبة فى القلوب والقوة فى الجوارح والأمن على النفس لكان فى ذلك كفاية فى ترك الذنوب . . ولو لم يكن فى المعصية إلا النكاره فى الوجه والظلمة فى القلب واللعنة فى الذكر والخوف على النفس لكان فى ذلك كفاية فيجعل الله تعالى لكل من الطائع والعاصى أمارات ليفرح هذا ويحزن هذا » وأعلنها **ابن عباس« العمل الصالح مع قلة الذنوب أحب إلى الله من كثرة العمل الصالح مع كثرة الذنوب »** وحتى لا تجامل نفسك بنفسك اسمع النبى ﷺ **«يا صفية يا عمة رسول الله ويا فاطمة بنت محمد أنقذا أنفسكما من النار فإنى لا أغنى عنكم من الله شيئا »** صحيح .

10- سل نفسك :

كيف يكون عندي عذاب النار أخف من عذاب ترك ذنبي ؟! وإذا كنت لا أقدر على ترك لذاتي أيام العمر وهي أيام قلائل فكيف أقدر على ذلتها أبد الآباد ؟! وإذا كنت لا أطيق الصبر على ترك الدنيا فكيف أصبر على حر النار ؟! . . فبادر للتوبة دبر كل ذنب وقل لنفسك كما قال **منهاج العابدين** : « لعلى أموت قبل أن أعاود الذنب هذه المرة فاتخذ التوبة حرفة كما اتخذت الذنب حرفة ولا تكن فى التوبة أعجز منك فى الذنب فلا تيأس ولا تدع الشيطان يظفر منك بهذه » .

يا أنت : يا من كان له قلب أين قلبك ؟! يا من كان لها عقل أين عقلك ؟! ودع طبع إصرارك لسفر التوبة ورافق شراعك في طريق الله وأجهد راحلتك لتلحق برفقة صالحة وتهيأ لوقفه يوم القيامة فالعرض طويل . . وأسرع يا همام واستيقظ وأفرح قلبك لعل رسالة الحب تصل من صاحب الجنة « **ألا طال شوق التائبين إلى لقائي ؟!!** » . .

أَسْتَغفرُ الله ما كَان من زَلَلىْ	وَمن ذُنــوبى وتفريطىْ وإصرارىْ
إن الملــوكَ إذا شـابَتْ عَبيـدهُمْ	فى رقه أعْـتَقُوهم عـتق أحرارِ
وأنتَ خَالقى أولى بذا كرمًا قَـــدْ	شبت فى الذنب فَاعْتقنى من النَّارِ

همسة :

يقول **أبا الحسن الزيات** : **«والله لا أبالي بكثرة المنكرات والبدع وإنما أخاف تأنيس القلب بها لأن الأشياء إذا توالت مباشرتها أنست بها النفوس وإذا ذلك قل أن تتأثر به»** .



عذرا .. عملك غير مقبول !!

يا مسكين : سرورك بذنبك علامة رضائك عنه والفرح عند الظفر به . . وبهذا . . كيف تتوب ولا زالت لذة المعصية تراودك عن نفسها فلا تستعصم ؟! ولذا ينبهك **ابن القيم** «الفرح دليل على شدة الرغبة في المعصية والجهل بقدر من عصاه وفرحك بها أشد ضرراً منها والمؤمن لا تتم له لذة بمعصيته أبداً ولا يكمل فرحه بل لا يباشرها إلا والحزن مخالط لقلبه وليبك على موت قلبه فإنه لو كان حياً لأحزنه ارتكابه الذنب» وروي أن رجلاً من بني إسرائيل تاب من ذنب وعبد الله سنين ثم سأل بعض الأنبياء أن يدعوا إليه بالقبول فأوحى الله عز وجل إليه « **لو تشفع بأهل السماوات والأرض ما قبلته وحلاوة الذنب في قلبه** » . . فابحث فى قلبك وكن صريحا . . وحين سئل البوشنجى أخبرك « إذا ذكرت الذنب ثم لم تجد حلاوته عند ذكره فهى توبة» فراجع نفسك مرة واثنان وثلاثة .

كشف حساب

اصطاد لك ابن الجوزى كلمات فخذها « إنك لا تخلو أن تكون عصيت الله في عمرك أو أطعته فأين لذة معصيتك ؟ وأين تعب طاعتك ؟ هيهات رحل كل بما فيه ! فليت الذنوب إذ تخلت خلت! وأزيدك في هذا بياناً مثل ساعة الموت وانظر إلى مرارة الحسرات على التفريط ولا أقول كيف تغلب حلاوة اللذات لأن حلاوة اللذات استحالت حلاوتها فبقيت مرارة الأسى بلا مقاوم أتراك ما علمت أن الأمر بعواقبه ؟ فراقب العواقب تسلم ولا تمل مع هوى الحسن فتندم » . .



يقول وهب بن منبه « وا عجبًا من الناس يبكون على من مات جسده ولا يبكون على من مات قلبه » . .



أدق من الشعر !!

ينبهك **الحسن البصري** « بقدر ما يصغر الذنب عندك يكبر عند الله وبقدر ما يكبر الذنب عندك يصغر عند الله » . . وأنى كان الذنب فخف منه لتحذير النبي ﷺ **«المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه والفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال به هكذا - أي أطاره بيده- فطار »** البخاري . . تذكر أن الكلام لك أنت . . وهمس في أذنك **كعب الأحبار** « إن العبد ليذنب الذنب الصغير فيحقره ولا يندم عليه ولا يستغفر فيعظم عند الله حتى يكون مثل الجبل » . . وأرع سمعك **لأبي سعيد الخدري** « إنكم لتعملون أعمالاً في أعينكم أدق من الشعر كنا نعدها من الموبقات» . . وما أكثرها هذه الأيام . . فاحذر زلات اللسان وخيانة العينين . . واعلم أن الله مطلع والملائكة صرير قلمها لا يتوقف . . وقال ﷺ « **إياكم ومحقرات الذنوب . . وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبه تهلكه** » صحيح . . وكلما تعلق قلبك بربك كان تأثره بالذنب على الفور فينكس رأسه ويذرف دمع الندم . . لأنه عرف قدر من عصاه ؟! . .

لا قليل من الإثم

هذا الاستهوان يجمع الصغيرة مع الصغيرة والحبة جنب الحبة . . ذلك لأن الجبال من تراكم الرمال وقطرات من الماء تقع على الحجر على توال فتؤثر عليه !! وأرشدك **أبو حامد الغزالى** « فالقليل من السيئات إذا دام عظم تأثيره في إظلام القلب وكلما استعظم العبد من نفسه الذنب صغر عند الله تعالى الذنب لأن استهوانه بالذنب يصدر عن الإلف به والقلب هو المطلوب تنويره بالطاعات والمحذور تسويده بالسيئات » . .

وأوحى الله إلى بعض أنبيائه « **لا تنظر إلى قلة الهدية وانظر إلى عظم مهديها ولا تنظر إلى صغر الخطيئة وانظر لكبرياء من واجهته بها** » . . ولذا قال **أبو تراب النخشبى**: «من علامة سواد القلب ألا تجد للذنوب مفزعاً ولا للطاعة موقعًا ولا للموعظة منجعًا (مكانًا واستجابة) » . .

هبوط يُستدرك

ولأن الصالحين كانوا يخافون دقة التقصير وليس صغر الذنب فاسمع **كهمس بن الحسن** إذ يقول: « أذنبت ذنبًا فأنا أبكي عليه منذ أربعين سنة ، فقيل: ما هو يا **أبا عبد الله**؟ قال: زارني أخ لي في الله فاشتريت له سمكًا فأكل ثم قمت إلى حائط جاري فأخذت منه قطعة طين فغسل بها يده !!» . . فكيف يا أحبابنا بمن يؤذي جيرانه ؟! . . ومن يرفع صوته على والديه ؟! ومن يفضل زوجته على والدته ؟! . . ومن . . ومن . . ومن ؟!! . .

لذا انتبه يا...

واذكر حال أبيك آدم الذي خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وحملته أعناق الملائكة إلى جنة لم يذنب إلا ذنبًا واحدًا فنزل به ما نزل . . حتى روي أن الله قال له : **«يا آدم أي جار كنت لك ؟ قال : نعم الجار يا رب قال : يا آدم اخرج من جواري وضع على رأسك تاج كرامتي فإنه لا يجاورني من عصاني»** .

وَيَخَافُ على نَفْسِهِ من يَتُوبْ فَكَيْف تَرى حَالُ من لا يَتُوبْ

كفى عليه ذلك

وأدرك أن المعاصى « تضعف فى القلب تعظيم الرب جل جلاله وتضعف وقاره فى قلب العبد ولا بد شاء أم أبى !! . . ولو تمكن وقار الله وعظمته فى قلب العبد لما تجرأ على معاصيه وربما اغتر المغتر وقال : إنما يحملنى على المعاصى حسن الرجاء وطمعى فى عفوه لا ضعف عظمته فى قلبى ؛ وهذا من مغالطة النفس والمتجرئون على معاصيه ما قدروا الله حق قدره وكيف يقدره حق قدره أو يعظمه ويكبره ويرجو وقاره ويجله من يهون عليه أمره ونهيه ؟! وكفى بالعاصى عقوبه أن يضمحل من قلبه تعظيم الله جل جلاله ويهون عليه حقه » . .

استرسال غافل..

ويرشدك **صاحب الخواطر** «اعلم أنه من أعظم المحن الاغترار بالسلامة بعد الذنب فإن العقوبة تتأخر ومن أعظم العقوبة ألا يحس الإنسان بها وأن تكون في سلب الدين وطمس القلب وسوء الاختيار للنفس» ذلك لأن «الذنوب توقع الوحشة العظيمة فى القلب فيجد المذنب نفسه مستوحشًا وقد وقعت الوحشة بينه وبين ربه وبين الخلق وبين نفسه وكلما كثرت الذنوب اشتدت الوحشة » وكل هذا لأن « الطاعة حصن الله الأعظم من دخله كان من الآمنين من عقوبة الدنيا والآخرة ومن خرج أحاطت به المخاوف من كل جانب فمن أطاع انقلبت المخاوف فى حقه أمانًا ومن عصاه انقلبت مآمنه خوفاً ؛ فمن خاف الله أمنه من كل شيء ومن لم يخف الله أخافه من كل شيء »

ولهذا صاح **يحيى بن معاذ** : « عمل كالسراب وقلب من التقوى خراب وذنوب بعدد الرمال والتراب ثم تطمع فى الكواعب الأتراب ؟! هيهات ؟! أنت سكران بغير شراب ما أكْمَلك لو بادرت أملك . . ما أجَلّك لو بادرت موتك . . ما أقْوَاك لو خالفت هواك »

يا هذا . . ما لك تستهون بذنوبك ؟! أترين أختاه بعض شعيرات رأسك عندما تظهر من حجابك شيء هين ؟! أم انكشاف ذراعك وجزء من ساقك بالأمر البسيط ؟! أم التساهل فى مصافحة الرجال شيء لا غبار عليه ؟! . . أما تأملتي تحذير حبيبك ﷺ « **أكثر أهل النار النساء** » . .

كيف يستهين ؟! كيف ؟!

وأرسل **ابن القيم** هذا الفاكس للمواجهة « كيف يستهين بالذنب والرب مطلع عليه وفي داره وعلى بساطه وملائكته شهود عليه ناظرون إليه وواعظ القرآن ينهاه وواعظ الموت ينهاه وواعظ النار ينهاه والذي يفوته بالمعصية من خير الدنيا والآخرة أضعاف أضعاف ما يحصل له من السرور واللذة بها فهل يقدم على الاستهانة بذلك كله ولا يستخف به ذو عقل سليم ؟!» .

والخلاصة . . الذنوب جراحات . . ورُبّ جُرح وقع فى مقتل .





إلا هذه !!

يا فرحاً بلذة عقباها جهنم

شرحها ابن القيم «المجاهرة بالذنب أشد من هذا كله لتيقنه بنظر الرب جل وعلا من فوق عرشه إليه فإن أمن بنظره إليه فأقدم على المجاهرة فهذا عظيم . . وهو دائر بين أمرين بين قلة الحياء ومجاهرة نظر الله إليه » . . وأنصت جيدا لقوله ﷺ : « **كل أمتي معافى إلا المجاهرين وإن المجاهرة أن يعمل الرجل عملاً ثم يصبح وقد ستره الله يقول : يا فلان عملت البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه** » مسلم . . وقال أحد التابعين «لا تذنب فإن كان ولابد فلا ترغب غيرك في الذنب فتذنب ذنبين» . . ألم تقرأ قوله ﷺ : « **من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها لا ينقص من أوزارهم شيئاً** » مسلم والنسائي . . وصرخ السلف «ما انتهك المرء من أخيه حرمة أعظم من أن يساعده على معصية ثم يهونها عليه ؟!!» . . فكم كنت ذلك ؟! . .

خَلِّ الذنوبَ صَغيرها وكَبيرهَا فَهُو التُقىْ

وَاصْنَع كمَاشٍ فَوْقَ أرض الشوك يحذر ما يرىْ

وَلا تَحقرن صَغيرةً فَإن الجبَال منَ الحصَىْ

احذر .. سابق .. قارن

فترى الشباب وكثير من الناس يتحدث عن ذنوبه وإطلالة الفرحة من وجهه بأنه قام بهذا الذنب . . وفتاه تقول لأختها لقد فعلت كذا وكذا . . وهنا حدث ولا حرج بمن يفتخرون بالمعصية ويتشدق لسانه وهو يتحدث عنها . . وآخر يمسك السيجارة وهو لا يعتبر ذلك من المجاهرة . . فبالله ماذا تسميها ؟! أو أخرى تظهر مفاتنها وتخلع حجابها . . فبالله ماذا تسميها ؟! فوالله إني لخائف عليك .

يا أخوة : أفأكون أحرص عليكم من أنفسكم ؟! وكي تعي أكثر فاسمع سفيان الثوري

«لأن تلقى الله تعالى بسبعين ذنبا فيما بينك وبينه أهون عليك من أن تلقاه بذنب واحد فيما بينك وبين العباد» . .

فهيا . . سابق إلى ربك واكتم خبر ذنوبك وألجم صحيفتك السوداء بقفل لا يفتح حتى تلقى الله وهو يبدل لك سيئاتك حسنات وأحذرك المجاهرة أنى كان الذنب لأنها جرأة على الله بأنك فعلت ما يغضبه وتتغنى به . . وآخر يكتم طاعته ويتغنى بآيات ربه وأحاديث نبيه ويرجو من الله القبول بعد ذلك . . **وشتان شتان !!** .

مكافأة .. توجب الإقلاع

المجاهرة بالذنب تقتل بالقلب حياءه من خالقه . . لذا كان الحياء من الخالق موجب للرحمة والمغفرة . . وكان هذا مبدأ الصالحين . . فحين رُؤي أحد الصالحين بعد موته . . فقيل له : ما فعل الله بك؟ .

قال : أقامنى وأعطانى كتابي فمررت بسيئة فخجلت أن أقرأها ، فقال لى : لابد من قراءتها . .

فقلت : إلهى لا تفضحنى .

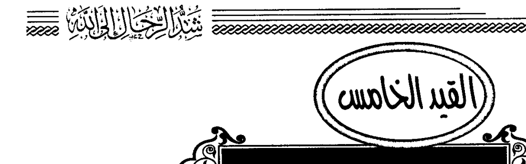
فقال : ياعبدى الوقت الذى لم تستحِ فيه مافضحتك . . أفأفضحك الآن وأنت تستحى؟! .

فعفا عنى وغفر لى . . .

فيا أخانا .. أما تستحى؟!

ويا أختنا .. أما تستحين؟!!





أغيثوا أنفسكم

قال تعالى : ﴿ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [النحل: 45، 46] . . تأمل وتفكر . . وقال ﷺ : « إذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فإنما ذلك منه استدراج » ثم قرأ : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام: 44] أحمد والطبراني والبيهقي .

يا غفول : إياك واستدراج الله لك . . فالله يمهلك ولا يهملك . . وإن لم تعد فرسائل العتاب على انقطاعك مستمرة فأصلح زاد بضاعتك وافقه طريق سيرك وإلا فاسمع : إنه لما مكر بإبليس وكان من الملائكة طفق **جبريل وميكال** يبكيان فقال الله عز وجل : ما لكما تبكيان؟ قالا : يارب ما نأمن مكرك . . فقال تعالى : هكذا كونا لا تأمنا مكري .

استسلام مهلك

هناك فئة من الناس غريب ما تفهمه . . مذهل ما تفقهه . . على الذنب مقيمين . . وعلى معاصيهم مستمرين . . ويظنون بعد ذلك أن الله يحبهم وظنوا أنهم ناجون وأن ربهم راض عنهم لأنه سترهم ولم يفضحهم ولكن : أسفاً ما هذا بحق ؟! . . ويرشد أحدهم **الحارث المحاسبي** موضحًا له أن « الستر عليه حجة من الله عز وجل وثناء الناس له إنما كان لستر الله عليه ولو أظهر الله ما يعلم منه لأبغضوه وهو لا يحب أن يعلموا منه ما يعلم الله عز وجل من ذنوبه فيمقتوه والله عز وجل أولى أن يخافه أن يكون قد مقته بما سلف من ذنوبه أو يبغض ما هو عليه مقيم . . فلا تأمن لأن ذلك استدارجًا من الله ولذا فيستأنس إلى الستر والإهمال ثم يأخذه بغتة بعقوبة أو يهتك ستره عنه أو يموت على ذنبه ولم يتب منه» . . فإلى من يذنب سرًا ومشغوف بتلذذه . . انتبه لأن وراءك ربًا . . وهنا اذكر بقوله تعالى : ﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: 182] . . أي لابد من إعادة النظر .

حديث مقلق

يقول ﷺ : « إن الرجل ليعمل بعمل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه

الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها» متفق عليه . . وهذا ما عقله جيداً **أبو بكر الصديق** فقال مقولته الخالدة : «والله ما آمن مكر الله ولو كانت إحدى رجلى فى الجنة والأخرى على بابها» . . وأنت ما حالك ؟! . . ورآك **الحسن** فاحمر وجه قلقاً فنادى فيك «ما أحد من الناس بسط له في أمور الدنيا فلم يخف أن يكون ذلك مكراً به واستدراجاً إلا نقص ذلك من عمله ودينه وعقله !!» . . غفرانك ربنا . .

وعبد **القادر الجيلاني** لك منه وصية «ارجع عن غرتك قبل أن تغرب وتهان وتسلط عليك حيات البلايا وعقاربها فلذقت طعم البلاء قبل جرم تغتر لا تفرح بجميع ما أنت فيه فهو شيء زائل عن قريب ، قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً ﴾ [الأنعام: 44] .

غداً سيرفع الستار

يا كسول : يا من تعظه الكلمات وما يقبل وينذره القبر بمن يرحل إذا لم تفق فكن كيف شئت فإنما تجازى بما تعمل

* ومع **أنس** الخبر اليقين يقول كنا مع النبي ﷺ فجاءه رجل فقال يا رسول الله مات فلان . . قال : أليس كان معنا أنفًا . . قالوا : **بلى قال : سبحان الله كأنها أخذه على غضب المحروم ومن حرم وصيته»** حسن . .

* واقرأ بعين الفكر . . حكى أن أخوين أحدهما عابداً والآخر مسرفًا فراودت العابد نفسه للمعصية وقال ثم أتوب والمسرف رأى قلبه نور ربه فأضاء فاستل سكين اليقظة وارتدى ثوب التوبة وقال سأصعد لكى أتعلم العبادة وابدأ صفحة جديدة مع ربى وإذ بهذا صاعداً والآخر نازلاً حتى جاء قدر الله ووافتهم المنية فحشر العابد بنية المعصية والمسرف بنية التوبة !!

* وعمومًا سُئل **أبو تميمة الهجيمي** : كيف أصبحت ؟ قال : «بين ذنب والله ما أدري ما فعل فيه أغفره وعفى عنه أو غضب علي من أجله ؟! وثناء من هؤلاء الناس والله ما أستأهله ولا أنا كذلك» . .

طَالَ والله بالذنوب اشْتـغَـالى	**وتَمَاديتُ فى قبيح الفعَال**
ليتَ شعْرى إذا أتيت فَريدا	**والموازين قد نصبن حَوالىْ**
والدواوين قد نشرن جميعًا	**ثم لم يُغْنِ هنالك مَالىْ**
ما احْتيالى وما أقول لربىْ	**فى سؤالى وما يكون مقَالىْ**

همسة :

يقول **حاتم الأصم** «إذا عصيت ربك وأصبحت رأيت نعمه سابغة عليك فاحذره فإن ذلك استدراج!!» .



وثيقة انتساب ..

عباد الله .. داووا جروحكم الغائرة . . واشحذوا هممكم السابقة . . تشبثوا بربكم ولا تقطعوا أنفسكم عن دربه . . وتعلموا وتحققوا أن هدفكم الجنة وغايتكم إرضاء ربكم وعنوانكم الميتة الحسنة والتي سألها **عامر بن عبد الله بن الزبير** ربه . . يا رب أسألك الميتة الحسنة . . قالوا : ما هي الميتة الحسنة ؟ قال : أن يتوفاني ربي وأنا ساجد فاستجاب له ربه ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: 69] ، واسمع أبو الدرداء : « ويل لمن يعلم ولم يعمل مرة ، وويل لمن علم ولم يعمل سبعين مرة » .

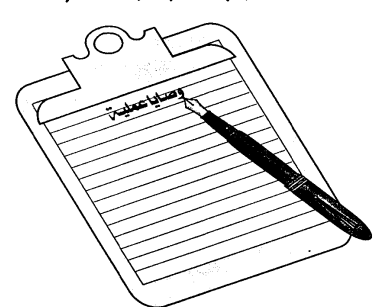
هل أنت عازم على التغير ؟!

اقطع مفاوز الدنيا بسرعة وآثر حب الله على هواك فما تبالي متى تلقاه ؟ قام القوم فما يقعدك ؟! قربوا من الجنات فما يبعدك ؟! فتحت لهم الأبواب فما حيرتك ؟! هذه القصور فما هذا القصور ؟! هذه القبور فما هذا الفتور ؟! هل لك رغبة في مرافقة الصالحين ؟! هل لك طلب أن تكون مع الطائعين ؟!

وأقول لك :

لا تيأس من عودة قلبك القاسى إلى الخشوع عساه أن يلين مع الذكر وأن تصبحه وتمسيه بالأوراد وأن تشن عليه غارات الدعاء فى ميدان السحر وابتهل إلى مولاك فى إصلاح قلبك وتدبر القران العظيم فلعل آية تقع موقعها فتداوى جراح هذا القلب وتخرج صدأه وتزيل علته وتذهب عاهته . . آه . .

لو حضر قلبك ما شرحنا والله لاسترحنا !!





الجولة الرابعة

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم: 6]

قَـدِّمْ لنفـسكَ خـيْـراً وأنت مَـالكُ مَـالكْ

من قـبل أن تُصْـبح فـرداً ولون حَـالكَ حَـالكْ

ولَسْـتَ والله تَـدرى أي المسَـالك سَـالكْ

إمّـا لجنّـة عـدْنٍ أو فى المهَـالك هَـالكْ





- إلى من يحاولون الثبات فتغرقهم أمواج الفتن ..
- إلى من وقعوا صيدًا لصحبة لا تليق ولا تنفع..
- إلى من ظنوا انه لافائدة فيهم ولن يقبلهم ربهم ..

تعالوا بنا نصارح أنفسنا

لنرى من قلبك ينابيعًا لا تفقد من منابع الأيمان ..

لنرى من نفسك آباراً لا تجف من أنوار الإيمان..

هيـا بنـا إذن ...

شريف



لا مبالاة محفوفة بالمخاطر

أيا مقبلاً على ربه : غض بصرك عن كلمة «سوف» ونصحك **لقمان** «يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ومن ترك المبادرة إلى التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين :

(أحدهما) : أن تتراكم الظلمة على قلبه من المعاصي حتى يصير ريناً وطبعاً لا يقبل المحو .

و**(الثاني)** : أن يعاجله المرض أو الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو **فما هلك من هلك إلا بالتسويف** » . . وسهل الأمر **سهل بن عبد الله** «التوبة ترك التسويف» .

يا بطَّال : سبقك أهل العزائم وأنت في سوف ولعل وعندما وغداً هائم . .

يا واقفًا مع تقصيره : إلى كم تؤخر التوبة وما أنت فى التأخير بمعذور؟! إلى متى يقال أنك مفتون ومغرور ؟! .

استئصال يُشفي

قال **عون بن عبد الله** : « إن من أغر الغرة انتظار تمام الأماني وأنت أيها العبد مقيم على المعاصي لقد خاب سعي المعرضين عن الله وقال : ما نؤمل إلا عفوه وغلبه البكاء » . . وشدد النبي ﷺ التنبيه : « **كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور**» صحيح . . ولذا صاح **أبو الدرداء** « ألا تستحيون ؟! تبنون ما لا تسكنون ؟! وتأملون ما لا تدركون ؟! وتجمعون ما لا تأكلون ؟! إن الذين كانوا قبلكم بنوا شديدا وجمعوا كثيرا وأملوا بعيدا فأصبحت مساكنهم قبورا وآمالهم غرورا وجمعهم بورا !! » .

ويلتقط طرف الحوار **عبد القادر الجيلانى** موضحًا : «لا تغتر بعمل من الأعمال فإن الأعمال بخواتيمها ؛ عليك بسؤال الحق عز وجل أن يحسن خاتمتك ويقبضك على أحب الأعمال إليه . . إياك ثم إياك إذا تبت أن تنقض ثم تعود إلى المعصية ولا ترجع إلى توبتك بقول قائل . . ولا توافق نفسك وهواك وطبعك وتخالف مولاك عز وجل» . .

إقطع سوف

يحل اللغز **الحارث المحاسبي** ويقول : « **اقطع سوف بخلقين** . .

إحداهما : خوف المعاجلة بالموت أن يكون أجل الله عز وجل في روحه قبل أجل التوبة فيموت بحسرته لم يبلغ أمله ولم يتب من ذنبه فلا إلى الله تاب ولا بلغ من لذاته ما أراد . .

والثانية : أن يضرب الله عز وجل قلبه بعقوبة مانعة له من التوبة من القسوة والإقفال» . .

وبشرك **الإمام السمرقندي** « من قصر أمله أكرمه الله تعالى بأربع :

إحداها : أن يقويه على طاعته لأن العبد إذا علم أنه يموت من قريب يجتهد في الطاعات فيكثر عمله . .

والثانية : تقل همومه . .

والثالثة : راضيًا بالقليل لأن همه الآخرة . .

رابعة : ينور الله قلبه » . .

مواجهات..

* إذا كان الموت ليس له وقت معلوم من العمر المحدود . . وليس لديك معرفة بمن اسمه مطلوب . . فلا تأمنه أن يأتيك في صغر أو كبر أو شباب أو هرم . .
* إذا لم تكن للموت علة معلومة فلا تأمنه في صحة أو سقم ولا في حضر أو في سفر ولا في بر أو في بحر . .
* ربما يأتيك المرض . . أو يظهر الشيب . . أو يذقه صديق أو قريب . . وربما كانت رسائل مفهومة ليست بعلامات . . ولكن لا الشاب ينتهي ولا الصغير يكف ولا الفتاة تعى ولا الشيخ يدرك . .
* أو ما تستحي من استبطائك هجوم الموت . . واقتدائك برعاع الغفلة الذين لا ينظرون إلا إلى صيحة واحدة تأخذهم وهو يخصمون فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون ؟!
* يا من تحدثه الآمال دع عنك هذه الوساوس . . وانظر متى تنتبه لصلاحك أيها الناعس؟!ومتى تطلب الآخرة ؟! . . يا من على الدنيا ينافس : متى تذكر وحدتك إذا انفردت عن كل مؤانس ؟! وإذا جاءك الموت انتبهت وقت لا ينفعك الانتباه . .
* اقرأ واعمل وكأنه قيل لك أنك ستموت الساعة وروحك لن ترجع في شهيقك وملك الموت على رأسك والقبر من وراءك ينادي : أنا بيت الوحشة أنت بيت الظلمة أنا بيت الدود . . لأن الروح بيد خالقها لا بيدك ولا تدري متى يرسل لك صاحبها ليأخذها؟! . . فلا زالت التوبة مقبولة والعثرة مقاله والدعاء مجاب . .
* فبادر قبل أن تغادر وإذا أخذت أمانًا وعهدا مع ملك الموت بتأخير أجلك ساعة !! . . فلا داع لهذا الكلام ولكن ابن المبارك قالها قبلك « **عامة دعاء أهل النار : يا أف للتسويف** » . .

ضع الإجابة .. الآن وحالاً ..

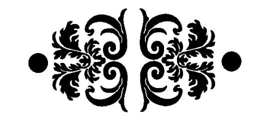
أخي: متى تصلى ؟! متى تصالح مصحفك ؟! متى تدرك صلاة الفجر ؟! متى تصلى بالليل ركعات ؟! متى تحافظ على صلاة الجماعة ؟! متى تقطع أسباب المعصية ؟! متى تصل رحمك ؟! متى تتصدق ؟! متى تخرج زكاة مالك ؟! متى تغير نقودك من بنوك الربا إلى أخرى حلال ؟! متى تقلع عن التدخين ؟! متى تصاحب الصالحين ؟!

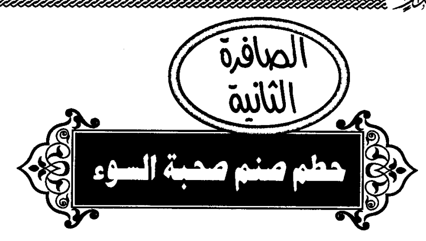
أختاه : متى تتحجبين ؟! متى ترتدين الملابس التى يناشدك بها ربك وحبيبك ﷺ؟! متى تقطعى علاقتك بشاب لا يصلح لك ؟! **أمى** .. **أبتاه** : متى تهتمون بتربية أولادكم ؟! ومتى تتابعونهم فى الصلاة وقراءة القرآن ؟!

يا قليل الزاد . . يا من أشغلته سوف عن العمل وعلقته بالأمل أنذرك وأحذرك هذه الكلمة فإنها أنشودة الفاشلين وشعار الخاسرين ونغمة الكسالى وعذر البطالين واستفهم أنت خبر نفسك . . إلى متى . . سوف . . سوف . . سوف . . ؟! ما عندى خبر !! . .



قال **محمد بن الكلاف** : «من أكثر ذكر الموت أكرم بثلاثة : تعجيل التوبة وقناعة النفس والنشاط في العبادة» .





أين عقلك ؟!!

يقول ﷺ : « **المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل** » صحيح .

يا غافل : كم مرة أوقعتك صحبتك في شباك الضلال والسخط . . وفي كهوف المعاصي والزلل . . وأغرقتك في سيئات وشبهات وأنت تابع لهم بلا إقتناع . . ومقبل عليهم بلا تفكير وكأنهم بعقل وأنت بدونه . . فانظر كم أودوا بك في مصائب . . ولا زال الشيطان يغشى على تفكيرك وأنت في الأخطار ماض . . ألا صحو ساعة . . تفكروا إخواني في أهل الفساد وأهل الصلاح . . وميزوا أهل الخسران وأرباب الأرباح . . فيا سرعان عمر يفنيه مساء قبل صباح . . ولا اعلم كيف ترافق نبيك في الجنة وحولك رفقة سوء ؟!! . . ويكشف عنك هذه الغشاوة علي كرم الله وجهه « لا تصحب الفاجر العاصي فإنه يزين لك فعله ويود لو أنك مثله » . . أين عقلك ؟!!

عقبة تعرقل المسير

إن تلك مشكلة عظيمة وإن شئت قل أساس كل المشكلات مع ربك هي **صحبتك** . . إذ أن صاحب السوء يزين لك المعصية ويوقعك في شباكها ويكبلك بحبالها وأنت تسير غير مبال وذلك يسهل من أمر ذنوبك وتقصيرك مع ربك حيث الكثرة تغلب الشجاعة ولكن هنا لا ينطبق هذا المثل من أي جهة كانت . . لأن صحبتك مؤشر لحياتك مما ستناله بعد مماتك . . فكم من صاحب عصيت الله عز وجل معه ؟! وتصنعت له في معاملتك ؟! . . ولكن اختطفه الموت قبلك وبقى عصيانه في كتابه ولكن سبحان ربك الرحيم الرحمن أن أمهلك حتى تقرأ وتعمل وتهدأ وتسترح .

ولا يغرنك كثرة الهالكين

كثير من الأصحاب يتيهون في الدنيا وهم في الآخرة كذلك لا طاعة ولا صلاة ولا قرآن ولا معنى إيماني يتغلغل بقلوبهم أو استغفار يشرح صدورهم أو توبة تصلح حالهم ولذا فإن صحبتك لابد منها . . ولكن ماذا تفعل بعد ما تنوي التوبة وتنتزع أشواك المعصية من جذورها حتى لا تنبت وتغلق عليها المنافذ وتدفن في أرض يابسة لا زرع فيها ولا ماء . .

ولصاحب الفتح الرباني كلمة «لا تخالط الناس مع العمى، مع الجهل ، مع الغفلة والنوم، خالطهم بالبصيرة والعلم واليقظة، فإذا رأيت منهم ما تحمده فاتبعه ، وإذا رأيت ما يسؤك فاجتنبه وردهم عنه».

مثال رائع

ويضرب لك المحاسبي مثالاً: « مثل بين أن لو كنت كلما لقيت إخوانك وأصحابك أخذوا من لحيتك شعرة أو من ثوبك سلكًا . . لقل لقاؤك لهم ولأبغضتهم ولقاءهم . . لأنك تعلم إنه إن دام ذلك ذهبت لحيتك وصرت مشوهًا وتعريت من ثيابك سريعًا فكذلك كن مشفقًا على نفسك وعلى دينك !! »

يا سبحان الله . . . تخشى مظهرك وتخاف ثيابك . . ولا تقلق على نفسك وقلبك ؟! . . بل ولا تخشى على دينك؟! . . وهنا أقولها لك على الملأ . . **إن صحبت فصاحب من تذكرك بالله رؤيته، إن نسيته ذكرك .. وإن قصرت في طاعته أعانك وإن هجرت كتابه نبهك وإن أقدمت على ذنبك يأسك وإن عزمت بوثبة إلى الجنة مد يد العون وساعدك** .. ولذا . . تحرز من أصدقاء السوء . . أليس للتوبة فرحة . . أليس لراحة النفس من متعة ؟! .

ولكن : كيف سأترك أصحابي بعد هذه العشرة ؟!

يا أختنا .. يا أخانا . . ببساطة شديدة تحررك من أصحاب السوء مطلوب وبعدك عنهم مرغوب لكي لا تنحدر بك معاصيك إلى الشيطان مرة أخرى . . ومن الواقع أقول :

تدرج في ذلك بأن تغير نفسك أولاً ولا تشاركهم قبيح الكلام أو سيء الفعال . . اصنع لك شخصية واصنع بينهم لك قراراً ، تجرأ ولا تسمع لاستهزائهم لأنك تطلب رضاء ربك ونبيك وهل هناك أعظم وأثمن وأجمل من ذلك . .

* إذا جلست معهم فأفلتت منهم كلمات نابية أو خوض في الباطل أو الأعراض فالزم الصمت ثم انصحهم برفق وأكثر دعاءك واستغفارك لعل وعسي أن تصلح حالهم وتكون سببًا في إفاقتهم من غفلتهم التي في ظلها يعمهون . .

واستعن جوارًا لذلك بصحبة الصالحين صحبة المسجد وصحبة صلاة الفجر وصحبة دروس العلم وغير من نفسك وأصلح من شأنك . . فاصبر وتحمل واسمع ربك : ﴿ **مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ** ﴾ [آل عمران: 179] .

نصائح

* قال إبراهيم التيمي : « إن الرجل ليأتي القوم وهم يخوضون في الباطل فيصرفهم إلى الذكر فيكون له أجره وأجرهم ».

* استعن بربك والزم سنة نبيك إذ كيف تأخذ بيد غريق وأنت لا تعلم عن السباحة شيء . . فاشتغل بنفسك إلا أن تبتلي بلقاء أصحابك فأظهر لهم من نفسك خير . . قلب رحيم وصدر منشرح وخلق جديد حسن ولسان طاهر لا يخوض في الباطل . .

* اغضب بلين إذا تحدثوا في معصية وشاركهم الطاعة بحماس . .

* كن في طريق وهم في آخر إذا أرادوا المعصية وعزموا عليها واتبعوا خطواتها . . فكأنك من الهند وهم من زُحل . .

* انتبه لقول بشر الحافي « ستون من مردة الشيطان لا يفسدون ما يفسده قرين السوء في لحظة !! ».

الأهل والأقارب .. وصيتك

وهذه عقبة أخرى أهلك وأخوك وأختك ووالدك وابن عمك وهكذا . . فتجد من الأقارب الاستهزاء والسخرية أو ربما يكونوا صالحين مصلحين فيا بشراك ويا لحلاوة لحوقك بهم . . وأنبه سمعك لقوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴾ [الطور:26] . . ويشرح السلف « أي تخاف عواقب ذنوبهم وتشكو إلى الله غفلتهم وتدعوه لهدايتهم مع أن تتحرك بالدعوة بينهم وتنشط في إصلاح حالهم» . . وآخر ألقى الحبل على الغارب متحججا إنهم لا يسمعوا لي وربما بعد فترة صار غافلاً مثلهم لأنه لم يفقه بعد كيفية الثبات فقال الله فيه ﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴾ [الانشقاق:13] . . فكن حذرًا وإياك أن يفتنوك في دينك . . واسمع ربك : ﴿ قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم:6] . . وقوله تعالى لنبيه ﷺ : ﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا ﴾ [طه:132] . . فلا تيأس منهم . . وأقلها قول حبيبك ﷺ : «بلغوا عني ولو آية » صحيح . . وكثرة الطرق تلين الحديد . . وكثرة الدعاء تفتح مغاليق القلوب . . ذلك لأن ربك هو المستعان . .

ثم ما هو إلا قليل

إذا كان الاستهزاء دأبهم معك فاعلم أن له ثمن عند ربك . . ليرى صدقك معه . . فما هو إلا قليل حتى يرسل عليك سكينته ويؤيدك بمعونته ويرحم مكابدتك ومجاهدتك . . وبعدما تجشمت مشقة كل هذا فيخفف الله عنك وتبرق أطياف قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾ [الحديد:12] وهم يقولون ﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ﴾ [النساء: 141] . . وعند باب الجنة استرح وانتظر . . لعل الله يحدث بعد ذلك معهم أمرًا . .

هذه القصة لك

ذهب **عمرو بن نجيد** إلى مجلس **الإمام أبى عثمان** فأثر فى قلبه كلامه فتاب ثم مرض وكسل فكان يهرب من **أبى عثمان** إذا رآه ويتأخر عن مجلسه فاستقبله **أبو عثمان** يوما فحاد **عمرو** عن طريقه وسلك آخر فتبعه **أبا عثمان** حتى لحقه وقال له : يا بنى لا تصحب من لا يحبك إلا معصوما إنما ينفعك **أبو عثمان** فى مثل هذه الحالة . . فتاب **عمرو** وعاد إلى الله والتزم طريق الجنة . . أراك لا زلت تفكر . . أليس كذلك ؟!

شوق يزيح غمام التردد

عن **أنس بن مالك** يقول ﷺ : « **متى ألقى أحبابي ؟ فقال أصحابه : بأبينا أنت وأمنا أولسنا أحبابك ؟ فقال : أنتم أصحابي أما أحبابي فهم قوم لم يروني وآمنوا بي وأن إليهم بالأشواق لأكثر** » راجع كنز العمال . . فيا لها من متعة عندما يحلو العناق وتبلغ الأشواق ذرا السحاب والنبي يحتضنك وصدرك على صدره . . وآخرون ؟!!





يا حبيب قلبي . . لا تدع شهوات الدنيا تهيمن عليك قلباً وفكراً . . أليس لك عقل؟! . . أليس لك قلب؟! . . قف مع نفسك وقفة . . لا تظلم نفسك معك أكثر من هذا . . أرجوك . . أناديك . . قف مع قلبك . . مع عقلك . . أأنت راضٍ عنها؟!

كمائن الشهوات

إن كمائن الشهوات المنصوبة لابن آدم في شبابه خاصة وبقية عمره عامة هي شباك لا تلين إلا في يد المجتهد الذى يناشد العفة ويسعى لها . . أما من ترضيه لذته وتبهجه شهوته فو احسرته بعد انقضائها . . ذلك الحبل الذي يكتف الإنسان عن طريق ربه . .

* **فهذا** . . متعلق بصورة فتاة ويزغ بصره هنا وهناك ويود لو أن له ألف عين . .

* **وهذا** . . مصيبته أكبر فهو من مرتادي المواقع الإباحية التي فتكت بشباب الأمة وأصبح الكلام « كان يا ما كان فيه شاب يريد الجنة » وهو لا يدرى أنه على طريق من طرق الإدمان . .

* **وهذا** . . تبدلت عنده المفاهيم وصارت أهدافه تنحصر في كيفية قضاء شهوته وبالصورة التي يرضاها فيسرح عقله وتتجول عينه ويتشوق قلبه ليضع شهوته في أبهى صورها . .

* وآخر أصبح وكأنه أعمى لا يرى إلا صورة واحدة . . أبله لا يدرك إلا شيئًا واحداً . . أخرس لا يجيد إلا لغة واحدة هي . . **شهوته** . . أهذا كل ما يأمل ؟!

صرخة وإغاثة

ولذا صرخ صاحب **إغاثة اللهفان في** هؤلاء العاشقين الغافلين المعذبين « تلك لعمر الله الفتنة الكبرى والبلية العظمى التي استعبدت النفوس لغير خالقها وملكت القلوب لمن يسومها الهوان وألقت الحرب بين عشق الشهوة ومحبة الحق سبحانه ودعت إلى موالاة كل شيطان مريد فصيرت القلب للهوى أسيرًا وجعلت عليه حاكمًا وأميراً فأوسعت القلوب محنة وملأتها فتنة وحالت بينها وبين رشدها وحرمتها عن طريق قصدها ونادت عليها في سوق الرقيق فباعتها بأخس الأثمان . . فيا حسرته لشهوة

عاجلة ذهبت لذتها وبقيت تبعتها وانقضت منفعتها وبقيت مضرتها فذهبت الشهوة وبقيت الشقوة وزالت النشوة وبقيت الحسرة » . .

والكلام كثير ولكن أين من يسمعون وينفذون ؟!

ولك رســـالة

نبهك **السلف** « اعلم أن الله عز وجل إذا عصاه العبد حلم فإذا عاد إلى المعصية مرة أخرى ستره فإذا لبس لها ملابسها غضب الله تعالى لنفسه غضبة تضيق منها السماوات والأرض والجبال والشجر والدواب فمن ذا يطيق غضبه » . . فإن كانت شهوتك وارتيادك للمواقع الإباحية سهلاً ميسوراً فإني أذكرك يومًا تكون السماء فيه كالمهل وتصير الجبال كالعهن وتجثو الأمم لصولة الجبار وتذكر الآية : ﴿ **وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلا شَفِيعٍ يُطَاعُ ۝١٨ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ** ﴾ [غافر: 18، 19] . . فأين المهرب من هذا الآية ؟! وأين حمرة الخجل عندما تقف بين يدي ربك عاريًا يوم لا ينفع مال ولا بنون ؟! ويسألك . . **عبدي عصيتني وأصررت على معصيتي وآثرت شهواتك ونظراتك على إرضائي وطاعتي؟!** بالله ماذا ستجيب ؟! ألا من عاقل لأمرسه بلغ سن رشده فوعى ما خلق له ؟!!

ردود ســـريعة

* عن **ابن عباس** جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يتشلل دمًا ؛ فقال له : مالك؟! . . قال : يا رسول الله مرت بي امرأة فنظرت إليها فلم أزل أتبعها بصري فاستقبلنى جدار فضربني فصنع بي ما ترى . . فقال ﷺ : « **إن الله عز وجل إذا أراد بعبد خيراً عجل له عقوبته في الدنيا** » . .

* حين دخل **عبد الله بن مسعود** على مريض يعوده ومعه قوم وفي البيت امرأة فجعل الرجل ينظر إليها فقال **بن مسعود** : «لو انفقأت عينك لكان خيراً لك » .

* **وإذا داعبك هذا السؤال** . . النظرة الثانية تخفف النظرة الأولى ولذلك انظر ثانية؟! فيرد عليك العلامة **ابن الجوزي** « أنك لو نظرت فالظاهر تقوية ما عندك فإن ما بهتك أول نظرة فالظاهر حسنه . . وإبليس عند قصدك لهذه النظرة يقوم ليزين لك ما لا يحسن ثم لا تعان عليه وإنك الآن في مقام معاملة للحق عز وجل على ترك المحبوب وأنت تريد أن تتثبت حتى إذا لم يكن المنظور مرضيًا تركته فإذًا يكون تركه لأنه لا يلائم غرضك لا لله تعالى » . .

معادلات وثنائيات

قال أبو بكر الوراق : « أصل غلبة الهوى مقاربة الشهوات فإذا غلب الهوى أظلم القلب وإذا أظلم القلب ضاق الصدر وإذا ضاق الصدر ساء الخلق وإذا ساء الخلق أبغضه الخلق وإذا أبغضه الخلق أبغضهم وإذا أبغضهم جفاهم وصار شيطانًا رجيمًا» . .

معينات للإنقاذ

أرشدك لها صاحب ذم الهوى :

** أن يفكر فى عواقب الهوى ؛ فكم أفات من فضيلة ؟! وكم أوقع فى رذيلة ؟! وكم من مطعم قد أوقع فى مرض؟! وكم من زلة أوجبت انكسار جاه وقبح ذكر مع إثم؟! غير أن صاحب الهوى لا يرى إلا الهوى . .

** أن يتصور العاقل انقضاء غرضه من هواه ثم يتصور الأذى الحاصل عقب اللذة فرب نظرة أورثت شهوة ورب شهوة ساعة أورثت حزنا طويلا . .

** أن يتدبر عز الغلبة وذل القهر فإنه ما من أحد غلب هواه إلا أحس بقوة عز وما من أحد غلبه هواه إلا وجد فى نفسه ذل القهر . .

** أن يتفكر فى فائدة المخالفة للهوى من اكتساب الذكر الجميل فى الدنيا وسلامة النفس والعرض والأجر فى الآخرة وقل لى بالله عليك أين لذة آدم التى قضاها من همة **يوسف** التى أمضاها ؟!! ومن كان يكون **يوسف** لو نال تلك اللذة !! فلما تركها وصبر عنها بمجاهدة ساعة صار من قد عرفت . .

ووصل الأمر عند بشر بن الحارث لأن يقول : **«لا تجد حلاوة العبادة حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطًا من حديد »** . .

** روى أن موسى قال : يا رب أوصنى ؟! قال : أوصيك بى . . ثلاثا حتى قال : «أوصيك بى أن لا يعرض لك أمر إلا آثرت فيه محبتى على ما سواها فمن لم يفعل ذلك لم أزكه وأرحمه !!» . .

جلسة مصارحة :

أيا مدعي الفهم : بدلاً من إطلاق العين في النظرات ومن ثم التفكير في الشهوات . . ما أحسن الحال من نظرتها للمصاحف ! . . وبكاؤها من خشية الله ! . ولكن كيف لعين آثرت النظرات أن تبكي من خشية الله ؟! أو كيف تستلذ بطاعته ؟! . .

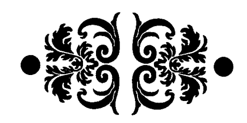
يا هو : إلى متى تظل عينك تعبث بنظرة وقلبك ينبض بشهوة وعقلك سارح في اللذة؟! متى تلقى الله بقلب متعلق به ؟! ومتى تفيق لنفسك ؟! . . بالله عليك إن قبضت روحك . . **فبماذا تقابل ربك ؟! . . وماذا أنت قائل ؟!**

يا صاح . . انتبه واعقل أمرك فرب نظرة أدامت حسرات . . وبالله كيف تحشر بجوار **نبي الله يوسف** ؟! . . تعجب **ابن الجوزي** حالك فقال : «فوا عجباً للمغالط نفسه يرضى نفسه بشهوة ثم يرضى ربه بطاعة ويقول حسنة وسيئة».

يا أنت : أين حياؤك من الله ؟! ومن رسوله ؟!

همسة :

قال إبليس « أهلكت ابن آدم بالشهوات وأهلكني بلا إله إلا الله والاستغفار » . .





الفأر المخادع..

إن الشيطان ما هو إلا فأر ولشدة تعلقك به وهيمنته عليك ومن غمره إتباعك لخطواته كبر في عينك أما إذا دققت النظر لعلمت أنه فأر منتصب أمام مصباح فتبين لك ظله وقد انتشر في بهو المكان ؛ لعلى أطلعتك على حقيقته فهو يدبر ويمكر لك كل مصيبة ويبذر لك الشر حيث خطوت ليوقعك في شباكه الوهمية التي بمعصيتك تتحول لشباك حديدية .

شيطان يترصد

قال تعالى : ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: 60]، ولذا فعليك بمحاربته بكل ما أوتيت من قوة لا أن تصافحه ممدًا يد السلام إذ تحاربه كما أرشد الإمام الغزالي :

الأولى : أنه عدو مضل مبين ولا مطمع فيه لمصالحه وإبقاء عليه بل لا يقنعه إلا هلاكك أصلاً ﴿ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾ [فاطر: 6] وهذا أقصى التحذير وغايته .

والثانية : أنه مجبول على عداوتك ومنتصب أبدًا لمحاربتك فهو آناء الليل وأطراف النهار يرميك بسهامه وأنت غافل عنه فكيف يكون الحال ؟ ! » وكان أحد الفطناء **مالك بن دينار** فقال : «من غلب شهوات الدنيا فذلك الذى يفرق الشيطان من ظله » .

انطلاقة.. تقطع الشباك

فاستعذ بالله دومًا . . وجاهده حسب الاستطاعة واسمع ربك : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ [آل عمران: 142] وصدق **يحيى بن معاذ** الرازي « الشيطان فارغ وأنت مشغول والشيطان يراك وأنت لا تراه وأنت تنساه وهو لا ينساك ومن نفسك للشيطان عليك أعوان فإذًا لابد من محاربته وقهره وإلا فلا تأمن من الفساد والهلاك ؟ !» . .

وعلم ذلك جيدًا أصحاب الهمم فقال عبد العزيز بن أبي رواد : « ولقد حججت ستين

سنة وعملت أعمالاً كثيرة من القربات ومع ذلك فما حاسبت نفسي قط إلا وجدت نصيب الشيطان من ذلك أقوى من نصيب ربي فليتني خرجت من الدنيا كفافًا لا علي ولا لي » . .

فكيف بمن لم يرى الحرم ؟ ! أو لم يحج ستين حجة ؟! .

بين الخير والشر

ولأن الشيطان يزين للنفس سوء العمل والتعرض لعسرة الحساب ففرق بين خيرك وشرك وهي صناعة العلماء الربانية وفى **منهاج العابدين** « إذا أردت أن تعلم خاطر الخير من خاطر الشر وتفرق بينهما . .

الأول : أن تعرض ما خطر ببالك على الشرع فإن وافق جنسه فهو خير وإلا فشر .

وثانيًا : اعرضه على الإقتداء إذا كان من فعل الصالحين أم ضدهم .

وثالثًا : اعرضه على النفس و الهوى فإن كانت تنفر منه النفس أم تميل إليه فاعلم أنه شر ؛ والميزان .

الرابع : اعلم ما تميل إليه النفس من ميل رجاء الله وطاعته أم تؤدي للمعصية وغضب الرب فهو شر » .

واحفظ هذا الدعاء

دعاء الورع الزاهد **محمد بن واسع** حين كان يدعو كل صباح « اللهم إنك سلطت علينا عدوا لنا بصيرًا بعيوبنا مطلعًا على عوراتنا يرانا هو وقبيله من حيث لا نراه اللهم فأيسه منا كما آيسته من رحمتك وقنطه منا كما قنطه من عفوك وباعد بيننا وبينه كما باعد بينه وبين مغفرتك وجنتك إنك على كل شيء قدير فتمثل له إبليس يومًا وقال له : يا **محمد** لا تعلم هذا الدعاء لأحد وأنا لا أتعرض لك به أبدًا فقال له **محمد** : والله لا أمنعه من أحد واصنع ما شئت » .

عتاب لا عقاب

لماذا تترك الشيطان يقلبك بين يديه هكذا ؟! . . لماذا كل هذا الضعف والخذلان؟! أيمسك عليك ذلة أم هذا من كثرة الغفلة . ؟! . . تغلب عليه بالوضوء الدائم واستعن عليه بكثرة السجود والإستعانة بالله ... وإلا فطيب الله ثراك . .

همسة :

كان أبو بكر بن عياش يقول : « لو سقط من أحدهم درهمٌ لظل يومه يقول : إنا لله ذهب درهمي وهو يذهب عمره ولا يقول : ذهب عمري وقد كان لله أقوام يبادرون الأوقات ويحفظون الساعات ويلازمونها بالطاعات » .



إلهي . . يا أرحم الراحمين

إلهي . . إن كنت غير مستأهل لما أرجو من رحمتك فأنت أهل تجود على المذنبين بفضل سعتك .

إلهي . . لولا ما عرفت من عدلك ما خفت من عذابك ولولا ما عرفت فضلك ما رجوت جنتك وثوابك .

إلهي . . إن كنت لا تعفو إلا لأهل طاعتك فإلى من يفزع المذنبون ؟ ! وإن كنت لا ترحم إلا أهل تقواك فبمن يستغيث المسيئون ؟!

إلهي . . لو آتاني الخبر أنك غير قابل دعائي ولا سامع شكواي ما تركت دعاءك ما بل ريقي لساني . .

إلهي . . أين يذهب الفقير إلا إلى الغني ؟! وأين يذهب الذليل إلا إلى العزيز ؟! وأنت أغنى الأغنياء وأعز الأعزاء .

إلهي . . لئن طالبتني بذنوبي لأطالبنك بعفوك . . ولئن طالبتني بتوبتي لأطالبنك بسخائك . . ولئن أدخلتني النار لأخبرن أهلها أني أحبك . . وكأنه سبحانه يناديكم ويهمس بآذانكم «**رسائلي إليكم لا تنقطع وحبي إليكم لا يتبدل وذكري إليكم لا يتحول . . إنما رددت إبليس لأنه لم يسجد لأبيكم فالعجب كيف صالحتموه وقاطعتموني**» . .

يَا مُعْرِضًا عني وما	لُطْفِي عنه مُنْفَصِلْ
يا قَاطعًا اليوم لمن	نويت من بعدي تصلْ
قُل للفَقِيْر إذا مَا أتنى	إلى أيْن تذهب عن بابه؟ !
وهل من أحد غَيْره يرتجى	بل الكل من بعض طلابه؟!

لِمَ اليأس القاتل إذن ؟!

أين ثقتك في حب الله لك ؟! . . ولما ييئسك الشيطان من ربك ؟! أليس هو الذي

خلقك . . واسجد لك ملائكته أليس هو من قال لك : «إني والجن والإنس في نبأ عظيم، أخلق ويعبد غيري ، وأرزق ويشكر سواي خيري إلى العباد نازل وشرهم إلي صاعد أتقرب إليهم بنعمتي وأنا الغني عنهم ويتبغضون إلي بالمعاصي وهم أفقر شئ إلي . . من أقبل إليّ تلقيته من بعيد ومن أعرض عني ناديته من قريب . . فإني أحب التوابين وأحب المتطهرين . . أهل ذكري أهل مجالستي وأهل طاعتي أهل مغفرتي وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي فإن تابوا إلي فأنا حبيبهم وإن أعرضوا وأبوا فأنا طبيبهم . . أبتليهم بالمصائب لأطهرهم من المعائب . . الحسنة عندي بعشر أمثالها والسيئة عندي بواحدة . . ومن استغفرها غفرتها له . . وأنا أرحم بعبادي من الوالدة على ولدها» . وهذا تصريح أبو تراب النخشبي «إذا أجمع الرجل على ترك الذنوب أتته الإمدادات من الله تعالى من كل جانب » . .

يا قلوب عودى

روى أن الله تبارك وتعالى إذا أراد ستر عبده كان معه يوم القيامة لا يفضحه على رؤوس الأشهاد . . وقد خاف العبد هذا الموقف العظيم لعلمه كثرة ذنوبه فيقرأ بعد أن يعطى كتابه بيمينه الوجه الذي فيه السيئات سراً . . ويقول : سبحان الله ليست حسنة واحدة ؟ . .

وتقول الخلائق : سبحان الله وليس في كتاب هذا العبد سيئة واحدة ! ! فإذا فرغ من القراءة سراً تجلى المولى عليه وأسمعه قوله تشيع في نفسه الرضا « **يا عبدي هذه حسناتك في ظهر كتابك أظهرتها لخلقي وسترت عنهم سيئاتك في الدنيا والآخرة . . يا ملائكتي اذهبوا به فقد رحمته وأدخلته الجنة**» .

أتجد عذر بعد كل ذلك ؟! . . وإن لم تعد فأنت ححح . .

يَا مَن له سَتْـر على جَـمـيـــل	هَل لِيْ إليْك إذا اعْـتَـذرت قُـبُـولْ
أعْطَيْـتنـي ورحـمـتنـي وَسَـترتني	كـرمـــا فـأنت لمن رجـاك كـفـيـلْ
وَعَصَيْت ثم رأيتُ عَفْوكَ واسعًا	وَعَـــلى سـترك دائـــمًا مـسـدولْ
فَلك المحامِـدُ والمحَـاسِنْ والثــنا	يَا مَنْ هُوَ المقْـصُـود والمسْـئـولْ

هيا بنا نشتري المصابيح

* يقول ﷺ : « **إذا أذنب العبد لم يكتب عليه حتى يذنب ذنباً آخر ثم إذا أذنب ذنباً آخر لم يكتب حتى يذنب ذنبًا آخر فإذا اجتمعت عليه خمسة من الذنوب وعمل حسنة واحدة كتب له خمس حسنات وجعل الخمس بإزاء خمس سيئات فيصيح عند ذلك إبليس عليه اللعنة ويقول : كيف أستطيع على ابن آدم ؟ فإني وإن اجتهدت عليه يبطل بحسنة واحدة جميع جهدي**» . .

* وإلى من يزال مصرًا على رأيه واليأس يقطع كبده يقول حبيب قلبك ﷺ : «صاحب اليمين أمين على صاحب الشمال فإذا عمل العبد حسنة كتب له صاحب اليمين عشراً وإذا عمل سيئة فأراد أن يكتبها صاحب الشمال قال صاحب اليمين أمسك فيمسك ست ساعات أو سبع ساعات فإن استغفر الله لم يكتب عليه شيئًا وإن لم يستغفر الله يكتب عليه سيئة واحدة » حسن . .

* واسمع لرجل قنط من رحمة الله لكثرة ذنوبه فأفاقه الإمام علي بن أبي طالب :

« يا هذا . . يأسك من رحمة الله أعظم من ذنوبك» . .

* بشر له المصطفى ﷺ : « والذى نفس محمد بيده ليغفرن الله تعالى يوم القيامة مغفرة ما خطرت على قلب بشر ،والذى نفس محمد بيده ليغفرن الله يوم القيامة مغفرة يتطاول لها إبليس رجاء أن تناله» .

* وبعد كل هذا تقول لا فائدة في أنا أعرف نفسي ؟! أقول لك . . من خلقك؟! ومن جعلك مسلمًا ؟! ومن أنعم عليك ؟! ومن يغفر لك ؟! ومن خلق لك الجنة ؟! ومن أخبرك ﴿ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾ [الزمر: 53] ؟! ومن عفى لك أعضائك وجوارحك ؟! ومن يرقق قلبك ويهدي لك نفسك ؟! . .

وبعد .. ماذا تريد أكثر من ذلك ؟!

استعن بربك وأكثر من الدعاء إليه أما سمعت دعاء النبي ﷺ : « **اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي**» . . فلا تيأس لأن باب الرحمة ينتظر شخصك وإذا برزت الإرادة فأقول لك هنيئًا وقبل أن تتسلم إذن الدخول فاستلم هدية **ابن عباس** « إذا تاب العبد تاب الله عليه وأنسى الحفظة ما كانوا كتبوا من مساوئ عمله وأنسى جوارحه ما عملت من الخطايا وأنسى مكانه من الأرض وأنسى مكانه من السماء ليجيء يوم القيامة وليس شيء من الخلق يشهد عليه بذلك » .

الآن .. الآن .. الآن ..

فارق نفسك بخطوة . . ارجم شيطانك بتسبيحه . . طهر جوارحك بوضوء . . أكرم لسانك باستغفار . . ضع قدمك الآن بركعتين . . وقل لمن يثبطك هذا الكلام قول **زيد بن أسلم**: «يؤتى بالرجل يوم القيامة فيقال انطلقوا به إلى النار فيقول : يا رب أين صلاتي وصيامي . . فيقول الله تعالى : « **اليوم أقنطك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي من رحمتي** » . . .

وتذكر قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ ﴾ [الحجر: 56] . .

وعن ثوبان قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما أحب أن لى الدنيا وما فيها بهذه

الآية ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر: 53] » رواه أحمد . . وعلّق ابن عباس: «من آيس عباد الله بعد هذا فقد جحد كتاب الله عز وجل» .

غوصة في واسع الرحمة

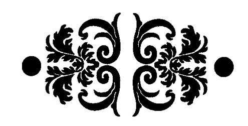
قالت السيدة عائشة سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن الله تعالى ليضحك من يأس العباد وقنوطهم وقرب الرحمة منهم» فقلت: بأبي وأمي يا رسول الله أو يضحك ربنا عز وجل؟ فقال: « والذي نفسي بيده إنه ليضحك »** ويعلق الإمام القشيري: « إذ الضحك علامة الرضا وبذلك علم أن الله تعالى لا تضره معصية ولا تنفعه طاعة فمن أطاعه فبركة طاعته عائدة عليه ومن عصاه فشؤم معصيته راجع إليه فإن تاب عنها فلا ييأس من رحمة الله تعالى فإن يئس منها فهو جاهل » .

وقال الشافعي :

كلّما قسى قلبيْ وضاقت مَذاهبيْ ... جعلت الرجا مني لعفوك سُلَّمَا

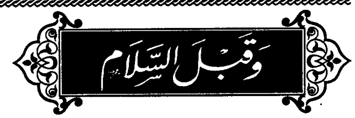
تعاظمني ذنبي فلما قَرَنْتُهُ ... بِعَفْوِك ربي كان عفوك أعْظَمَا

فَمَا زلتَ ذَا جُود وفَضْل ومِنَّةٍ ... تجود وتعفو منه وتَكَرُّمَا



همسة :

سمع أعرابى ابن عباس يقرأ: ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ [آل عمران: 103] فقال : والله ما أنقذهم منها وهو يريد أن يوقعهم فيها . . فقال ابن عباس : خذوها من غير فقيه !!



اقذف نفسك في المعمعة

بان لك الرشد وظهر لك الربح وقامت شوكه الميزان ولا ينصحك مثل المعصوم ولا يدلك إلا القرآن وقد قامت عليك الحجة وما بقى لك عذر وليس لك مهرب فتب لمولاك واهجر دنياك وأكثر من الزاد الثمين وتمسك بحبل الله المتين . .

فيا من باع حظه الغالي من الجنة بأبخس الثمن . . وغبن كل الغبن في عقده مع ربه . . إذا لم يكن لك خبرة بقيمة السلعة فسل من يدلك . . فيا عجبًا من بضاعة معك الله مشتريها وثمنها جنة المأوى والسفير الذي جرى على يديه عقد التبايع وضمن الثمن عن المشتري هو الحبيب ﷺ وأعجب من العجب نفسه . . أنك أنت المقترض ؟!!!

إلهنا ومولانا

إلهي . . ما عصيناك جهلاً بعقابك . .

ولا تعرضا لعذابك

ولا استخفافًا بعدلك . .

ولكن سولت نفوسنا . . وأعانتنا شقوتنا . . فغرنا سترك علينا . .

فارحم عبادًا أغراهم طول إمهالك . .

وأغرقتهم كثرة أفضالك . . وذلوا لعزك وجلالك . .

ومدوا أكفهم لطلب نوالك . . ولولا هدايتك ما طلبوا ذلك . .

فهل تقبلنا يا أرحم الراحمين ؟





* عشق بلال الجنة فأمهرها ركعتين مع كل وضوء فسمع صاحب العقد دق نعليه عند باب المخطوبة فعرف أن ليلة العرس حانت . . وقصر بلال تلوح عليه أحرف ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: 72] . . وعشق أبو جهل النار فصُعِبت عليه لا إله إلا الله لأن نافخ الكير تزكمه رائحة المسك !!

* قيل لأبى جهل : قد أقام بلال الصلاة فصل وراء الإمام ؛ فقال : لست على وضوء فمات قبل أن يصلى !!

لا تَلُمْنى فى هَواها والجَـوَى فـإنَّا من لومكم فى صَـمَمْ

* تحدى أحمد بن حنبل الدنيا فى حب الحق والقرآن . . لأن فى قاموسه الذمة الربانية « وعزتى وجلالى ما اعتصم بى أحد فكادت له السماوات والأرض إلا جعلت له من بينهما فرجا ومخرجا » . . أراد أهل البدعة أن يصرفوه عن الحق فما انصرف لأن أحمد ممنوع من الصرف !!

عَجَباً كيف شربتَ الموتَ شُرْبًا وجَعلت السَّيف للعَلياء دَرْبا
عَجَبـاً كيف تحديت المـلأ وسَيف الرُّمْح حَتَّى صَبَّ صَبًّا

حين كنا أطفالا نسمع بابن حنبل فحسبناه مفتيًا فى الزوايا فلما كبرنا علمنا أنه معلم جيل وعالم أمة وشيخ حياة .

* حمل مسيلمة الكذاب رداء الكذب فهو فى زنزانة ﴿ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: 18] . . فلا يعرف مسيلمة إلا بالكذاب، أراد خالد بن الوليد أن يداوى مسيلمة الكذاب من الكذب فما نجح الدواء فقطع رأسه ليزول الألم بالكلية !!

* دخل المهدى خليفة بنى العباس المسجد والعلماء جلوس فلما رأوه قاموا وقعد ابن أبى ذئب لأن الذئاب لا تقوم للثعالب !! فقال له : لم لم تقم لى ؟! قال : كدت أفعل فذكرت ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: 6] فتركت القيام لذاك اليوم !! فقال الخليفة : «اجلس فقد أقمت شعر رأسى !! ».

* الهدهد أذكى من فرعون لأن الهدهد أنكر على بلقيس سجودها وفرعون يقول : «أنا

ربكم الأعلى » الهدهد آمن فى الرخاء فنفعه إيمانه فى الشدة وفرعون كفر فى الرخاء فما نفعه إيمانه فى الشدة بل قيل له يا فتان الآن !! فات الأوان !! . .

قَـدْ مَـضى الركب وخُلفت وحـدك   فَـابْكِ مـا شـئت ولا تأنس برشْـدكْ

* كان ابن تيمية يُعلم الشباب فسجنه الحجاب ﴿ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴾ [الحديد: 13] . .

هل سمعن أنشودة شيخ الإسلام؟! ولكنها من الدر المنثور لأن العبيد لا يفهمون إلا الشعر الحر«أنا جنتى وبستانى فى صدرى أنى سرت فهى معى أنا قتلى شهادة واخراجى من بلدى سياحة وسجنى خلوة » !! .

* جاء رجل إلى أبي على الدقاق ؛ فقال : قد قطعت إليك مسافة ؛ فقال : ليس هذا الأمر بقطع المسافات فارق نفسك بخطوة يحصل لك المقصود .

* إن اللص يسهر الليل ليختلس النائمين والشرطى يسهر يحرس الأمن لقاء راتب معهود والمتهجد يهجر فراشة ويدع لذيذ الرقاد لا لشيء إلا ليعبد ربه فى هدوء وصفاء ويتدبر آياته فى خشوع ورجاء مرتقبا فى الآخرة ثمار ما يغرس فى الدنيا ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة: 16، 17] .

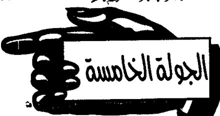
إن سهر هؤلاء الثلاثة واحد أما الفرق بينهم شاسع .

فأما الأول : فمجرم يستحق العقوبة بما بيت من إثم . .

وأما الثانى فأجير يؤدى واجبة بثمن ولو تأخر عنه قليلا لسخط وترك ما كلف به وأما الأخير : فرجل مؤمن بالغيب والشهادة يعرف ما يعمل ولمن يعمل ؟! وهنا يتحدد الإطار من هدى السماء وصحة الأداء .

* * *

الجولة الخامسة



﴿ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال: 45]

اذْكُر اللهَ بُكْرةً وأصِيْلاً — وتَبتَّل لذكره تَبْتِيْلا

اذْكُر اللهَ ذِكْر حُبٍّ وشَوقٍ — واجْعَل الذِّكْر للوصَال سَبِيْلا

وَارْضَ بالله مُؤْنساً وَجَليساً — واتَّخِذْه دُونَ العبَاد وكِيْلا

الزَمْ الذِّكْر وَالقُرْآن واتبعهمْ — تَجدْهُ لوصَال ربِّك كَفيْلا



- إلى من عقر لسانه عن التحف النفيسة .. وحرم قلبه الكنوز الثمينة ..

حلقك عاطش وقلبك يابس يحتاج ري ماء الذكر ..

إنه المدد الروحى واللمسة الربانية الحانية

اعرف ما ضاع منك واستدرك الفائت .

كفاك تواني في التواني ووداعاً للتمادي في التمادي

- إلى من أراد أن ينال كارنيه عضوية في نقابة أهل الله

أهدى هذه الكلمات ..

شريف

تحت المجهر

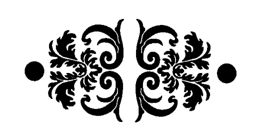
في جو تناثر فيه الكلام . . وتضاءل فيه السلام . . في زمن ساد فيه النيام . . وأظل القلوب الغمام . . في أرض غفلت فيها الألسنه عن ذكر خالقها . . في حياه تشعب فيها ذكر الدنيا . . ذكر المال . . ذكر الشهوات . . ذكر المناصب . . فبزغت النفوس الهائجة . . وتاهت العقول الفارغة . . وتصلبت القلوب القاسية . . انقذ إيمانك بتسبيحه . . ثقل ميزانك بذكر . . وعندما تشتت الأفكار وتعددت السبل لم ألمح تحت المجهر إلا هذا الإعلان ﴿ اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴾ [الأحزاب: 41] . . فالذاكرين فطنوا أن للمؤمن شعار . . فهتفت الألسنه بالأذكار . . وتذللت القلوب بالاستغفار . . وحين تطلع النداء إلى السماء ارتد الصدى الإلهي . . أن سلام الله عليكم . .

على بساط الريح

يصحبنا هذه الجولة لروائع الذكر بيد أنه قوت القلوب وزاد الأرواح . . أهل الله علموا أنه باب المحبة فطرقوه . . وشارع الأنس فسلكوه . . أيا مطرودًا عن صحبة الصالحين امش في أعراض الركب ونادى حادي القوم لعله يتوقف لك وإذا استوعر عليك الطريق فالحق بَآبار الذكر فإنه ينابيع الماء لتاءه الصحراء . . كما أنه معدن نفيس . . وكنز ثمين وعملة نادرة لا يمتلكها إلا قليل من كثير . . ويزيدك الشوكاني وضوحًا « الذكر أفضل عند الله سبحانه وتعالى من جميع الأعمال التي يعملها العباد وأنه أكثرها نماء وبركة وأرفعها درجة »!! . . . . ألا تشتاق !! . .

قبس من مشكاة النبوة

قال أبو الدرداء قال الرسول ﷺ: « **ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الورق والذهب وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربون أعناقكم ؟! قالوا: وما ذاك يا رسول الله ؟ قال : ذكر الله عز وجل دائماً** » صحيح . . سبحانك ربى . . هل فأجئك الكلام مثلي؟!!





• **معيـة ربانيـة ..**

اسمع قوله تعالى : « **أنا مع عبدي إذا ذكرني وتحركت بي شفتاه** » البخاري . . هاهي المعية الربانية تبسط إليك يدها . . وليتك تنضم لمالكيها . . وهذا ما عقله **أبو سعيد الخزاز** فطفق ينادي : « إذا أراد الله أن يوالى عبداً فتح له باب الذكر فإذا استلذ بالذكر فتح له باب القرب ثم رفعه إلى مجالس الأنس به » . . وتعجب **أبو حامد الغزالي** «ما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها ؟! » . . وهل بعد ذلك من كسل يا نائم ؟!! .

وألتقط الكلام لأقول : أن الذكر هو السهل الممتنع إذ لا يحتاج لبذل مجهود كبير أو لتحمل عناء طويل واللسان لا يهدأ له بال ولابد له من كلام فالقلوب بور وخراب والذكر عمارتها وأساسها وان كان هذا هو الحال فلا تبخل على نفسك وألقى بلسانك في دوامة الذاكرين وأدخل قلبك بوابة المستغفرين وأشغل عقلك برب العالمين لتأتى يوم القيامة من الآمنين . . قل : آمين . . آمين . .

وباختصار : **لسانك إما ذاكر وإما لاغ . . فاختر لنفسك !!**

• **طـوق النجـاة !!**

عن عبد الله بن بسر أن رجلاً قال : يا رسول الله إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ فأخبرني بشيء أتشبث به ؟ فقال : « **لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله** » صحيح . . لا إله إلا الله . . الرجل عظم عليه الأمر فتمسح النجاة وأبصر معي قوله « **أتشبث به** » وكأنه غريق متلهف لما يلوذ به لبر الآمان . . فتدفقت هدية النبي مما أراح باله وأخمد روعه وأسعد فؤاده . . فقال : لا يزال . . فالرجل عضو بنقابة الذاكرين وحثه طبيب القلوب ﷺ للمزيد والمداومة . . ولولا ذلك لأمره : اجعل لسانك ذاكراً لله . . **أليس كذلك يا باغ الخير ؟!** . .

تشبث أنت الآخر من حينك وتوك لتكون ممن ينطبق عليه قول النبي ﷺ : «**ما من يوم إلا ولله فيه نعم ينعم الله بها على عباده وما أنعم الله على عبد أفضل من أن يلهمه ذكره** » الترغيب والترهيب

. . ولك من **أبي الدرداء** هدية مكتوب فيها « الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك » . . ولخص النبى كل ذلك «**ما عمل ابن آدم عملاً أنجى له من عذاب الله من ذكر الله**» صحيح .

• عبادة لا تعرف الحدود

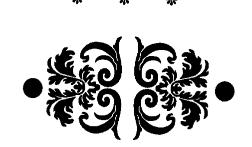
يقول ﷺ : « **إن خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والأظلة بذكر الله عز وجل** » صحيح . . وهاهي كلمات ألقاها **ابن عباس** « إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة إلا جعل لها حداً معلوماً وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإن الله لم يجعل له حداً ينتهي إليه ولم يعذر أحداً في تركه إلا مغلوباً على أمره » . . وما زال **ابن عباس** معك حيث تأمل قوله : ﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ ﴾ [النساء:102] . . فتغنى « أى يذكرون الله في أدبار الصلاة وغدواً وعشياً وفي المضاجع وكلما استيقظ من نومه وكلما غدا أو راح » . .

واستشف **الحسن** هذا الكلام فقال : «قد خفف الله تعالى علينا بقوله : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة:152] ولم يخص مكانًا دون مكان ولو أنه تعالى عين لنا مكانًا نذكره فيه لكان الواجب علينا السعى له ولو كان مسيرة مئة سنة كما صنع فى دعاء الناس إلى الكعبة فله الحمد والمنة » . . ويؤكد **عبد الله بن أبي الهزيل** الكلام « إن الله تعالى يحب أن يذكر على كل حال » ويقطع **مجاهد** الجدل « لا يكون من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات حتى يذكر الله قائماً وقاعداً ومضجعاً على أي حال في حركاته في مشيته وسكونه ونومه » . .

• كم ضاع منك حتى الآن ؟!

رأى **ابن الجوزي** هوانك فأرسل بتلك الإشارة «كم يضيع الآدمي ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل وهذه الأيام مثل المزرعة فكأنه قيل للإنسان كلما بذرت حبة أخرجنا لك ألف . . فهل يجوز للعاقل أن يتوقف في البذر ويتواني؟! . . واعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة . . لا تحقرن من المعروف شيئا من رجحت كفة حسناته عن سيئاته بحسنة فاز » . .

* * *





• **الصنف الأول ..**

أصحاب اللسان الذاكر والقلب الرباني

العقل والقلب حاضران مع ما يردده اللسان وهنا حقيقة الأنس بالله ومعرفة القلب بمن يذكره ومعايشته للمعاني وهذا القلب استولى عليه التعلق بالله ومحبته والاستئناس بذكره . . ونقتفي منهم أثر **لعثمان الباقلاوي** إذ يقول: «إني وقت الإفطار أحس بروحي كأنها تخرج لأجل اشتغالي بالأكل عن الذكر» . .

* * *

• **الصنف الثاني ..**

أصحاب اللسان الذاكر والقلب المتدبر

اللسان يذكر والقلب والعقل يفهمان ما يقوله اللسان . . ويحكي لك **محمش الجلاب**: «صحبت **أبا حفص النيسابوري** اثنتين وعشرين سنة فما رأيته ذكر الله تعالى على حد الغفلة والانبساط ما كان يذكر الله إلا على سبيل الحضور والحرمة والتعظيم وكان إذا ذكر الله تعالى تغير عليه حاله» . .

* * *

• **الصنف الثالث ..**

أصحاب اللسان الذاكر والقلب اليقظ

اللسان يذكر والقلب بدأ يتيقظ ويستشعر بعضا من الذكر ولهذا **قال العلماء**: «الإقبال لو كان ضعيفًا خير من الإدبار بالكلية» . . ويوضح أكثر **الإمام الحليمي** أن «المراد من الذكر ذكر اللسان والقلب جميعاً وذكر القلب أفضل لأنه يردع عن التقصير في الطاعات وعن المعاصي والسيئات» . وعندما تابع **النووي** الكلام رأى أن «ذكر اللسان مع حضور القلب أفضل وعلة ذلك أن شغل جارحتين فيما يرضي الله سبحانه وتعالى أفضل من شغل جارحة واحدة وكل ما زاد فهو أفضل» . .

• **الصنف الرابع ..**

أصحاب اللسان الذاكر والقلب الغافل

فلسانه ذاكر وقلبه غير حاضر واتفق **العلماء** « لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه» . . وعندما قيل لبعضهم : ما لنا نذكر والقلب غافل ؟ قال : « اشكروا الله على ما وفق من ذكر اللسان » . . ويفيدهم **صاحب الفوائد** مشيراً أن « من الذاكرين من يبتدئ بذكر اللسان وإن كان على غفلة ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه فيتواطأ على الذكر ومنهم من لا يرى ذلك ولا يبتدئ على غفلة بل يسكن حتى يحضر قلبه فيشرع في الذكر بقلبه فإذا قوي استتبع لسانه فتواطأ جميعاً »**ولابن تيميه** وجهه نظر«لا أترك الذكر إلا بنية إجمام النفس وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر» .

* * *

• **الصنف الخامس ..**

أصحاب اللسان الصفرى والقلب الميت

وهم من لا يذكرون الله وشغلهم الشاغل الأموال والأولاد والشهوات وعليهم أن يجدوا ويهزوا جذع النخلة لتتساقط عليهم الرطب الجنيا ويبحثوا عن العوائق التي تحول بينهم وبين ذكر حبيبهم المنتظر لهم . . ولهؤلاء رسالة يداً بيد من **يحى بن معاذ** « يا جهول يا غفول لو سمعت صرير القلم بذكرك في اللوح لطبت طربًا » . .

يا أنتم : أين أهل الأذكار ؟! . . أين قوام الأسحار؟! . . أين صوام النهار؟! . . خلت والله منهم الديار . .

وبعد . . هل استعددت لتدون اسمك بقافلة الذاكرين الله والذاكرات ؟! . .

هيا تقدم واسحب الاستمارات ودون البيانات وتقدم وتقدم فمكانك فى المرتبة الأولى . . **ولا تتأخر فلست بمعذور** . .

ذِكْـركَ لىْ مُـؤَانسٌ يُعَـارِضُنىْ	يعـدنى عنـك منك بالظَفَـرِ
وَكَـيْفَ أنْسَـاك يا مَـدَى هِمَـمِيْ	وأنْتَ منّـى بموضِـعِ النظَـرِ

فرصة ذهبية

يقول ﷺ : « **من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت** »

النسائي وابن ماجة .



• عربون محبة

عندما يحب أحدنا شخصًا فسيرته لا تفارق لسانه لشدة حبه له وتعلقه به . . ولي عندك سؤال . . أنت . . **أنت هل تحب الله ؟!!** . . لا تتسرع . . ما دليلك ؟!! إن كنت تحب الله فأخبر عنه ولا تقطع لسانك عن ذكره وهذا هو الدليل . . إن كنت تحب الله . . «**هات في سيرته**»!! . .

وهذا ما قاله أهل العلم : « جعل الله لكل شيء سبباً وجعل سبب محبته دوام ذكره فالمحبة روح الإسلام ومدار السعادة والنجاة فمن أراد أن ينال محبة الله فليلهج بذكره» وكأنه ترديد لقول **الحارث المحاسبى** « أدم ذكر الله تنال قربه» وذاق طعم هذه المحبة **الإمام البغدادي** فأثلج صدرك « من المحال أن تحبه ثم لا تذكره ومن المحال أن تذكره ثم لا يوجدك طعم ذكره ومن المحال أن تجد طعم ذكره ثم يشغلك بغيره » . . لا حول ولا قوة إلا بالله . . ما كل هذه الرحمة والمحبة!!

يا همام : لسانك يفوح بما يكنه قلبك . . فالقلب عربة واللسان سائقها فإن أحببنا الله حباً حقيقيًا كيف لألسنتنا أن تسكت عن ذكره أو تلتهى بغيره؟! . . وكل إناء بما فيه ينضح ذلك لأن القلب إذا أحب . . تحرك اللسان بمحبوبه . . والعقل قد علم فَصدَّق على هذا الكلام .

• ذكر يعقبه لذة

يأن لحالنا **أحد الصالحين** « مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها!! فقيل : وما أطيب ما فيها ؟! . . قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره» شعور جميل لا نستطيع وصفه . . ويشد عضدك **مالك بن دينار** «ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل» . . وينشد **العلماء** « لو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكر واليقين الذي يحصل لقلبه لكفى به » . .

• أحب العباد

قال ﷺ : « **عندما سئل أي العباد أفضل درجة يوم القيامة ؟! قال الذاكرون الله كثيراً** » الترمذي . . وعن **ابن عباس** قال : لما وفد **موسى** عليه السلام **إلى طور سيناء** قال : يا رب أي عبادك أحب

إليك قال « الذي يذكرني ولا ينساني» رواه البيهقي . . ويعلق شيخ الحكمة ابن الجوزى « لله در أقوام قلوبهم معمورة بذكر الحبيب ليس فيها لغيره حظ ولا نصيب ؛ إن نطقوا فبذكره وإن تحركوا فبأمره وإن فرحوا فبقربه وإن ترحوا فبعتبة . . أقواتهم ذكر الحبيب وأوقاتهم بالمناجاة تطيب لا يصبرون عنه لحظة ولا يتكلمون في غير رضاه بلفظة » . .

اللهم اجعلنا من أحبائك الذين يذكرون ولا ينسون .. ويطيعونك ويستغفرون

• الله يحبني؟!

ذات يوم فاجأ أحد الصالحين جلسائه : إني أعلم أن الله يحبني ؟! . . ففزعوا قوله : كيف ذلك ؟! . . فرد في بساطة وارتسمت على شفتيه الابتسامة قائلاً : أقول « **سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم** » ألم تعلموا أنهما « **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن** » . . وطالما أطلق لساني بهم فهو إذن يحبني!! . . وهو هو حال ثابت البناني «إني أعلم متي يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا : كيف تعلم ذلك ؟ قال : إذا ذكرته ذكرني!!» . .

هل ترادوك نفسك أن تقلده ؟!! الأرباح كثيرة بحركات لسان قليلة . . لا تنتظر . . سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم . . استعمل هذا الموقف مع زملاءك . . وفاجئهم !!

• ألا بذكر الله تطمئن القلوب ؟!

استفهام رباني نمر عليه مرور الكرام حيث أننا لم نضع ثقتنا به ولم نَعشْ في ظلاله . . فهناك من خطب الطمأنينة والسعادة فى المال فجمع وأوعى وحَصَّل وكنزَ ولكنه لم يتنشق للسعادة رائحة . . وهناك من طلبها عن طريق المنصب فصب من أجله دمعه وعرقه وربما دمه فلما تولاه بلا إيمان وجد أنه همٌّ جديد وهلاكٌ مستمر وهناك من ناداها فى اللهو والهوى والنظرات والشهوات والسهرات فما حصل عليها ولا نالها لأنه عزل نفسه فى الحرام . . فتاهت السعادة وضل الباحث عنها . . فارتشف من هذه الجرعة الشافية ﴿ **أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ؟! ﴾ [الرعد: 28] .

• مفتــاح مهجـور..

يا من تكاثفت سحب همومه **اذكر الله** لتسعد . . يا من أحاط به حزنه وأقلقه همه **اذكر الله** لتأنس . . يا من طوقه كربه وزلزله خطبه **اذكر الله** لتهدأ . . فذكر الله باللسان وتتبع القلب بالإحساس والعقل بالإدراك هو الدواء والشفاء والهناء . . فالذكر حياة ولكن الغافل لا يحس والمخدر لا يشعر والميت لا يتألم !! . .

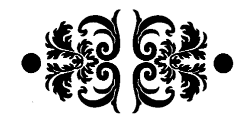
وانظر كلمة « **تطمئن** » ففيها وحدها الراحة وتنفس الصُعَداء إستعلاءً على الهموم والأكدار . . واستفهام أخير ﴿**أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**﴾ [الحديد:16] . .

ما رأيك يا أخانا وأنت يا أختنا ويا أبائنا وأمهاتنا ؟!

الآن الآن . . انس أين تجلس ؟! ومع من ؟! . . وماذا تقرأ ؟! . . وفرغ نفسك واذكر ربك ولكن ثبت يقينك أولاً على زحف الطمأنينة وتوغلها فى قلبك على رصيد همومك وأحزانك ليصب عليك من منابع السعادة ما لم يكن لك فى حسبان . . وجرب الآن . . وأنتظر منك الرد . . ها . . ؟! . . ألم أقل لك ؟! . .

وعودة مرة أخرى . .

* * *





1 شكر يرضي الرب :

عن زيد بن أسلم أن موسى عليه السلام قال : يا رب كيف أشكرك ؟ قال له ربه : «تذكرني ولا تنساني فإذا ذكرتني فقد شكرتني وإذا نسيتني فقد كفرتني » . . وهذا مصداق قوله : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:152] وعلق الربيع بن أنس «إن الله يذكر من يذكره ويزيد من شكره ويعذب من كفره» . . وأحب أن أذكرك بشيء ﴿ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ [إبراهيم:7] . . .

2 حلاوة وتجديد:

يقول ﷺ : « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى في النار » صحيح . .

لن تتذوق حلاوة الإيمان إلا بسكب اللسان للذكر في بحور القلب . . وتلقى طرف الحديث الحسن البصري « تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء : في الصلاة وفي الذكر و قراءة القرآن فإن وجدتم وإلا فاعلموا أن الباب مغلق » . .

* دعوة نبوية : « جددوا إيمانكم ، قيل : يا رسول الله كيف نجدد إيماننا ؟ قال : أكثروا من ذكر لا إله إلا الله» .

3 صمام أمان من النفاق:

من صفات المنافقون أنهم « لا يذكرون الله إلا قليلاً » وأذكرك بسورة المنافقون ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [المنافقون:9] . . فأردت أن أحذرك وأفوض أمرى إلى الله . . وحين سئل بعض الصحابة على كرم الله وجهه عن الخوارج : منافقون هم ؟! قال : لا . . المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً . . ويفيدك ابن القيم «كثرة ذكره أمان من النفاق والله عز وجل أكرم من أن يبتلي قلباً ذاكراً بالنفاق وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله » . . خذ حذرك . .

4 أحب الأعمال:

عن **مالك بن يخامر أن معاذ** رضي الله عنه **قال لهم إن آخر كلام فارقت عليه رسول الله** ﷺ : **«أن قلت : أي الأعمال أحب إلى الله ؟! قال : أن تموت ولسانك رطباً بذكر الله »** الطبراني وابن أبي الدنيا . .

ويعلق **ابن القيم** « الذكر نور للذاكر في الدنيا ونور له في قبره ونور له في معاده يسعى بين يديه على الصراط فما استنارت القبور بمثل ذكر الله تعالى » .

5 علاج ناجع للقلوب:

عن **ابن عمر** قال : قال ﷺ : **« لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة للقلب وإن أبعد الناس من الله القلب القاسي»** الترمذي . . وعاتب ربك هذه الفئة ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [الزمر :22] ويعالجهم **الحسن** عندما سأله رجل قائلاً : « يا أبا سعيد أشكو إليك قسوة قلبي . . فرد : أذبه بالذكر » . .

6 مراتب الشرف :

عن **ابن عمر** قال : قال ﷺ : **« ذاكر الله في الغافلين مثل شجرة خضراء فى وسط شجر يابس وذاكر الله في الغافلين يريه الله مقعده فى الجنة وذاكر الله في الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وذاكر الله في الغافلين ينظر الله إليه نظرة لا يعذبه بعدها أبداً وذاكر الله في الغافلين مثل مصباح فى بيت مظلم وذاكر الله في الغافلين يغفر الله له بعدد كل فصيح وأعجم وذاكر الله في السوق له بكل شعرة نور يوم القيامة »** شعب الإيمان للبيهقى . . ذلك لأن شمس الذكر إذا أشرقت بقلبك بددت ظلمات الغفلة وهنا عاتبك **السلف** « ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغفل عن ذكرك » وتعليق **لعون بن عبد الله** «ذاكر الله فى غفلة الناس كمثل الفئة المنهزمة يحميها الرجل لولا ذلك الرجل هزمت الفئة ؛ ولولا من يذكر الله فى غفلة الناس هلك الناس» . .

7 السابقون.. السابقون

يقول ﷺ : **«سبق المفردون » قالوا : وما المفردون يا رسول الله؟ قال : الذاكرون الله كثيراً والذاكرات »** مسلم . .

ويعينك على السباق الحبيب ﷺ :

« ألا أعلمكم شيئاً تدركون به من سبقكم وتسبقون به من بعدكم ولا أحد يكون أفضل منكم إلا مثل ما صنعتم » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة » متفق عليه .

8 يذكرونك حول العرش

يقول ﷺ : **« إن ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول**

العرش لهن دوى كدوى النحل يذكرون لصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به؟!» احمد . . نعم . . نعم . . فإنك تقلد وسام التقدير أن تذكرك الملائكة حول العرش ويا لها من جائزة !! . .

9 واه .. لريح الجنة

عن عبد الله بن مسعود قال : قال ﷺ : «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم الخليل عليه السلام فقال : يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» حسن غريب . . رائحة الجنة تقترب فلا تبتعد لتصريح معاذ ابن جبل «ليس يتحسر أهل الجنة على شيء إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله سبحانه فيها !!» . .

10 كارنية الشفاعة

يقول ﷺ : « من أحب أن تسره صحيفته فليكثر من الاستغفار »صحيح . . يقول ﷺ : «من صلى علي حين يصبح عشرا وحين يمسي عشرا أدركته شفاعتي يوم القيامة » صحيح . .

يا مَنْ شفاعَتُه تُنْجي العُصَاة غَداً — منَ العَـذَاب الأليْم الرَّافـع الشَّرر
أنْتَ النبيُّ الشَّفيعُ المسْتَـضَـاءُ به — يَوْم القيَامَة يَوْم الـرَّوْع والحذَر
فَاشْفع لنَا عِنْدَ رَبِّ العَرْشِ خَالقنا — يَا سَيِّد الخلقِ منْ أنثَىْ ومنْ ذَكَر

11 كياسة حقيقة:

سأل رجل من الأنصار النبى ﷺ : أى المؤمنين أكيس ؟! قال « أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم لما بعده استعداداً أولئك الأكياس »حسن . .

يا غافلاً عن ذكر الموت : بأى لغة تنتبه ؟! كم رأيت من مغرور فارقك ؟! كم شاهدت منقولاً مثلك ؟! من أباد أقرانك ؟! ومن أهلك أهلك ؟! . .

مر إبراهيم الزيات على جماعة يترحمون على ميت فقال لهم : «خافوا على أنفسكم خير لكم فإن ميتكم قد جاوز ثلاثاً : رؤية ملك الموت وذوق مرارة الموت وأمن من سوء الخاتمة» . .

محاسبة النفس .. التسلي بالتوبة .. كثرة الاستغفار .. مبدأ الثواب والعقاب ..

الدعاء بحسن الخاتمة .. زيارة المقابر .. شهود الجنائز ..

كل ذلك من ذكر الموت ..

فكن كيسا كـ يزيد الرقاشي إذ كان يعاتب نفسه : ويحك يا يزيد من يصلي عنك بعد الموت ؟! ومن ذا يصوم عنك بعد الموت ؟! ومن ذا يتوضأ عنك بعد الموت ؟! ثم يقول : أيها الناس لم لا تبكون على أنفسكم في حياتكم فمن يكن الموت موعده، والقبر بيته والتراب فراشه، والدود أنيسه، وهو مع ذلك ينتظر الفزع الأكبر . . كيف يكون حاله ؟! وكيف يكون ماله ؟! ثم يبكي حتى يغشى عليه . . وانتفع بوصية أبي الدرداء « إذا ذكرت الأموات فعد نفسك أحدهم » .

ويعيد الصياغة ابن الجوزي «يا هذا : مثل لنفسك صرعة الموت وما قد عزمت أن تفعل حينئذ وقت الأسر فافعله وقت الإطلاق » . . فاتخذها نصيحة وضعها في أذنك حلقة .

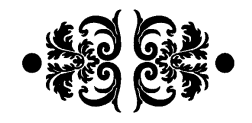
يا كسالى : إن الآمال تطوى والأعمار تفنى والأبدان تحت الثرى تبلى . . فقاطعوا الشهوات وارغبوا في الباقيات الصالحات . .

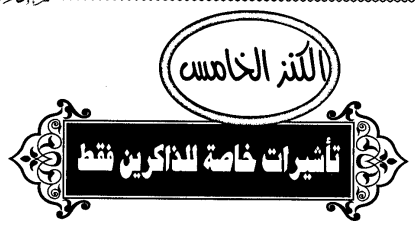
همسة :

يقول أبو هريرة « إن أهل السماء ليتراءون لبيوت أهل الأرض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم » . .

لم لا تجعل بيتك أحد هذه النجوم المتألقة في سماء الذكر ؟!

* * *





• من أولى بالكرم؟!!

تهلل وجه **الحسن البصري** مبتسما بهذه الكلمات «إذا كان يوم القيامة نادى منادي : سيعلم الجمع من أولى بالكرم أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون . . قال : فيقومون : فيتخطون رقاب الناس قال ثم ينادي مناد : سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم **أين الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** فيقومون فيتخطون رقاب الناس ثم ينادي مناد : وسيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم . . **أين الحمادون الله على كل حال ؟** قال : فيقومون وهم كثير ثم يكون التنعيم والحساب فيمن بقى » . .

أخي حبيب رسول الله : إياك إياك أن يسحب منك بساط تلك الكرامات . .

• الله يباهي بك !!

خرج رسول الله ﷺ على حلقة من أصحابه فقال : « **ما يجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله على ما هدانا للإسلام ومنَّ علينا به فقال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ فقالوا : آلله ما أجلسنا إلا ذاك : قال : أما أني لم أستحلفكم لتهمة لكم إنه أتاني جبريل وأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة** » مسلم والترمذي . . لا حول ولا قوة إلا بالله . . حلقة تراءت للملائكة وسطع نورها في السماء وجاء النبي ليزيده . . ومن بعده **جبريل** ليكمل النور ويخبرهم أن الله يباهي بهم . . فكما جلسوا يخبروا عن حبيبهم فبعث حبيبهم بالبشرى عن طريق ساعي البريد **جبريل** فتلقاها النبي ولم يستطع إخفاءها . . ويكفي في شرف الذكر أن الله يباهي ملائكته بأهله . .

يا أنت : كم من حلقة جلستها كهذه ؟!

• رباعية خاصة

يقول ﷺ : « **إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر** » صحيح . . وأضف أن مجالس الذكر تساهمها مجالس العلم والمذاكرة وأماكن العمل وإن وضعت ذلك في نيتك فتؤجر وما أجمل بيت به زوج وزوجه وأولاد لهم من ذلك نصيب ولو ساعة أسبوعيًا . .

ومنح أخرى أرشدك لها النبى ﷺ : « **ما جلس قوم يذكرون الله عز وجل إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده** » رواه مسلم . . رباعية خاصة فما يثنيك أن تكون واحداً منهم؟ ! . . وبشرهم **عمر مولى غفره** « إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم لم يروا عملاً أفضل ثواباً من الذكر فيتحسر عند ذلك أقوام : فيقولون : ما كان شيء أيسر علينا من الذكر » .

وإذا أحببت **إبراهيم بن أدهم فله شرط على من يريد مجالسته وهو «أن لا يغفل عن ذكر** الله سبحانه وتعالى » . . **ها . . ستجالسه أم سترى مصالحك ؟!**

• سرايا ملائكية تبحث عنك

قال ﷺ : « **يا أيها الناس إن لله سرايا من الملائكة تحلّ وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة .. قالوا : وأين رياض الجنة ؟ ! قال : مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله وذَكروا أنفسكم من كان يريد أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله فيه فإن الله ينزل العبد عنده حيث أنزله الله تعالى في نفسه** » الحاكم وابن أبى الدنيا وأبو ربيع والطبراني . . ومن كانت حياته كلها رياض فقبره روضة ومن ثم تنشق عبير الفردوس الأعلى . . لأن الجزاء من جنس العمل . .

فرصة ذهبية

يقول ﷺ : «**أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه : كيف يكسب أحدنا ألف حسنة ؟ قال : يسبح مائة تسبيحه فتكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة**» ويعلق **ابن مسعود** « لأن أسبح الله تعالى تسبيحات أحَبُّ إليَّ من أن أنفق عددهم دنانير في سبيل الله» .

همسة :

قال **عبيد بن عمير** « إن بخلتم بالمال أن تنفقوه وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه وأعظمكم الليل أن تسهروه فاستكثروا من قول **سبحان الله وبحمده** فوالذى نفسى بيده هذا أوجه عند الله من جبلى ذهب وفضة » . .

لله قَــوْم بذكْــره اشْــتَغلوا وَفى حَــىّ قُـربــه قَــدْ نَــزَلوا
لَيْسَ لَهُم غَـيْـر ذكـره فَــــرَح فَهُم حَقـيـقـة عليـه قـد حَصَـلوا
قـامـوا يناجـونه وقـد عَلمُـوا بأنهـم للمَـعَـــــاد قـد عَـمــلوا
فَـاسْتَـعـذبوا الصَّـعب فى هـواه وقـد لَذَّ لهم فى رضَـاه مـا حَملوا



❶ **صدق النية والعزيمة :**

أن تريد بدافع من نفسك أن تكون من الذاكرين وحين تتوفر النية الصادقة يطمئنك الصحابة « الله عز وجل يقول : أيما عبداً اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكرى توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه !! » . .

❷ **الدعاء :**

أكثر وألح فى دعاءك أن يرزقك الله لساناً فياضاً لا يتوقف عن ذكره مع القلب المتدبر والعقل الواعي لما تردد ويُدخِل حلاوة الذكر إلى قلبك . .

❸ **الأذكار :**

المحافظة على أذكار الصباح والمساء ومحاولة المحافظة على الأذكار الوقتية كقبل الأكل وبعده وأدعية النوم وهكذا . . ذلك يولد الحرص على دوام الذكر . . وحين سئل ابن الصلاح عن الوسيلة التى يصير بها العبد من الذاكرين فقال « إذا واظب على الذكر المأثور مساءًا وصباحًا فى الأوقات المختلفة فهو من الذاكرين الله كثيراً » .

❹ **المسبحة:**

إحرص على «السبحة» في يدك أو في جيبك وهى من خير المعينات ولا تنس حمل مصحف جيب أنى ذهبت فهو سلاحك وحفظك . . . واقرأ فيه !! . .

❺ **المراقبة:**

دوام مراقبتك لكل تصرفاتك تولد الإحساس بما تفعله مما يحتم تحريك لسانك دوماً بالاستغفار . . وهذا فى حد ذاته ذكر . .

❻ **استغلال الأوقات البينية :**

أن تلتهم الأوقات التى نسميها بالضائعة أنى نتجت وإن قلَّت وفى أى مكان كنت فى المواصلات فى عيادة الطبيب وفى المطبخ للنساء وهكذا . .

أوقات الانتظار.. أشغلها بالذكر والاستغفار

7 لغة عبد الملك :

قال **عبد الله بن عبد الملك** « كنا مع أبينا فى موكبه فقال : سبحوا الله حتى تأتوا تلك الشجرة فإذا رُفعَت لنا شجرة أخرى قال : كبروا حتى تأتوا تلك الشجرة ؛ فكان يصنع ذلك بنا » . . ولَيست تجربة **عبد الملك** وحدها فها هو **أبو المليح** كان إذا مشى من طريق وهو غافل عن ذكر الله تعالى رجع ثانيًا وذكر الله تعالى فيها ويقول « **أحب أن تشهد لى البقاع التى أمر فيها كلهـا يوم القيـامة ! !**» . .

يا منتظر : هاهى دورة تدريبيه مجانية أرسلها إليك تحت عنوان ﴿ **لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ**﴾ [هود: 29] .

8 التغنى بالقرآن

قال ﷺ : «**أهل القرآن هم أهل الله وخاصته** » صحيح . . فحدد لنفسك ورد قرآنى لا تتخلف عنه يوميًا ولو ربع أواحداً وأجمع قلبك عند تلاوته فهذا يرفع بقلبك رايات الذكر وتغنى بالقرآن لقوله ﷺ : « **ليس منا من لم يتغن بالقرآن** » حسن . . واستمع بكثرة للقرآن فذلك يولد مداومة الذكر وقراءة القرآن بحزن ترقق القلب .

9 معينات هامة :

** **استعن** بصحبة الخير **وحافظ** على الصلاة وحاول الوصول لأعظم درجات الخشوع **ولا تخرج** من المسجد إلا بعد ختم الصلاة .

** **اعرف وتأمل** فضائل ونفحات وكرامات الذاكرين وحسن ثوابهم ومدى حب ربهم لهم عن غيرهم .

** **إلصق** أو قم بتعليق بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى منزلك أو فى مكان عملك أو فى سيارتك أو على مكتبك فذلك يُذكرك دائمًا بالذكر .

* * *





الكنز السابع
خيوط المصائب

أما من غفل عن ذكر الله وألهته الملهيات فلا ينسى أن لغفلته ثمن ولتقصيره ضريبة وهي بين يديك :

❶ استحواذ شيطاني :

يقول تعالى : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ ﴾ [المجادلة: 19] . . وفسر **ابن عباس** « الشيطان جاثم على قلب بن آدم فإذا سها وغفل وسوس فإذا ذكر الله تعالى خنس» . . فماذا تنتظرون؟!

أرأيت ما تجلبه غفلتك عن الذكر وقال ﷺ : « **ما من آدمي إلا لقلبه بيتان : في أحدهما الملك وفي الآخر الشيطان فإذا ذكر الله تعالى خنس وإذا لم يذكر الله وضع الشيطان منقاره في قلبه ووسوس له** » صحيح . .

يا كسول : لا تدع هذا الملعون يمنع عنك الشحنة الربانية التي تُنبع طاقتك وتُفجر همتك . . وإن أفلح فقد استحوذ عليك ونال مطلوبة . . وسعد به إبليس مهنئاً !؟ . . ولكن . . مهما طرق بابك فلا تسنح له . . وكفى ما مضى !!

❷ قرين السوء :

يقول تعالى : ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ [الزخرف: 36] . . أرأيت !! شيطان كظلك لا يفارقك ويظل ينصب العوائق بينك وبين ربك . . والسبب ما قاله **السلف** « أن الذكر باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يغلقه العبد بغفلته» . . ﴿ وَمَن يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء: 38] . . وهو ما أشار إليه **ابن القيم** « إن إبليس يبعث سرية بعد سرية وكلما كانت أقوى طلباً لله سبحانه وتعالى وأمثل تعلقاً به كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة بحسب ما عند ابن آدم من موارد الخير والإرادة ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر » اللهم فرق جمعهم وشتت شملهم . . .

3 قلب ميت :

تصريح خطير للنبي ﷺ : « **مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه كمثل الحي والميت** » البخاري ومسلم . . ويقارن **الشوكاني** فالقلب الذاكر به «حياة ذاتية وروحية لما يغشاه من الأنوار ويصل إليه من الأجور» وعلى الصفة المعاكسة « قلب شبيه بالأموات الذي لا يفيض عليهم بشيء مما يضفي على الأحياء المشغولين بالطاعة» أى أن « الذاكر كالحي في بيوت الأحياء والغافل كالميت في بيوت الأموات ولا ريب أن أبدان الغافلين قبور لقلوبهم وقلوبهم فيها كالأموات في القبور » كما قال **صاحب الوابل الصيب** . .

وعندئذ إخواني : فالقلوب الميتة لها بذلك الفرصة لتحيا !!..

4 ضياع مؤلم :

إذا غفل اللسان عن الذكر فلا تأمنه أن يجول بأراضى الكذب والغيبة والنميمة وفحش القول بل والقلب والجوارح رهن صلاح اللسان لقوله ﷺ : « **لا يستقيم إيمان العبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه** » رواه أحمد . . وهل يستقيم اللسان إلا بالذكر والهتر بالقرآن . . وربما كلمة واحدة كفتك دنياك وكنت بها حطباً لنار جهنم . . ألم تسمع « **إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله بها رضوانه إلى يوم القيامة وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ما يظن أن تبلغ ما بلغت فيكتب الله عليه بها سخطه إلى يوم القيامة** » صحيح .

5 اللحظة الحاسمة :

يا طالب الرحمة : هيىء قلبك معى لتعيش هذه اللحظات المقلقة مع هذا الموقف . . وأنت هامد اليدين مرتخى القدمين وقد اقترب موعد رحيلك إلى أين ؟! إلى قبرك !! . . ودع نفسك تسأل . . **هل سيغرد لسانك بكلمة التوحيد . . أم لا ؟!** . . الموقف صعب ورهيب . . وإن للموت لسكرات . . فإن كنت من الذاكرين فسيعلنها لسانك مدوية على الملأ بقوة وثبات أما إن كان ثقيل الحركة فكيف ؟! وهل سيكافئك الله بها عند مماتك وأنت ساه عنه طيلة حياتك ؟! . .

هذا بالإضافة للسؤال : من ربك ؟! ما دينك ؟! من بعث فيكم ؟! وقد خرقت الأكفان ومزقت الأبدان وتغيرت الألوان . . .

أعتقد أن حياتك تحتاج إعادة نظر..

لَو كَلَّم الميِّتُ مَنْ يُشَيِّعُه	لقَال لا تَغْتَرّ فَأنْتَ أَنَا
قَدْ كُنْتُ أرْجُو وَغَرَّنِي أَمَلِيْ	وَعَاجَلنِي الموْتُ مَا بلغت مُنَىْ
فَاعْتَبِروا يَا ذَوِيْ العُقُولِ فَقَدْ	شَرَحْتُ حَالي لَكُمْ وفيْه غِنَىْ

6 حسرة يوم القيامة :

قال ﷺ : « ما من قوم جلسوا مجلسًا ولا تفرقوا عنه لم يذكروا الله فيه إلا كأنما تفرقوا عن جيفه حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة » الحاكم وابن داود والترمذي وابن ماجه . . سل نفسك كم من مجلس جلسته وفر الوقت أجمع في اللهو والعبث؟! فى غيبة فلان أو فلانة؟! فى التلذذ بالمعاصى ؟! فى قول القبيح ؟! فى التدبير للشهوات؟! فى اجتماع على فاحشة ؟! . . و . . ؟! و . . ؟! ولم يكن لذكر الله فيه موضع؟! . .

يا صاح : حاذر تلك المجالس الشيطانية الدنيوية . . فوا فرحة من ذكروه فأنعم عليهم وأعطاهم واستخلصهم لنفسه واصطفاهم وقليل ما هم !! اشتغل الناس بدنياهم أما هم فاشتغلوا بذكر محبوبهم ومولاهم . .

فرصة ذهبية

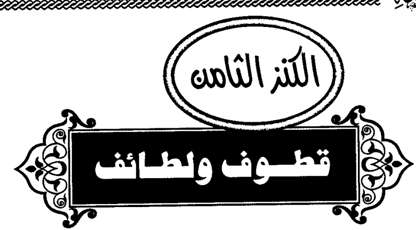
دخل أبو هريرة السوق فقال : أراكم هاهنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد؟! فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثاً فقالوا : يا أبا هريرة ما رأينا ميراثاً يقسم في المسجد : قال : فماذا رأيتم؟ : قالوا : رأينا قوماً يذكرون الله عز وجل ويقرءون القرآن . . قال : فذلك ميراث رسول الله ﷺ» رواه الطبراني . . هذا ميراث نبيك . . فالحق بنصيبك قبل أن يلتهمه الذاكرون وفى تصريح خاص لأبى بكر الصديق « ذهب الذاكرون بالخير كله » . . أتظل كما أنت ؟! . . وأنت أحوج لمثقال ذرة واحدة . .

* أكثر كنوزك وزين قصورك وتذكر كذلك قوله ﷺ : «من قال لا حول ولا قوة إلا بالله كانت له دواء من تسعة وتسعين داء أيسرها الهم »صحيح .

وبعد . . أما آن أن تلحق نصيبك ؟ !

* قال النبي ﷺ : « يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ » فقلت : بلى يا رسول الله ؛ قال « قل : لا حول ولا قوة إلا بالله » صحيح . .





• • أمعقول هذا !!

رجل من أهل الصلاح رفع شعار «**اذكر الله**» وبرمج عليه حياته . . فما كان لسانه ليفطر عن الذكر ولو غفوة . . وعندما يقابله أحد . . يستوقفه قائلاً : يا هذا . . ألا أخبرك بشيء ؟! فيرد عليه : بلى، فيقول له : « **كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم**» . وظل هكذا . . حتى جاءه الموت . . وعندما فرغ الطبيب وهمَّ بالخروج ناداه الرجل ألا أخبرك بشيء؟ ثم قال : كلمتان خفيفتان على اللسان . . وأكمل الحديث ثم توفاه الله !! فسبحان الخالق . .

وقفة وتعليق

أما دار في ذهنك أن شغله الشاغل كان ذكر الله حتى أتاه عند موته . . صدق الله فصدقه . . ونحن أحبتي هل يشغلنا الذكر هكذا ؟! . . وبأي نسبة ؟! . . أما آن لنا أن نحاسب أنفسنا ؟! . . ولك هذا المثال ويخبرك به **محمد بن ثابت البناني** : «**ذهبت ألقن أبي** وهو في الموت فقلت : يا أبت قل : لا إله إلا الله . . فقال : يا بني خل عني فإني في وردي السادس أو السابع !! » . . يا الله !! . .

• • طرائف

** **قال سلام بن أبي مطيع كان الربيع بن الخيثم إذا أصبح قال** : « مرحبًا بملائكة الله . . اكتبوا بسم الله الرحمن الرحيم . . سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» . .

** والله إن العقل ليذهل من هذا ولكنهم يوفون بعهودهم مع ربهم وليست هذه وحسب بل هناك عجب وعجاب ومواقف وطرائف وليست منكم ببعيد أن تكونوا أنتم أحباب قلبي أحد أبطالها . .

* **قال بعض السلف** : لقيت رجلا فقلت : من أين ؟

فقال : من عند قوم « **لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله** »

قلت : والى أين ؟

قال : **إلى قوم تتجافى جنوبهم عن المضاجع»** . .

* قال **ابن مسعود** «إن الجبل لينادي الجبل باسمه : أمر بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل؟ فإذا قال : نعم استبشر » .

وفهم ذلك **عون بن عبد الله** فأكده « إن البقاع لينادي بعضها بعضاً : يا جاراتاه أمرت بك اليوم أحد يذكر الله فقائله نعم وقائله لا » **فما رأيك في الإجابة ؟!**

• • س وج ؟!

س1 – هل يدخل في تحريك الشفتين رياء ؟! . .

يجيبك **الإمام الشوكاني** « الجهر تذكير للغافلين وتنشيط لهم إلى الإقتداء به» والكل أدرى بحاله .

س2 – هل هناك علاقة بين الذكر والطاعة ؟!

فكر فيه **سعيد بن جبير** وما لبث أن أخبرك « الذكر طاعة الله فمن أطاع الله فقد ذكره ومن لم يطعه فليس بذاكر وإن أكثر التسبيح وقراءة القرآن !! » . . ألم أقل لك أن الموضوع كبير !!

• • استنباط يُعتنى به :

* حينما تنظر في يومك فكل شيء له دعاء لماذا ؟؟ ليظل القلب محلقاً حول عرش ربه سابحًا في ملكوته . .

* لاحظ في الفرص الذهبية ذكر معين يقال ثلاثاً وآخر عشر وآخر مائة مرة . . فاعلم أن الغرض ليس العدد والنبي ﷺ يرمي بذلك لنكثر من الذكر ونتفكر فيه وخذها مني كلمة **«ليس الذكر قولاً بالكم بل بالكيفية »** . .

* قال ﷺ : **«سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله : منهم رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه»** متفق عليه . . فكيف للسان ذاكر أن يعذب وهو مشغول بذكر حبيبه ومتنعم في نسيم رحمته!! . . أما اختبرت نفسك كم مرة بكيت من خشية الله ؟! . .

* نبيك كان يخرج من الخلاء مستغفرًا **«غفرانك»** أتدرى لماذا ؟! لعدم ذكره بالخلاء!! وأبا بكر الصديق هذا العاشق ذو الإيمان الأكمل والثواب الأكبر يضع عند دخوله الخلاء حصاة أسفل لسانه حتى يجبره على التوقف . .

ونحن نحايلك ؟!

•• وصية :

أتى رجل أبو مسلم الخولاني فقال له : أوصني يا أبا مسلم

قال : اذكر الله تعالى تحت كل شجرة ومدره .

فقال : زدني .

فقال : اذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذكر الله تعالى مجنوناً »

وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى ولا يفارق شفتيه . . ومن الطريف . . أن رآه رجل فقال لأصحابه : أمجنون صاحبكم هذا!! . . أما علموا أنه جنون رباني آه لو نصل إليه ولذلك قال ﷺ : « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقولوا مجنون» صحيح . .

فرصة ذهبية

عن جويريه أن النبي ﷺ : « خرج عندها بكرة حين صلى الصبح وهى في مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهي جالسة فقال : مازلت على الحال التي فارقتك عليها ؟ قالت : نعم .. لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن .. سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته » مسلم . .

* * *



• **همسة عتاب :**

أخي .. اختاه . .

همسة عتاب أقدمها للقلوب وما أُبرىء نفسى . . كم من مرة غفلت عن ذكر الله ؟ كم أغرقك ذكر الدنيا والمال والشهوات ؟! إلى متى تظل ساه في ذكر ما لا ينفع؟! إلى متى تظل مضرب عن طريق الصالحين ؟! لابد أن تقف مع نفسكَ وقفة حقيقية فتعرف مصيرها وترسم طريقها وتبصر هدفها وإن كنت من طلاب الآخرة حقاً فسر على بركة الله ؟! وإن كنت من طلاب الدنيا فراجع حساباتك !! . .

وابعث لمن تعلق كلامه بما لا يذكر . . الملكان يشتكيان سواد صحيفتك فمتى ترحمهم بذكر يطيب خاطرهم ؟! أليس من الفطنة أن تبدأ فى التنفيذ !!

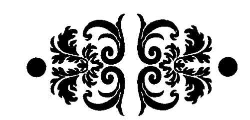
• **واستفهام مطلوب**

يا صاحب اللسان : بالله عليك . . إن لم تشغله بالذكر فى حياتك فمتى تشغله؟! إن لم يفكر عقلك ويعيش قلبك مع الله فمتى يحين له ذلك ؟!

حسرة أهل الجنة ليست على صيام ولا قيام ولا صلاة ولكن بغفوة عن ذكر الله وأنفاس أبو عمرو **الأوزاعى** الحارة تهب ميقظةً إياك « ليس ساعة من ساعات الدنيا إلا وهى معروضة على العباد يوم القيامة يوماً فيوم وساعة فساعة ولا تمر ساعة لم يذكر الله تعالى فيها إلا تقطعت نفسه عليها حسرات فكيف إذا مرت به ساعة مع ساعة ويوم مع يوم وليلة مع ليلة ؟! » . .

فمتى تملأ ذاكرتك الخالية من الله بالله ؟!

* * *



• **حتى تأتينا نفقة**

عقب هذه الكنوز أخشى أن يظل لسانك متثاقلاً . . فما طابت الدنيا إلا بذكره ولا الآخرة إلا بعفوه ولا الجنة إلا برؤيته فلا تُثقل هم الدنيا على كاهلك . . وكفاك بلطائف الذكر ألم تسمع « **من شغله ذكرى عن مسألتي أعطيته أفضل مما أعطى السائلين** » صحيح . .

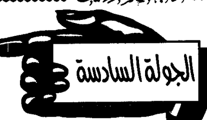
يا صاح : أحضر ساقية « **فاذكروني** » في بحر «**أذكركم** » يفيض عليك الرحمن «**أنا جليس من ذكرني**» وإذا ضاع قلبك فأنشده هنا لعله يعافى وأدرك أن بين جنبيك بيتًا لو طهرته لأشرق بنور ربه وإلا فزره بين أهل المقابر . . وشكر الله سعيك . .

وأختم بآهة رقيقة من **حكيم بن محمد الأخنس** « بلغني أن دور الجنة تبني بالذكر فإذا أمسك عن الذكر أقلوا عن البناء، فيقال لهم . . فيقولون : **حتى تأتينا نفقة ! !** » . .

* * *



الجولة السادسة



﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾

[الفرقان: 64]

في ظُلْمة الليل للعبَاد أنْـوَارُ ... منها شُمُوسٌ ومنها فيه أقمارُ
تَسْري قلوبهم في ضَوْئهن إلى ... ذَاكَ المقام ومولاهُمْ لهم جارُ
أكرم بهم من رجال لو رأيتهم ... وللظّلام علي الأجفان أسْتارُ



- إلى ، من غلبت عينه هواتف النوم .. واستسلم بدنه لجواذب الفراش
- إلى ، من تكاسل عن اشعة الرحمة .. واغلق فؤاده عن وميض الإحسان

كفانا رقاد .. وحرمان..

هيا ، نسكب الأنس فى القلوب .. والنور فى النفوس ..

هيا، نقتبس من كنوز الجنة..

- إلى من اراد ان يريح من لا يريحه غيره إلا مثله ..
- إلى من اراد ان يدخل الجنة بغير حساب

فمن طلب العلا.. سهر الليالى ..

أهدى هذه الكلمات ..

شريف

تحت المجهر

عندما تشد الشمس رحالها من كبد السماء . . يسكن الكون . . ويرخي الليل سدوله . . فتغيب النجوم . . ولا يبقي إلا الحي القيوم . . آن ذاك تري حائرا متلهفاً لزاد يأخذ بيده في سفره . . ويثقل جعبته في طريقه . . ويا حبذا لو أنت !! . .

يا كسول : قيام السحر يسأل عنك . . قرآن الفجر يأن لفراقك . . ألك وقت تناجي فيه الرحمن فتشعر إليه بالحنين؟! . . وبالشوق إلي رسوله ؟! . . وكل هذا وأنت وقت الغنائم نائم . . وعندما فتشت معك وزاغت الأبصار . . لم ألمح تحت المجهر إلا هذا الإعلان ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا** ﴾ [الإسراء: 79] الفرصة محدودة . . والعرض ساري حتى نفاذ العمر . . فلا تتوانى أو تشرد بعيدًا قبل أن يرحل هو عنك . .

* * *

علي بساط الريح

يصحبنا البساط هذه الجولة إلي زمان ترتقى فيه الإيمانيات ويسمو منسوب الروحانيات . . فيشعر القلب بالسكينة وتتجه النفس للطمأنينة . . لأن من التحف بفراش الكسل نزل بوادى الأسف وأرواح الأسحار لا يستنشقها غافل . . المريدون شمروا للجنة عن قدم وساق . . وجدوا في طلبهم فوظفوا أنفسهم نهارا ووقفوا لمراجعة الحسابات ليلاً . . فهيا نستغرق أوقاتنا في الطاعة ونستوعب لحظاتنا في العبادة وتأمل ﴿ **أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الزمر: 9] . . .

هيا بنا إذاً؛..

* * *

قبس من مشكاة النبوة

يقول ﷺ : «**عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلي الله عز وجل ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد**» صحيح . . ولو أوصي «**عليكم بقيام الليل**» وفقط . . لكفت ولكنه ﷺ يعلم ما اعترى القلوب من كسل وهوان صوب العبادة فعدد الفوائد وأهدانا هذه الخماسية الرائعة . .

* * *



• المعلم يعلم:

عن عائشة رضي الله عنها قالت : «**كان النبي ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر (تتورم وتتشقق) قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟!** ، فماذا تتوقعوا عن الرد؟ لقد أزاح هذه اللهجة ليعلمنا الجد والاجتهاد فقال : « **أفلا أكون عبداً شكوراً** » متفق عليه .

ولا زال الكلام علي لسان السيدة عائشة عندما قالت لرجل « **لا تدع قيام الليل فإن رسول الله كان لا يدعه وكان إذا مرض أو كسل صلى قاعداً** »صحيح .

وأدرك ذلك بشر الحارث : فكان يقوم الليل كله وقيل له ألا تستريح لك فى الليل ساعة؟! فقال : « **إن رسول الله ﷺ قد قام حتى تورمت قدماه وقطر منها الدم مع أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فكيف أنام ولم أعلم أن الله غفر لى ذنباً واحداً ؟** .

وقفة لابد منها :

يا سادة : أما جاء هذا اليوم الذي تنهض فيه الأقدام وتخشع فيه القلوب وتدمع فيه العيون وتردد الألسنة « **اللهم لك الحمد كله ولك الشكر كله** » ؟! ، أما احمر الوجه استحياءاً من الله . . ومن رسوله ﷺ ؟! . .

وإياك أن تكون ممن قال النبى فيه « **لا تكن مثل فلان كان يقيم الليل ثم تركه**» . .

وها هو **حسان بن أبى سنان** تشفق عليه زوجته قائلة ارفق بنفسك فيصرخ فيها : «اسكتى يوشك أن أرقد رقدة لا أستفيق منها الى يوم القيامة » . .

وحين سمعت **إحدى المتعبدات** غطيط نومك فصارحتك « عجبت لعين تنام وقد علمت الرقاد تحت أطباق الثرى !!» . .

تَيقَّظ بساعات من الليل يا فتَىْ	**لعَلَّكَ تَحظى فى الجنَان بكنوزهَا**
فتنعمْ فى دار يدوم نعيمُهَا	**مُحَمَّد فيها والخليل بدورهَا**

• طريق الشرف :

قال ﷺ « **شرف المؤمن صلاته بالليل** » صحيح.

فأين شرفك ؟! . . وكم قصرت في حق نفسك وضيعت منه؟! . . أما الأكياس الأذكياء لا يضحون بشرفهم ولو بأغلى الأثمان . .

وعن **سهل بن محمد** قال : جاء **جبريل إلى النبي** ﷺ فقال : « **يا محمد عش ما شئت فإنك ميِّت .. واعمل ما شئت فإنك مجزى به .. وأحبب من شئت فإنك مفارقه .. واعلم أن شرف المؤمن قيام الليل وعِزّه استغناؤه عن الناس** » حسن .

يا طلاب الشرف . . قاطعوا الكسل وانتبهوا لحظات الأعمار باستغفار الأسحار . . الشرف فى القيام ولكنكم أخطأتم مكانه ؛ وصفهم **ابن الجوزى** « لو ذاق الغافل شراب أنسهم فى الظلام أو سمع الجاهل صوت حنينهم فى القيام . . نورهم يُخجل شمس الضحى ولأجلهم تنبت الأرض . . وعلى الدنيا إذا ماتوا من بعدهم السلام » . .

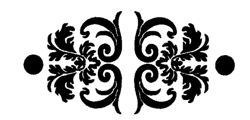
يا محرومين كفاكم :

ويلاحقنا أحد أطباء القلوب **إبراهيم بن أدهم** عندما سأله رجل : إني لا أقدر علي قيام الليل فصف لي دواء، فقال : « لا تعصه بالنهار وهو يقيمك بين يديه بالليل فإن وقوفك بين يديه بالليل من أعظم الشرف والعاصي لا يستحق ذلك الشرف» وهو تأكيد لهذا الكلام . . إذ استفهم رجل من **الحسن البصري** : **يا أبا سعيد** إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوره فما بالي لا أقوم ؟! ، فكانت الإجابة : « ذنوبك قيدتك وإن الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل » . .

يا طويل الرقاد ولا نوم أهل الكهف!! . .

صاح ديك الإيقاظ فى السحر أين حراس الظلام

فلم تنتبه وأعاد فلم تفق فضرب بجناحيه لطماً على غفلتك.





• **نشيد الصالحين :**

أمتع أسماعنا بعض الصالحين «إن الله تعالي ينظر بالأسحار إلي قلوب المتيقظين فيملؤها نوراً فترد الفوائد علي قلوبهم ثم تنتشر إلي قلوب الغافلين» . . وأشرح لك : قلوبهم تعلقت بربهم فلا تقدر على البعد أو الفراق وحين يأتي اللقاء كأن أجراس الطوارئ تصرخ فيهم . . انتبهوا . . وسرعان رقدة ليل يسيرة ما تلبث أن تتحول لترنمات مناجاة جميلة . . فيأنسون بخالقهم الذي أيقظهم . . وسؤال . . أليس هؤلاء أحباء الله دون غيرهم ؟!

ويصرح كعب الأحبار « ما من عبد يقوم من الليل فيتوضأ ويصلى ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وإن الملائكة ينظرون من السماء الدنيا إلى الذين يصلون بالليل فى بيوتهم كما تنظرون أنتم إلى النجوم فى السماء » . .

• **استغفار الأسحار :**

قال الأحنف بن قيس « عُرضت عَلَيّ أعمال أهل الجنة فإذا قوم قد باينونا بونًا بعيدًا لا نبلغه ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ⑰ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الذاريات: 17، 18] . . وفى تفسير أبو السعود « أى مع قلة هجوعهم (نومهم) وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الأسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم !!» . .

وعلق القشيرى : « ينزلون أنفسهم فى الأسحار منزلة العاصين فيستغفرون استصغاراً لقدرهم واستحقاراً لفعلهم » .

وإذا اختبرت نفسك الآن فيمكنك الإجابة من قوله ﷺ : «**ثلاث أصوات يحبها الله تعالى : صوت الديك وصوت الذى يقرأ القرآن وصوت المستغفر بالأسحار**» رواه الديلمى في الكنز .

ومن وصايا لقمان لابنه :

« يا بني لا يكونن الديك أكيس منك ينادي بالأسحار وأنت نائم » . .

• **زادك على الطريق**

ويستطرد صاحب الظلال فى شأن قيام الليل مردداً أنه : « هذا كله هو الزاد لاحتمال القول الثقيل والعبء الباهظ والجهد المرير الذى ينتظر الرسول ﷺ ، وينتظر من يدعو بهذه الدعوة فى كل جيل وينر القلب فى الطريق الشاق الطويل ويعصمه من وسوسة الشيطان ومن التيه فى الظلمات الحافة فى هذا الطريق المنير » .

وفى المنهج الحركى للسيرة « وقيام الليل المفروض فى البدء هو دوره تدريبية عنيفه على طاعة الله وترويض النفس على الوقوف على باب الله ضارعة مبتهلة وعمل لغرس الإيمان فى القلوب وتغلغله فى أعماق النفس وتمرين لتعويد المسلم على العبودية لله رب العالمين .

إن تحويل إتجاه البشرية من طريق إلى آخر ومن محيط المادية الأسنة إلى محيط الربانية السمح الكريم يحتاج تربية خاصة على طاعة الله وقيام الليل ليس هدفاً لذاته وما يفعل الله بسهر أحدنا لكنه وسيلة إلى ذكر الله والتفضل عليه وإيجاد الفرد المسلم الآمن والمجتمع الراشد» .

• **مكافأة حراس الليل !!**

روي عن بعض السلف أن الله تعالى أوحى إلى بعض الصديقين عن من يقيمون الليل« . . فإذا نصبوا أقدامهم وافترشوا إليّ وجوههم وناجوني بكلامي وتملقوا إليّ بإنعامي فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد ، بعيني ما يتحملوا من أجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي أول ما أعطيهم ثلاث :

أقذف من نوري في قلوبهم فيخبرون عني كما أخبر عنهم .

والثانية : لو كانت السماوات والأرض وما فيها في موازينهم لاستقللتها لهم .

والثالثة : أقبل بوجهي عليهم فترى من أقبلت بوجهي عليه يعلم أحد ما أريد أن أعطيه» ذكره الذهبى فى الكبائر . . ألا أستحق منك الدعاء بعد هذا !! .

يا أحباب رسول الله : **رياح الأسحار تحرك شجر القلوب فتقع ثمار المحبة !!**

همسة :

الناصر صلاح الدين عندما كان يتفقد جيشه ليلا فيرى الخيام النائمة فيحزن قائلا : من هنا تأتي الهزيمة ويتهلل عند المضيئة : من هنا يأتي النصر . . فهل أتينا بالنصر؟! .

* * *



* عبد الله بن عباس : حبر الأمة كان يقوم شطر الليل والناس نيام من شدة التعب وكان أصبح الناس وجوهاً ومن كثرة بكائه أحدث الدمع على خديه مجريان له .

* زبيد اليمانى : كان يقسم الليل أثلاثًا ثلثاً عليه وآخر لولده وثالث لأخيه وكان يقوم ثلثه ثم يضرب ولده برجله وإذا رأى منه كسلاً قال : نم يابُنَىَّ أنا أقوم عنك فيقوم . . ثم يجيء لأخيه فيضربه برجله وإذا رأى منه كسلاً قال : نم يابُنَىَّ أنا أقوم عنك فيقوم حتى يصبح » .

* رابعة العدوية تصلى الليل كله فإذا قرب الفجر اضطجعت حتى يطلع الفحر فاذا طلع قامت وقالت : « يا نفس كم تنامين وكم تقومين يوشك أن تنامى نومة لا تقومى منها إلى صرخة يوم النشور

* منصور بن المعتمر كان يصلى على سطح منزله فلما مات قال غلام لأمه : يا أماه أين الجذع الذى كان فى سطح آل فلان ليس أراه؟! ؛ قالت : يا بنى ليس ذاك بجذع ؛ ذاك منصور قد مات . .

* وتحية لهذا الغلام :

يحكى عبد الله بن واسان عندما كان يمشي في أحد الأزقة وجد غلاماً يبكي فسأله عن السبب فأجابه بقوله :

خوفاً من الله .

فقال له : أنت المسلم وتخشى الله؟ .

قال : أنا مسلم أصلي وأصوم وأقوم بعض الليل خوفاً من الله .

قال : وما الذي خوفك هكذا ؟

فرد الغلام : جلست بجوار أمي وهي توقد النار فرأيتها تقدم الحطب الصغار على الكبار .

فقلت لها: يا أماه لماذا تقدمين الصغار على الكبار؟ . .

قالت : ولدي . . لأن الكبار لا تشتعل إلا بالصغار فهذا الذي أحرق كبدي ولوعني» . .

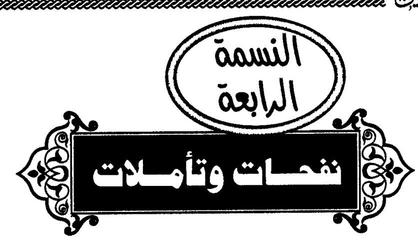
يا شباب : القيام لا يختص بفئة دون أخرى فالكل يدخل تحت لواءه ومن أراد حمل اللواء فليضحي ويشد من أزر نفسه وتذكر أن غيرك سبقوك للجنة . .

فهل سبقت أنت من بعدك ؟!..

أحَبَّ الله قـومًـا فـاسـتـقـامـوا — عَـلَىْ طُـرق الوداد فلم ينامُواْ

سَقَـاهم من محبتـه شـرابًا — فتَـاهوا من محبتـه وهامواْ

* * *



1- كل ليلة جائزة

يقول ﷺ : « ينزل الله كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول :هل من تائب فأتوب عليه ؟ هل من مستغفر فأغفر له ؟ هل من داعٍ فأُجيب دعوته ؟ حتى ينفجر الفجر» صحيح . .

هذا النعيم لا يطيقه إلا المجد الصادق . . إذ تجتمع جنود الكسل ويتزين حب النوم ويتزخرف طيب الفراش ويُخيف برد الماء . . ولكن إذا أوقدت شعلة عزم أضاءت لك الطريق وحينئذ ستسمع أذناك النداء الربانى : هل من سائل ؟! هل من مستغفر ؟! هل من تائب ؟! فما أسبقهم إلى الله . . الناس نيام وهم قيام . . الناس هجوع وهم ركوع . . الناس رقود وهم سجود . .

2- بيوت ذاكرة .. بيوت سعيدة .. بيوت كتب لها الرحمة

صرح النبي ﷺ : « إذا أيقظ الرجل أهله من الليل فصليا ركعتين كُتبا ليلتئذ من الذاكرين الله كثيراً والذاكرات » صحيح أبي داود . . وبشر الحبيب ﷺ « رحم الله رجلاً قام من الليل فصلي وأيقظ امرأته فإن أبت نضح في وجهها الماء ؛ ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فإن أبى نضحت في وجهه الماء » رواه النسائي وأبو داود وبن ماجه وأحمد وابن خزيمه . .

تلك هى البيوت السعيدة التى تحفها الملائكة وتغشاها الرحمة وتتنزل عليها السكينة . . تلك البيوت السائرة على الدرب الربانى . . والواعية للنهج النبوى . . والمتكاتفة لنيل أعلى الدرجات الإيمانية . . وإحراز قصب السبق إلى الجنة . . فيتفضل الله عليها بالرضا والقبول . . فحدد أيها الزوج وأيتها الزوجة بعض الأيام أسبوعيًا تؤديان معًا هذه العبادة وتقطفان سوياً الثمرة . .

وأُطلق رصاصة التنافس بينكم بقوله ﷺ : « عجب ربنا من رجلين ..(منهم) رجل ثار عن وطائه ولحافة من بين أهله وحبه إلى صلاته .. فيقول الله جل وعلا : يا ملائكتي .. انظروا إلى عبدى ثار عن فراشه ووطائه من بين حبه وأهله إلى صلاته رغبةً فيما عندى وشفقةً مما عندى » رواه أحمد وصححه أحمد شاكر . . العجب هنا لمن آثر القيام وهجر لذة المنام . . فمن سيسبق ؟! .

وهذا النموذج أحزوه لكم . . فعن **علي بن أبي طالب** أن رسول الله ﷺ طرقه (زاره) و**فاطمة** بنت النبي ﷺ ليلة فقال : **ألا تصليان ؟!** فقلت : يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا . . فانصرف حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شيئا ثم سمعته وهو مول يضرب فخذه وهو يقول ﴿**وَكَانَ الإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلاً**﴾ [الكهف: 54] » البخاري ومسلم . .

ولما تأمل ما قرأت **الإمام الطبرى** لفت نظرك « لولا علم النبي ﷺ من عظم فضل الصلاة في الليل ما كان يزعج ابنته وابن عمه في وقت جعله الله لخلقه سكنًا ؛ لكنه اختار لهما إحراز تلك الفضيلة على الدعة والسكون امتثالا لقوله تعالى : ﴿ **وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ** ﴾ [طه: 132] . .

3- غرفًا خاصة في الجنة

وتعالى نشتاق أكثر مع **أبى مالك الأشعرى** إذ يقول ﷺ : « إن في الجنة غرفًا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها » فقال **أبو مالك الأشعرى** : لمن هي يا رسول الله ؟ قال : «**لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائمًا والناس نيام**» حسن . . وأدرك أهل الليل جودة هذه الغرف فاشتاقوا مع **أبى مالك** . . فمن لم يكن له مثل اشتياقهم لم يعلم ما الذى أسهرهم وأبكاهم ؟ ومن لم يشاهد جمال **يوسف** لم يعلم ما الذى آلم قلب **يعقوب** ؟ . .

أخي : هيا خذ بيد نفسك وأعلن الفرار من كتيبة الغافلين . . واترك النوازع ولا تضحي بمنزلتك من هذه الفئات قبل أن تمتليء الكشوفات . . **وأنت .. لا تزال حيران!!**

4- سهام السحر نافذة :

عندما سُئل الرسول ﷺ : « أي الدعاء أسمع ؟ قال : جوف الليل » صحيح . . ويوقظك أكثر ﷺ قائلاً : « **إن في الليل ساعة لا يوافقها رجل مسلم لا يسأل الله تعالي خيراً من أمر الدنيا و الآخرة إلا أعطاه الله إياه وذلك كل ليلة** » مسلم . .

يا الله . . ألم يلفت نظرك شيء ؟! . . لاحظ « **كل ليلة** » فهو سبحانه لم يقطع نزوله من معاصينا وتقصيرنا . . أما من تجمل النوم في عينه وسيطر الفراش علي إرادته . . كيف له أن يقوم ؟!

أيها المقصر عن طلب الزاد . . كيف تدرك المعالى بغير اجتهاد ؟! أين أهل السهر من أهل الرقاد ؟ وكيف تزاحم أهل العزائم بمناكب الكسل ؟!

5- طول التهجد .. قرة عين .. وراحة يوم العرض

عن **أسماء بنت أبي بكر** قالت : قال رسول الله ﷺ : « **يُحشر الناس في صعيد واحد** (مكان الحشر) **يوم القيامة فينادي منادي فيقول : « أين الذين كانت تتجافي جنوبهم عن المضاجع**

؟ فيقومون وهم قليل : فيدخلون الجنة بغير حساب ثم يُؤمر بسائر الناس إلي الحساب » رواه البيهقي

وعندما سأل النبي ﷺ : أي الأعمال أفضل ؟ قال : « طول القيام » رواه أبو داود . .
وخاض فى التفاصيل بعض الصالحين « قيام الليل يهون طول القيام يوم القيامة وإذا كان أهله يسبقون إلى الجنة بغير حساب فقد استراح أهله من طول الموقف للحساب » . . فما أجمل أن تطيل الوقوف بين يدي ربك والرقاد قد سحر أعين الناس وأطار عن أعينهم حلاوة هذه النفحات . . ويفيدك يزيد الرقاشى « بطول التهجد تقر عيون العابدين » . . وكى لا أُثقل عليك فأنت حر فى اختيار مكانتك لقوله ﷺ : « من قام بعشر آيات لم يكن من الغافلين ومن قام بمائة آية كُتب من القانتين ومن قام بألف آية كُتب من المقنطرين » انظر السلسلة الصحيحة . . وأحب أن أخبرك شيئًا أخير . . أن القنطار قال فيه الحبيب ﷺ « خير من الدنيا وما فيها » حسنه الألبانى.

6- أقرب ما يكون الرب من العبد

يقول ﷺ « أقرب ما يكون الرب من العبد في جوف الليل الأخر فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن» صحيح . .

يا فرسان الليل جدوا قبل أن يتمطى الصبح متأهبا ليوم جديد ؛ انعش نفسك بعطر الندى الربانى فقد أقبل المتهجدون وسرعان ما تعالت الأصوات بين داع وشاك وباك . . تعلق بالليل فهو شفيع مشفع وادخل زمرة المتهجدين ولو على سبيل التطفل . . صرخ فيك ابن الجوزى « والله لو بعت لحظة من خلوة بعمر نوح فى ملك قارون لغبنت لا بل بما فى الجنان كلها ما ربحت ومن ذاق عرف !! » . . ولهذا أخبر النبى ﷺ معاذ بن جبل « قيام العبد فى جوف الليل يكفر الخطيئة » صحيح . . أيها المقصر عن طلب الزاد . . كيف تدرك المعالى بغير اجتهاد؟! أين السهر من أهل الرقاد؟ وكيف تزاحم أهل العزائم بمناكب الكسل؟! .

7- نور من الله

يقول ﷺ :«من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار » رواه ابن ماجة . . ويقتفي ذاك الأثر الحسن البصري في الرد علي هذا الاستفسار : ما بال المتهجدين أحسن الناس وجوها ؟! فقال : إنهم خلو بالرحمن فألبسهم نورا من نوره » . . وقال سفيان فى قوله تعالى : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح:29] يصلون بالليل فإذا أصبحوا رؤى ذلك فى وجوههم « . . ويلفت انتباهك السلف « كان الرجل من الصحابة إذا أصبح كأن وجهه الشمس من نور العبادة يتقلب بين يدي الله في جوف الليل » . .

والآن . . **هل عرفت الفرق بين وجه فلان ووجه فلان !!..**

8- دليل المحبة ..

وفى الأثر المشهور « كذب من أدعى محبتى فإذا جنه الليل نام عنى ؛ أليس كل محب يحب خلوة حبيبة ؟ فها أنا ذا مطلع على أحبابى ؛ إذا جنهم الليل جعلت أبصارهم فى قلوبهم فخاطبونى على المشاهد وكلمونى على حضورى ؛ غدًا أقر أعين أحبابى فى جنانى » . . أما دمعت عينك من فيض هذه الرحمة . ؟! . . ولما ارتشف **عمرو بن المنكدر** من كأس هذه المحبة . . قالت له أمه : يا بنى اشتهى أن أراك نائما . . فقال : يا أماه : إن الليل ليرد على فيهولنى فينقضى عنى وما قضيت منه مأربى !! (أى . . لا يكفينى !!) . . ويزن المعادلة ﷺ « **صلاة الرجل في جوف الليل شعار الصالحين** » الترمذي . .

والخلاصة يا أحباب

عبادة واحدة وفضائل متعددة ولا تنس أن « **أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل** » صحيح . . لقد سلمت إليك العهدة . . وأطلعتك النفحات الربانية والتأشيرات النبوية فاقطع العهد أن تقتنص مكانا . . وتظل تزاحم عليه حتى يحين موعد إقلاع الطائرة إلي الجنة الناضرة . . والكرة لا تزال في ملعبك . . .

همسة :

يقول **الحسن** « ما رأيت أشد من الصلاة فى جوف الليل وإنها من أفعال المتقين ومن سمات أهل التقوى وأهل المغفرة ولا يحرص عليها إلا من كان مرضيًا فائزًا » . .

يا مُطولاً بالقيام مستلذًا بالمنام قم يا مغبون فاتك أرباح الكرامِ

وَخَلوا بالمولى وفازوا بالمرامِ وَسَبقك القَوْمُ إلى دار السَّلامِ

* * *





نادى المنادون

« إن لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطيء القلوب النائمة فتعرضوا لتلك النفحات » . . هيا بث في روحك الضوء الأخضر وكان مصراً علي أن تكون ممن اصطفاهم الله من عباده ليقوموا بين يديه في تلك الدقائق الغالية . .

1- النية الخالصة والعزيمة الصادقة :

أخلص النية أولاً وتأكد أن الله سيأخذ بيدك واطمئن على صدق عزيمتك وقوة إرادتك وشدة رغبتك . .

يا هذا : أنت أجير وعليك عمل فإذا انقضى الشغل فالبس ثياب الراحة . . دخل أصحاب **الجنيد** عليه عند الموت وهو يصلى فقيل له : أفى هذا الوقت ؟ فقال : « **الآن تطوى صحيفتى** » . . وإن كانت تلك العزيمة لديك وقبل أن تطوى صحيفتك . . فسيكون القيام حليفك ولن يخطئك . .

2- الدعاء .. أقوى المعينات :

أكثر الدعاء بقلب خاشع وعقل حاضر أن يعينك ربك على الوقوف بين يديه وأن يذيقك تلك اللذة ولا يحرمك هذه الخيرات التي لو أصبتها لدخلت الجنة . . بلا نقاش . . ولكن بإذن من رحمة الله . .

3- سلامة القلب :

أجمع العلماء أن « سلامة القلب من الحسد والغل وحب المال والشهوات من أهم العوامل المساعدة للقيام » . . لأن المستغرق في تدابير الدنيا هو نائم وإن قام . . وإليك قول هذا الغلام الذي لو شعرنا بكلامه لتحسرنا علي حالنا . . كان يقوم الليل كله وعندما سأل عن ذلك قال : « **إذا ذكرت النار اشتد خوف وإذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام**» .

4- اضبط أكلتك:

قال **الشافعي**: « الشبع يثقل البدن ويزيل الفطنة ويجذب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة » . . لذا كان **بعض الشيوخ** يقف علي مائدة الطعام كل ليلة ويقول : « معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرًا فتشربوا كثيرًا فترقدوا كثيرًا فتتحسروا عند الموت كثيرًا » . . وكى أؤكد لك فاسمع **سليمان الدارانى** « من شبع دخلت عليه آفات : فقد حلاوة المناجاة وتعذر عليه حفظ الحكمة وحرمان الشفقة على الخلق لأنه إذا شبع ظن الخلق كلهم شباعًا . . وثقلت عليه العبادة وزيادة الشهوات » . . وكما قال العامة « **نم خفيفًا** » .

5- النــوم:

عن **معاوية بن قرة** أن أباه كان يقول لبنيه بعد صلاة العشاء «يا بني ناموا لعل الله أن يرزقكم من الليل خيرا » .

نم مبكراً قدر المستطاع ولا تتعمد السهر سواء بمفردك أو مع أصدقائك وانظر للثواب الذي ستجنيه من قيامك ولكي تستطيع أن تقضي القيام علي أفضل صورة استعن بإعانة النبي ﷺ « **استعينوا علي قيام الليل بقيلولة النهار** » ولا تنس النوم علي وضوء وتحرك لسانك بأدعية النوم وتضع نصب عينك القيام .

6- محاسبة واعية واستغفار:

قبل نومك حاسب نفسك واستغفر لما أسلفته في يومك حينئذ تنال مرتبة الشرف لقول **الحسن البصري** «ما ترك أحد قيام الليل إلا بذنب أذنبه . . تفقدوا أنفسكم عند الغروب وتوبوا إلي ربكم لتقوموا الليل» .

7- عقد الشيطان:

يقول ﷺ « **يعقد الشيطان علي قافية أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد يضرب علي كل عقدة . . عليك ليل طويل فارقد فإن استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقده ، فإن توضأ انحلت عقده فإن صلى انحلت عقده فأصبح نشيطًا طيب النفس وإلا أصبح خبيث النفس كسلان** » صحيح .

لحظة من فضلك:

عندما ننظر نظرة متأنية فإن لم يوجد قيام ليل أو صلاة فجر أكان هذا الشيطان الملعون سيعقد هذه العقد ؟! . . طبعًا لا . . على العكس فأنت نائم وستستيقظ وقت ما تشاء وهو مستريح . . أما بسبب القيام والصلاة فهو سهران معك حتى يؤخرك عن ركب النبي ﷺ والصالحين . . وللتغلب على كر هذه العقد . . بمجرد أن تسمع من يوقظك . . أول شئ

تقوم بفعله أن يلهج لسانك بذكر الله . . بأى ذكر سواء . . استغفر الله . . سبحان الله . . لا حول ولا قوة إلا بالله . . وستشعر بثقل فى لسانك ولكن لا تستسلم فبالتكرار سيتحرك ويتحرك ويذكر ثم لا تطيل الرقدة وقم سريعًا واذهب للوضوء وتغلب على هواتف النوم ثم توضأ ومن ثم ستنحل العقدة الثانية وبالتالى قد أفقت فأبدأ فى تنفيذ برنامج قيامك . .

تنبيه : أصعب عقدة هى الأولى فحاذر من التهاون فيها قبل أن تغيم عينيك ويملأ وجهك التثاؤب فتنام . .

8- صحبة الخير :

اتخذ من صحبتك المعين والرفيق . . ومع أصحابك أو أهل بيتك أو أقاربك أبرموا الاتفاق على القيام في يوم ما . . وكذلك ما أسهل الوسائل فى أيامنا هذه من استخدام الهاتف الأرضى . . أو الهاتف المحمول بـ **missed call** أو إرسال **message** رسالة تنبه بها على فضل القيام وصلاة الفجر . . وكذلك وجود الساعة المنبهة . . كل هذه وسائل هامة تؤخذ فى الاعتبار وإذا صدقت النية للقيام فستكن وسائل فعالة ومؤثرة . . أما إذا تدفقت الحجج بأن الهاتف يحتاج لإصلاح . . أو ليس لدى الهاتف المحمول أو صوت الساعة المنبهة ضعيف . . فليس لدى ما أقوله . . أما إذا تم الإتفاق على رحلة أو على موعد هام أصبحت كل تلك الوسائل فعالة جداً ومن أول وهلة صار الإستيقاظ حالك والنشاط عنوانك . . **أليس كذلك يا** . . . . . ؟!

9- الثروة المنتظرة والغنيمة المرتقبة :

ارجع إلى النسمة السابقة وتأمل أرباح وثمرات هذه العبادة فهى وسيلة رائعة لشحذ قنديل الهمة وتوليد روح التنافس وخلع نظارة الكسل ونفض رداء النوم . . وقل لنفسك . . إلى متى أنا بعيداً عن هذه الأرباح ؟! متى أمتلك نصيبًا وأضرب فيها بسهم ؟! إلى متى يسبقنى القائمون وأنا لا أزال نائمًا ؟! إلى متى يهزمنى الشيطان والكسل والدعه أن أكون أحد أفراد هذه الزمرة الفائزة ؟! وسلها أيضًا : حتى متى لا أصلى الفجر ؟! . . أليس ﷺ من قال : « **ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيه** » مسلم.

وهما ركعتين قبل صلاة الفجر فما بالك بالفجر ؟! . . وقد بشر الحبيب ﷺ رجال الفجر « بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة « صحيح . . ها . . هل ستصالح ربك ونبيك ﷺ ومسجدك ؟!

10- السلعة .. السلعة :

كان أحد العابدين عند نومه يتذكر مقولة المصطفى ﷺ : « **ألا إن سلعة الله غالية ألا إن**

سلعة الله الجنة » وعندما كان يسمع من يوقظه كان ينتفض من فراشه مسرعاً مردداً : السلعة .. السلعة . . وكان إذا نام وطلب من أحد إيقاظه كان يوصيه عند إيقاظه أن يقول له : «تذكر السلعة» . . فينفزع من نومه ليطمئنه ربه ويتجه إلى صومعته راجياً رحمته وهدايته وحفظه . . وأنت ألا تدرى أن السلعة حقاً غالية ؟! . .

لوحت السلعة للقوم فأجابوا وكررت الصياح بك . . أما تلتفت ؟! كان القوم إذا سمعوا بنعيمها غرست فى قلوبهم نخيل العزائم . . ولو صدق عزمك لقذفتك ديار الكسل إلى أرض السحر . . وكان **بشر بن الحارث** لا ينام ويقول : أخاف أن يأتى أمر الله وأنا نائم . . ودعنى أقول لك « **اصح يا نائم .. وتذكر السلعة** » . .

11- الفراش الخشن :

وهى طريقة **عبد العزيز بن رواد** . . كان إذا جن عليه الليل يأتي فراشه ويمد يده عليه ويقول « **إنك للين ووالله إن في الجنة لألين منك** » ولا يزال يصلي الليل كله . . وكى نكن عمليين أكثر فلا تنم يوما على سريرك المريح . . وجرب يومًا أن تفترش الأرض . . وأعرف مَن وضع الحصير على سريرة كى يكن استيقاظه أسرع ونهضته أنشط .

12- أفكار

هيا نضع في عقولنا هذه الأفكار من باب تقوية العزائم وإقبال النفس وهجرة الكسل والوهن .

لك أن تتخيل : أن النبي ﷺ جاء في الثلث الأخير من الليل يطرق بابك فإن كنت ممن يذكر الله في تلك الساعة ومن القائمين فسوف تلبى وتفتح أما من استقرت أجفانهم وذهبت أعينهم للسباحة وسط بحار الأحلام كيف لهم ذلك ؟

لك أن تتخيل : أن رب العزة جل فى علاه أرسل قطاراً ملائكياً يدون كشفًا بأسماء القائمين . . ليمن عليهم الرحمن بنظرة رحمة فيكون على أثرها نعيم الجنان . .

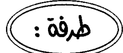
فهل .. إسمك مكتوب ؟!!!

وبعد :

لقد أرسلت إليك هذه المعينات فاستعن بالله أولاً ثم خذ بالأسباب « **مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)** » [آل عمران: 113-115] . .

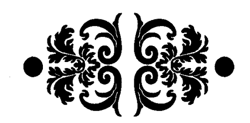
رحم الله أقداماً لما جن عليها الليل كانت له ساعية . . وحين زين السماء قرص الشمس زال التعب وبقى الأجر وذهب ليل النصب وطلع الفجر وكما جاء فى الحديث **«تحت شجرة طوبى مستراح العابدين»** . . وإنما يطيب مكان الاستراحة بإجراء حديث التعب وإنما يلذ الظل البارد لمن تأذى بحر الهجير . .

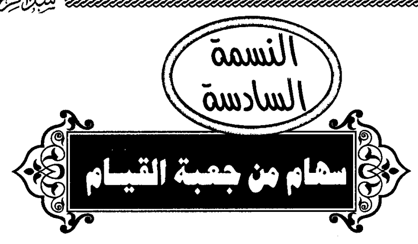
أحباب قلبى : مثلوا الاستراحة تحت شجرة طوبى يهون عليكم السهر . . ومثلوا القبر وهو روضة من رياض الجنة ونوره يلغى ضوء الشمس يهون عليكم القيام فى الظلم . .



طرفة :

قال أصبغ بن يزيد كان لسعيد بن جبير ديك يقوم الليل بصياحه قال : فلم يصح ليله من الليالى حتى أصبح ؛ فلم يصل تلك الليلة فشق عليه فقال : ما له قطع الله صوته ؟ قال : فما سُمع له صوت بعدها ! . . فقالت أمه : يا بنى لا تدع على شىء بعدها ! ! . .





• جنة الله فى الدنيا :

ما أحلاها من لحظات يعجز القلب عن وصفها ويسكت اللسان عن قصها . . أصحاب ليل تنعموا بلحظات وهبها ربهم لهم ولا ينالها متثاقلون وتَعَلُّم فن المناجاة يطيب فى مثل هذه الأوقات ويطير القلب محلقاً في السماء، بدنك آدمية وروحك ملائكية متلذذة بحلاوة الأنس بالله . . فتأن تارة . . وتشتكي تارة . . وتناجي تارة . . وتبكي تارة . . وتستغفر تارة . . طرق باب الملك مزدحم نهاراً فاقتنص الفرصة واخل به ليلاً فقد تقلص الطرق وبدت سواعد الجد والرب مطلع وعالم **ومثل هذا القلب لا تقام فيه الحفلات إلا أثناء الليل** . . وحقاً « الدنيا بها جنة من لم يذقها لم يذق طعم جنة الأخرة» كما **قال السلف** . . أتدرون ما هى ؟! . . إنها لحظات السَّحَر . .

يا كسلان : ما نائم كيقظان ..

• القلب المتعطش له زاد :

أثناء القيام بتلاوة القرآن أو الدعاء سينتاب قلبك القشعريرة وكأنه يريدك أن تنتظر عند آية معينة ودورك أن تتوقف عندها وتكررها ليتشبع قلبك منها ولذلك كان الصحابي يقيم الليل بآية واحدة وليس العبرة من القيام بالكم ولكن بالكيف . . والأمثلة عديدة ومنها **عمر بن الخطاب** أحيا ليلة بقوله « **وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ** » [الزمر : 47] .

وصحب رجل رجلاً شهرين فما رآه نائماً فقال : « مالك لاتنام؟ فقال : إن عجائب القرآن أطرن نومى ما أخرج من أعجوبة إلا وقعت فى أخرى . . »

وفى **زاد الطريق** أو حيث يقول صاحبه « الليل سكون وهدوء وفى الهدوء تركيز وصفاء والناس نيام وفى ذلك بعد عن الرياء ، وفى الليل خلوة مع الله وفى الخلوة قرب وأنس ومناجاة والصلاة زاد ولكنها فى جوف الليل يزداد بها القرب والزاد والعطاء ويحن العاشقون إلى الليل والمتهجدون أشد حنيناً إليه فالذين آمنوا أشد حباً لله وفى ثنايا الليل قيام وركوع وسجود وذكر وتسبيح وقرآن وتوبه واستغفار ومناجاة ودعاء وبكاء من خشية الله وفى كل زاد ﴿ **وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا** ﴾ [الإنسان : 26] » .

• مدرسة الحب والمناجاة :

قال **بعض الصالحين** « لذة المناجاة ليست من الدنيا إنما هي من الجنة أظهرها الله تعالى لأوليائه لا يجدها سواهم» هنا أحبائى مدرسة المناجاة . . تشتكي إلى الله حالك وهو أعلم به منك . . تأخذ رأيه في شئونك فتَعرض عليه ما يحل بك وتحكي له عن كل ما لديك . . ولا تستحي فهو ربك وليس بينك وبينه حجاب . .

ويقول الداعية الداهية **محمد أحمد الراشد** « سجود المحراب واستغفار الأسحار ودموع المناجاة سيماء تحياها المؤمنون ولئن توهم الدنيوي جنته فى الدينار والنساء والقصر المنيف فإن جنة المؤمن فى محرابه » .

• تحفة علي بن أبي طالب :

« إلهي إن كنت لا ترحم إلا المجد في طاعتك فأنى يلتجئ المخطئون ؟ وإن كنت لا تكرم إلا أهل الإحسان فأنى يصنع المسيئون وإن كان لا يفوز يوم الحشر إلا المتقون فكيف يستغيث المذنبون . . إلهي نفسي أعززتها بتأييد إيمانك فكيف تذلها بن أطباق نيرانك . . إلهي قد سترت عليَّ في الدنيا ذنوباً فلم تظهرها فلا تفضحني يوم ألقاك على رؤوس العالمين بها ؛ يا أنيس كل غريب أنس في القبر وحشتي وارحم وحدتي ؛ قد كنت بي لطيفاً في حياتي فلا تقطع برك عليَّ بعد وفاتي » . .

الليـــل لى ولأحبـــابى أحـــادثهم	قد اصطفيتهم كى يسمعوا ويعوا
لهم قلوب بأســرارى بهـــا ملئت	على ودادى وإرشـادى لهم طمـعـوا
ســـروراً فمـا وهنوا ولا ضعفوا	وواصلوا حبل تقريب فما انقطعوا

• • حـــوريات:

أبو سليمان الداراني أحد نجوم الليل وإذ به ساجد فذهبت عينه للنوم فركضته الحوراء برجلها وبعثت إليه تقول « أترقد عيناك والملك يقظان ينظر إلي المتهجدين في تهجدهم بئساً **لعين أثرت لذة النوم عن مناجاة العزيز** فقد لقي المحبين بعضهم بعضا» . . غفلت عينه لحظة فاستلم خطاباً شديد اللهجة . . فما بالك أنت بمن يغفل اللحظة واللحظة واللحظة !! »

ويلهب **أبو يزيد الرقاشي** الموقف بلغني أن نوراً سطع في الجنة لم يبقى موضع في الجنة إلا دخل ذلك النور فيه فقالوا ما هذا ؟ قال : حوراء ضحكت في وجه زوجها .

يا خـاطب الحـوراء فى خـدرها	وطالبـــاً ذاك فى قـــــدرها
انهض بجـــد لا تكـــن وانيـــاً	وجـــاهد النفس على صـــبـــرها
وجـــانب الناس وارفـــضـــهم	وحـــالف الوحدة فى ذكــــرها

. . عن **ابن مسعود** قال « ذكر رجل عن النبي ﷺ فقال : ما زال نائما حتى أصبح ما قام إلي الصلاة فقال ﷺ : « **ذاك رجل بال الشيطان في أذنه**» صحيح . .

أعرفت لما تصم أذنك عن النصائح يا فالح !!

وتأفف منه **ابن مسعود** « حسب الرجل من الخيبة والشر أن ينام حتى يصبح وقد بال الشيطان فى أذنه» .

- **كشافات ليلية :**

عندما تسربت واخترقت صفوف القائمين حاولت جاهداً أن أتعرف على الكشافات التي يستعملها أصحاب الليل فى برامجهم السرية . . ومنها :

* الصلاة على طول الوقت ركعتين . . ركعتين ثم الاستغفار قبيل الفجر . .
* الذكر المنوع والتسبيح . .
* الدعاء سواء أثناء السجود أو أثناء الصلاة . .
* التفكر فيما مضى من عمرك ومحاسبة نفسك بالورقة والقلم . .
* يوم تطيل فيه الوقوف . . وآخر تطيل فيه الركوع . . وآخر تطيل فيه السجود . .
* إحياء الليل بقراءة القرآن والتفقه فى معانيه من كتب التفاسير . .
* يوم تطيل القيام والصلاة وقراءة جزء أو أكثر وإذا لم تكن حافظًا للقرآن فيمكنك حمل المصحف أثناء الصلاة وعندما سأل **أزهر بن مغيث** حوراء عن مهرها فقالت : « **طول التهجد** »

والتنوع فى القيام من الأهمية بمكان ..

* بالنسبة للطلاب أو العاملين ليلاً . . وضع نية المذاكرة والعمل كنية القيام تنال بها الأجر كاملاً . . وعندما سأل رجل **الإمام أحمد** أأقرأ وردي بالليل أم أدرس باباً من العلم فرد عليه ادرس باباً من العلم فستستفيد وتفيد غيرك أما قراءة وردك فلك وحدك . .

* يوم الشكر . . تكثر فيه من سجود الشكر وتحمد الله بصيغ عديدة ويمكنك أن تطلق عليه يوم الحمد . .

ولمح **ابن سيرين** تهاونك فقال : **عليك بقيام الليل ولو بمقدار حلب شاه**

فوضعناها لك فى هذا الإطار

همسة :

استبشر بمقولة **سفيان** « **إن لله ريحاً مخزونة تحت العرش تهب عند الأسحار فتحمل الأنين والاستغفار** » .



• لا تغضب :

إذا أخذت بكل الأسباب ولم يتيسر لك القيام فيأتي إليك حبيبك وقرة عينك المصطفى ﷺ قائلاً « **من أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل فغلبته عيناه حتى أصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من ربه** » النسائي وابن ماجه عن أبو الدرداء . . ويلقي إلينا **عطاء بن رباح** أحد خبراء المجال فوصف القيام بأنه « محياة للبدن ونور في القلب وضياء في الوجه وقوة في البصر والأعضاء كلها وإن الرجل إذا قام بالليل أصبح مسروراً وإذا نام عن حزبه أصبح مكسور القلب كأنه قد فقد شيئاً وقد فقد أعظم الأمور» . .

• كيفية التعويض :

يلحق بك النبي فيقول ﷺ « **من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه بالليل** » صحيح .

• وعند المرض :

عن **أبي موسى الأشعري** قال ﷺ : « **إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً** » .

• عين الحسود :

يقول النبي ﷺ : « **لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار** » البخاري .

• قرة العين :

يقول تعالى : ﴿ **فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾ [السجدة: 17]

ويعلق الحسن البصري « أخفى قوم عملهم فأخفى الله لهم ما لم تر عين ولم يخطر على قلب بشر» . .

وعاش ابن القيم هذا المعنى فهمس فى أذنك : « تأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذى لا تعلمه نفس، وكيف قابل قلقهم و خوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين فى الجنة» .

● الرؤية الصالحة :

عن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال قال ﷺ« **الرؤيا الصالحة بُشرى من الله** » البخاري ومسلم ؛ وعن أنس رضي الله عنه ويقول ﷺ « **أصدق الرؤيا بالأسحار**» رواه أحمد.

يَا راقِـــدَ الليْلِ عَلى طُـولِه ... كَمْ مَــنْ بَاعَ جَـنَّةَ لا يَرْقُــدُ
قَـدْ شَـردَ النَّـومُ عَنْ أجْفَـــانِه ... وَأنْتَ غَافِــلٌ وجبهَتُهُ لله تَسْجُدُ

● تقـرير:

يوافيك محمد بن قيس « بلغني أن العبد إذا قام من الليل للصلاة تناثر عليه البر من عنان السماء إلى مفرق رأسه وهبطت عليه الملائكة لتستمع إلى قراءته واستمع له عمار داره وسكان الهواء فإذا فرغ من صلاته وجلس للدعاء أحاطت به الملائكة تؤمن على دعائه فإن هو اضطجع بعد ذلك نودي **نم قرير العين مسروراً نم يا خير نائم على خير عمل** » .

يا أنتم : إن من ذاق لذة المناجاة ومتعه الخلوة ليلاً مع الرحمن ينال بها علامة مسجلة من الله وإن الليل لهو غراس الإخلاص في القلوب . . إن كنت تريد التأكد من إخلاصك . . جرب نفسك بالليل ؟!

وهنا يشرح **الإمام القاسمى** فى محاسن التأويل: ﴿ **وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا**﴾ [الفرقان: 64] إشارة إلى الإخلاص فى أدائها وابتغاء وجهه الكريم كما أن ذلك هو الذى يستتبع أثرها من العمل الصالح وفعل الخير وحفظ حدود الله » .



افرح قلبك بوصف **شهر بن حوشب** « إذا قام العبد الليل تبشبشت له الأرض واستنار له موضع مصلاه وخرج به عمار داره من مسلمي الجنة واستمعوا لقراءته وأمنوا على دعائه» .



تراخى لا يليق :

أخى : لا تدع الشيطان يلتهم أذنك . . نم انك مجهد . . أتظن يا أخانا أن كل من يقوم الليل ليس بمجهد أو ليس بمريض . . أتظن القائمون يستريحون بالنهار ليكونوا من أهله . . لا . . وهنا تبزغ الإرادة وتضح العزيمة وها هو النبي ﷺ يقضي وقته نهاراً في الدعوة وربما في الجهاد وصحابته رضوان الله عليهم مع ما يتحملوه من أذى وعذاب وفى الليل ينسون كل ذلك . . أخى . . أختاه . . **من أراد سيقوم ولا يضع الأعذار . .**

وأسئلة بحاجة لإجابة :

إلى متى يثنيك النوم عن ركب الصالحين ؟ فهل الجنة لمن نام عن طرق بابها ؟! كان **الحسن** إذا قعدت همته عن الصلاة كسلاً حيث غلبته نفسه وانتصرت عليه قضى تلك الليلة ساهراً مهمومًا حتى يُصبح فقيل له ذلك فقال : « غلبتنى نفسى على ترك الصلاة فغلبتها على النوم وأيم الله لا أزال بها كذلك حتى تذل وتطاوع » . . فعاقب نفسك أنت الآخر حتى تذل وتطاوع . .

فرصة أخيرة :

الأكياس للرحمة قد زحفت . . والجنة لهم استعدت . . واستقبلت القائمين وأعدت . . لكل قدم مدت . . ولكل أيد رفعت . . ولكل جوارح خشعت . . ولكل عين سكبت . . ولكل قلوب ذلت . . مالا عين رأت ولا أذن سمعت . . ولا . . خطر على قلب بشر ...

هل استعددت أنت للجنة؟! ... الفرش اشتكت كثرة الرقاد . . والأعين برزت من غفوة السبات . . أما من انتهز الفرص . . وترك الفرش . . فـ . . هنيئاً له . . فمن يفيق ويقول . . كفانا كفانا ؟! . .

لبيك اللهم لبيك . . **كم صدح السحر** : إصح يا نائم . . لتوحد الدائم . . فمن يردد : أنا لها . . أنا لها ... فمرحباً بك . . ولا عزاء للكسالى وعظم الله أجركم . .

* * *

خــذ خطــوة

بعد أن تنعمت بفيوض هذه الخيرات أخاف أن يظل غبار النوم متناثراً على عينيك ودخان الكسل متكثفاً على قلبك . . كن يا أخانا رفيقهم واسلك ولو يومًا طريقهم فما أقل ما تعبوا وأيسر ما نصبوا وما هو إلا القليل ثم نالوا ما طلبوا . .

يا له من وقت تجب له الحراسة وما بان منك حماسة ..

ذهب معظم البضاعة ولازلت فى التفريط ساعة تلو ساعة . . أظهر لله من نفسك خير

واعلم أن ما عنده لا ينال إلا بطاعته ..

ويتابع **الحسن البصري** الموقف من بعيد عندما سأله رجل : يا أبا **سعيد** ما أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله تبارك وتعالى من الأعمال ؟! قال :

« ما أعلم شيئاً يتقرب به المتقربون إلى الله عز وجل أفضل من قيام العبد في جوف الليل » . .

* * *





* نزل القرآن الكريم علي قلب رسول الله لينشيء به أمة ويقيم به دولة وينظم به مجتمع ويربي به ضمائر وأخلاق وعقول. . ويربط الأمة بشتي الأمم ويربط كل ذلك برباط قوي واحد يجمع متفرقة ويؤلف أجزاءه ويشدها كلها إلى مصدر واحد وإلي سلطان واحد وإلي جهة واحدة وذلك هو الدين كما فهمه المسلمون أيام كانوا (مسلمين)!. .

* لقد وعظ القرآن المجيد يبدي التذكار عليكم ويعيد ، غير أن الفهم منكم بعيد ومع هذا فقد سبق العذاب التهديد، أين كان من يتحرك في أغراضه ويميد ويغرس الجنان لها طلع نضيد ﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: 45] .

* إن مواعظ القرآن تذيب الحديد، وللفهوم كل لحظة زجر جديد وللقلوب النيرة كل يوم به وعيد، غير أن الغافل يتلوه ولا يستفيد أين كان من ينظر بين يديه؟! أين من أبصر العبر ولم ينتفع بعينيه؟! أين من بارز بالذنوب المطلع عليه ﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: 16] .

* أحضروا قلوبكم فإلي كم تقليد؟!. . يا معشر الشيوخ في عقل الوليد أما فيكم من يذكر أنه في قبره وحيد؟! أما فيكم من يتصور عذابه والتبديد؟! غداً يباع أثاث البيت فمن يزيد؟! غداًيتصرف الوارث كما يريد. . غداً يستوي في بطون اللحود الفقير والسعيد. . **يا قوم** ستقومون للمبديء المعيد. . **يا قوم** ستحاسبون علي القريب والبعيد. . **يا قوم** خلاصة المقصود ﴿ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود: 105] .

* يا مطالباً بأعماله ، يا مسئولاً عن أفعاله، يا مكتوبًا عليه جميع أقواله، يا مناقشًا كل أحواله، نسيانك لهذا أمر عجيب!! أتسكن إلى العافية وتساكن العيشة الصافية وتظن أيمان الغرور واقية لابد من سهم مصيب ﴿ وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [ق: 41] .

* كم نائم علي فراش التقصير مغتر بعمر قصير صاح به فلم يبال النذير فاستلبه الخطأ والتبذير فلما أحس البأس ثارت من نيران الندم شعلة. . لا تغتر بنعيم القوم فإن غداً بعد اليوم. . دع أصحاب الشهوات والهوي فما يؤثر فيهم اللوم وهل ينفع التحريك ميتا؟!!. . ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: 3] .

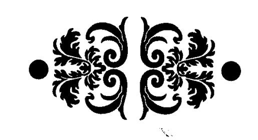
* يا ذا النفس اللاهية تقرأ القرآن وهي ساهية أما لك ناهية في الآية الناهية؟! كم خوفك القرآن من داهية؟! أما أخبرك أن أركان الحياة واهية؟! أما أعلمك أن أيام العمر متناهية؟! أما عرفك أسباب الغرور كما هية؟!

* يا أنت لو سرت في حزب المتقين خطوات لعرفوا لك حق الصحبة ، يا من كان لهم رفيق فأصبح لا يعرف لهم طريقًا اطلب اليوم أخبارهم وابتغ في السلوك آثارهم . . واسكن معهم بالتأدب في دارهم وإن عاتبوك فاصبر ودارهم . . . إن لم يكن لك مكنة البذر ولم تطق مراعاة الزرع فقف علي رفقة ﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُوا الْقُرْبَىٰ ﴾ [النساء : 8] يا من كثر تردده إلي مجلس الصالحين ولم تزل قسوة قلبه . . لا تضجر فللدوام أثر جالس البكائين يتعدي إليك حزنهم فتأثير الصحبة لا يخفي أما تري دود البقل أخضر؟! لا تستصعب طريقهم فالمعين قادر تعرض لمن أعطاهم وسل فمولاك مولاهم رب كنز وع به فقير ورب فضل فاز به صغير . .

* نزول آدم إلي دار التعب صعود لا هبوط ؛ يا آدم لا يغرنك قول ﴿اهبطوا منها جميعًا﴾ [البقرة : 38] ففي كل يوم ينادي ألف مرة ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس : 25] . . نزل آدم إلي دار المجاهدة فظهر من ثمرته صبر **الخليل** وثبوت الذبيح وجهاد **يوسف** وكمال **محمد** ثم جاء الأولياء في هذه الزمة فخجلت عند زهدهم الرهبنة لا بل سبقوا تعبد الملائكة . . مصابيح القلوب الطاهرة في أصل الفطرة منيرة ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾ [النور : 35] . .

* لاحت للقوم جادة السلوك فقالوا : ﴿رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ [فصلت : 30] فركبوا سفن العزم وهبت رياح العون فقطعوا بالعلم ظلمات الجهل فوصلوا إلي إقليم القرب وأرسوا علي ساحل بلد الوصل . . فإذا وقعت عزيمة الإنابة في قلب من سبقت له منا السعادة قلعت قواعد الهوي من أساس الأمل ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف : 201] . . لو عاينتهم وقد دارت كؤوس المناجاة وترنمت الألسن بين التلاوة فأسكرت القلب حلاوة ورقمت في صحائف الدهر ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة : 273] . .

* * *



الجولة السابعة



﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴾
[فاطر : 15]

لا تقطعنَّ عادة الإحسان عن أحد ... مادُمتَ تقدر والأيام تارات

واذكر فضيلةَ صُنْع الله إذ جُعلت ... إليكَ لا لك عند الناس حاجات



- إلى من يبخل على نفسه ..فيبخل الله عليه ..
- إلى من يجمع المال فتفرقه الأقدار.
- الى من تناسى رازق الملكوت

وامسك يده عن الكرم والجود

فكثيب الرمال كلما علا انهال

هيا .. انفض عن قلبك رائحة البخل ليسطع شعاع البصائر برحيق السخاء ..

شريف

الدعـوة عامة :

أشغلكم تكاثركم بالأموال والأولاد . . فأنساكم أن للقاء الآخرة استعداد . . أما علمتم : أن الالتهاء عن المقاصد خذلان . . تكديس المال على حساب الروح إفلاس . . أن يكون الهدف القناطير المقنطرة من الذهب والفضة . .

هذا هو الشغل الحاضر والفقر الدائم . .

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر فهو الذى صنع الفقر

يا حضرات: ذهب عرش **بلقيس** وغرق ملك **قارون** وراحت مملكة **سليمان** وبليت أموال **فرعون** وامحى سلطان **هامان** . . وأنت يا صاح : ما تملك؟! ويأخذ رأيك **ابن الجوزى** « أيها المتعب نفسه فى جمع المال . . عقاب الوارث على مرقب الانتظار!! » أفهمت أم أشرح لك؟! . .

وعن **عائشة** أن بعض أزواج النبي ﷺ قلن يا رسول الله : أينا أسرع بك لحوقًا ؟! فقال « **أطولكن يدًا** » فأخذن قصبة يدرعنها (يقيسون بها) فكانت **سودة** أطولهن يداً فعلمنا بعد إنما كان طول يدها بالصدقة وكانت تحب الصدقة وكانت أسرعنا لحوقًا به » صحيح ؟!!! . .

افهم . . يا جامعًا المال لغيره تاركًا التزود في سيره . . بعد تعبك هذا سيحظى سواك بخير !!

ومن هنا جئت أدق بابكم فإن شاء الله ستجدون ما يسركم ويشرح قلوبكم ويريح صدوركم . .

الدعوة أمامك أسرع بتدوين البيانات ولك الفوائد وبلا ضرائب . . . .هيا بنا إذًا ! . .



دخل رجل منزلاً يعرف بالشح والحرص فرأى طفلاً صغيراً بيده ليمونه فطلب أن يعطيه إياها . . فأجابه الطفل : إن يدك لا تسعها !! . . **فما بالك ببقية الأسرة ؟**

. . عافانا الله وإياكم . .



السنبلة الأولى
مدرسة الإنفــاق

1 من وحى الرافعى :

يقول : « كان النبى ﷺ على ما يصف التاريخ من الفقر والقلة ولكنه كان بطبيعته فوق الاستغناء ولا استقر في قلبه العظيم ما يجعل للدينار معنى الدينار ولا للدرهم معنى الدرهم وكان النبي ﷺ يملك المال ويجده وكان أجود به من الريح المرسلة ولكنه لا يدعه يتناسل ولا يتركه ينبت في عمله وإنما كان عمله ترجمة لإحساسه الروحي » ولا زال الكلام على لسانه «وهو يريد إثبات أن هذا الإنسان مع المادة الصامتة العمياء مادة مفكرة مميزة إذ الروح خلود وبقاء والمادة فناء وتحول وبهذا العقل الكوني السليم ترى المؤمن إذا عرض له الشيء من الدنيا يفتنه ويصرفه عن واجبه الإنساني أبت نفسه العظيمة إلا أن ترتفع بطبيعتها ويصبح الذهب - وإنه ذهب - وليس فيه عند المؤمن إلا روح التراب !» . .

2 إلا كتفها !!

عن عائشة أنهم ذبحوا شاة فتصدقوا ببعضها فقال النبي ﷺ : «**ما بقى منها؟! قالت : ما بقى منها إلا كتفها** ؛ فدقق لها النبى العبارة : **بقى كلها غير كتفها** » حسن صحيح . . هذا حال نبيك مع صدقته . . وأنت إذا أفلت من مالك خمسة جنيهات للصدقة ما لون حالك ؟ ولعل المقارنة تعرفك مدى قسوة القلوب وافتقادها أمجاد الثواب . . وبالمحاولة والتجربة سيتغير الحال قل : إن شاء الله . . ويعلق **أبو الحسن الماوردى**: «انتهز الفرصة فى مالك أن تضعه فى حقه وأن تؤتيه لمستحقه ليكون لك ذخراً ولا يكون عليك وزراً » . .

3 ولو كان ذهبًا :

قال ﷺ « **لو كان لى مثل أُحد ذهبًا ما سرنى أن تأتى على ثلاث ليال وعندى منه شيء إلا شيءأرصده لدنيا**» البخارى ومسلم . . لا تفاجأ فهو من قال لك « **ما نقص مال من صدقة**» وهى تعاد عليك لتنفذ . . متذكراً وصيته لمؤذنه « **أنفق بلالاً ولا تخش من ذى العرش إقلالا** » . .

وقبل أن يصير الغل رمزاً فاسمع من صاحب لا تحزن « إن غل الروح جزء من غل اليد وإن البخلاء أضيق الناس صدوراً وأخلاقاً لأنهم بخلوا بفضل الله عز وجل ولو علموا أن ما يعطونه للناس إنما هو جلب للسعادة لسارعوا إلى هذا الفعل الخير » .



حبة تزن جبال

يقول ﷺ : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبًا فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربي أحدكم مهره حتى أن اللقمة لتصير مثل أُحد (جبل أُحد) وتصديق ذلك في كتاب الله تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ [التوبة: 104]» صحيح . . صدقة في عدل تمرة تُبث بيد محتاج يأخذها الله ويقبلها بيمينه ويربيها لصاحبها . . فيا ليتكم تتصدقون وتكثرون ويوم القيامة سترى من معه كجبل أُحد ؛ وثانية بين يديها جبلان ؛ وثالث سرقه الشيطان . . ورابع يحمل سلاسل جبال أُحد !! تُرى : أفيرغب عن مثل هذا الخير أحد ؟!

ما قدر كسرة تعطيها . . أو ما سمعت أن الرب يربيها . . وا عجبًا للقمة كانت قليلة فكثرت وفانية فبقيت وضائعة فحفظت . . وتعجب يحي بن معاذ « ما أعرف حبه تزن جبال الدنيا إلا الحبة من الصدقة «!! .

ولو بشق تمرة !!

يقول ﷺ « ما منكم من أحد إلا سيكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة » صحيح . .

ومن منا لا يملك شق تمرة ؟

يا الله . . إنه لحديث تخفق معه القلوب . . أنا وأنت . . نعم ورب الكعبة أنا وأنت في هذا الموقف أمام من ؟ أمام جبار الأرض والسماوات . . فلا عن يمينك ولا عن شمالك إلا ما قدمت وجهنم تلقاء وجهك وأمام عينك . . موقف عصيب . . ويعلو الصراخ ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ [الحاقة: 29،28] . . فينتشلك النبي ﷺ من آهاتك ممررًا بطوق النجاة . . تصدق . . أنفق . . لا تبخل . . ولهذا كان مسلم بن يسار لا يرد سائلاً قط . .

③ أطفأ حريق ذنوبك

يقول ﷺ « **الصدقة تطفأ الخطيئة كما يطفئ الماء النار**» صحيح . . يا جرحى الذنوب ها هو المرهم . . يا أسير الأوزار جاءك السراح . . وليس المعنى أن تعصي ثم تتصدق . . فماذا تركت للمغبون ؟ . . ويأتيك **لقمان الحكيم** ناصحاً « إذا أخطأت خطيئة فأعط الصدقة » وتصريح آخر للنبي ﷺ « **صدقة السر تطفئ غضب الرب**» حسن . . فاستعمل هذا الماء البارد عساه يداويك . . وهذه لك « **إن الصدقة لتطفئ عن أهلها حر القبور** » الطبراني والبيهقي . . ولهذا كان يتهلل وجه **سفيان الثورى** إذا رأى سائلاً على بابه قائلاً « **مرحباً بمن جاء يغسل ذنوبى** » . .

④ أطعم الطعام

يقول ﷺ « **من أطعم الجائع حتى يشبع أظله الله تحت ظل عرشه**» الطبراني . . ويقول أيضاً «**من أطعم أخاه لقمة حلوة لم يذق مرارة يوم القيامة** » مسند احمد . . وعندما سأل رجلاً رسول الله ﷺ: أي الإسلام خير ؟ قال « **تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف** » البخاري ومسلم . .

وفهمه خطأ أحد البخلاء وكان كثير المال وينظر لدقائق الأشياء فاشترى ذات يوم شيئاً من الحوائج ودعا حَمَّاراً وقال : بكم تحمل هذه الحوائج ؟ قال : بحبة ؛ قال : أبخس (أقل) . . قال : ما أقل من حبه ولا أدري ما أقول . . قال : تشتري بالحبة جزراً فنجلس جميعاً نأكله !! أغثنا يا مغيث . .

⑤ تنفيس الكروب

يقول ﷺ : « **من سره أن ينجيه الله من كرب يوم القيامة فلينفس عن معسر أو يضع عنه**» مسلم . . من مفاتيح تخطى الأهوال . . يسر على محتاج . . أعط فقيراً . . فرج عن مكروب . . ساعد مداناً . . إن كنت مديناً فتساهل أو أن تعفو إن أمكن . . لذا أخبرك **الحسن البصري** « أدركت أقوامًا كانوا يعزمون على أهليهم أن لا يحرموا سائلاً ولا يردوه خائباً » ويحفزك أبو اليسر إذ يقول : أشهد على رسول الله ﷺ لسمعته يقول « **إن أول الناس يستظل في ظل يوم القيامة لرجل أنظر معسراً حتى يجد شيئاً أو الصدقة عليه بما يطلبه يقول : مالي عليك صدقه ابتغاء وجه الله ويخرق صحيفته** » الطبراني . . وأُجمل القول « **أيما مسلم كسا مسلما ثوبا على عرى كساه الله تعالى من خضر الجنة .. وأيما مسلم أطعم مسلما على جوع أطعمه الله تعالى يوم القيامة من ثمار الجنة .. وأيما مسلم سقى مسلمًا على ظمأ سقاه الله تعالى يوم القيامة من الرحيق المختوم** »حسن . . ولا تعليق !!

تأييد السماء :

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « **بينما رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتا في سحابة .. يقول : اسق حديقة فلان .. فتنحى ذلك السحاب فأفرغ مائه في حرة (أرض بها حجارة) فإذا شرجه** (مسير الماء إلى الأرض السهلة) **من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله فتتبع الماء فإذا رجل قائم في حديقة يحول الماء بمسحاته (المجرفة) فقال له : يا عبد الله ما اسمك ؟! قال : فلان للاسم الذى سمع في السحابة .. فقال : يا عبد الله سألتنى عن اسمى .. قال : سمعت في السحاب الذى هذا ماؤه يقول : اسق حديقة فلان لاسمك فما تصنع فيها ؟! قال : أما إذ قلت هذا .. فإني أنظر إلى ما يخرج منها فأتصدق بثلثه وآكل أنا وعيالى ثلثه وأرد ثلثه** »مسلم . .

إنفاق والثمن ثمين :

يقول ﷺ : « **يمين الله ملأى لا يغيضها شيء سماء الليل والنهار أرأيتم ما أنفق منذ خلق السموات والأرض ؟! فإنه لم يغض ما في يمينه قال : وعرشه على الماء وبيده الأخرى القبض يرفع ويخفض**» مسلم .

وفي تفسير الحديث « إن الله ينفق على من ينفق في سبيله وكذلك يمسك على من يمسك » . . وكما قال النبي ﷺ : « **ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما : اللهم أعط منفقاً خلفاً ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً**» رواه مسلم.

.. فأى الدعاء تحب أن يكون في حقك ؟!

أيها العبد الضعيف الفقير أتبخل على إخوانك من فقراء المسلمين والرزق بيد الرازق يوسع على من يشاء ويقتر على من يشاء ﴿ **وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ** ﴾ [الذاريات: 22] . .

وكما قال **ابن حنبل** « لو أن رجلا أنفق مثل جبل أحد فى طاعة الله لم يكن من المسرفين ! ! » . .

باكروا وسابقوا

يا قليل البضاعة : اسمع ﷺ : « **سبق درهم مائة ألف درهم** » **فقال رجل : وكيف ذاك يا** رسول الله ؟ قال : « **رجل له مال كثير أخذ من عرضه** (من جانبه) **مائة ألف درهم تصدق بها ورجل ليس له إلا درهمان فأخذ أحدهما فتصدق به**» حسن . .

أى . . صدقة بسيطة لا تستقلل قيمتها تذهب بحرارة البخل ووهج الشح ونار الحرص فيرخى القلب طمأنينته فيهدأ وفى ذهول تفاجأ ونفسك بفراديس الجنان . . وبرفقة النبى العدنان وفي الوقت ذاته تأخذ بيديك عن النار . . وبلهجة أخرى «**باكروا بالصدقة فإن البلاء لا يتخطى الصدقة** » صحيح . . وهكذا تبنى مصدات البلاء . .

يا بخيل .. يا منفق .. يا متردد .. فضائل الصدقة أكثر من أن تحصى مما يدلل على أنها من عظيم الأهمية عند الله ورسوله ﷺ بمكان .. وبعد ذلك ألا ترى أنها تجارة رابحة !! .. ولكي لا تستقلل من شأن صدقتك فتلغي فكرتك السيدة عائشة حين سألها مسكين ذات يوم وكان بين يديها عنب فقالت لإنسان : خذ حبه فأعطه إياها فجعل ينظر إليها ويتعجب فقالت عائشة : أتعجب ؟! كم ترى في هذه الحبة من مثقال ذرة؟!» .. وتذكر قول من خلقك وأحبك : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: 92] عسى قرش أُنفق بإخلاص يُقبل وألف برياء يكون عليك به الله ساخط ..

أيا من عاش في الدنيا طويلاً	وأفنى العمر في قيل وقال
وأتعب نفسه فيما سيفنى	وجمع من حرام أو حلال
هب الدنيا تقاد إليك عفواً	أليس مصير ذلك للزوال

9 قبل دموع الندم :

تأمل قوله تعالى : ﴿ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [المنافقون: 10] ..

أخي حبيب رسول الله : أمدرك أنت ؟ .. فإذا نظرت نظرة عميقة بعيدة الغور لاح لك أن أول الندم والحسرة عند الموت حرمان نفسك من الإنفاق ؟! .. ومن عرف ذلك أسرع ومن فطن بادر .. وينبهك الحسن « لو أنفق المؤمن في سبيل الله مثل أحد ذهباً ما أمن حتى يعاين بنفسه عند الغرغرة إلا أن المؤمن لا يأمن مكر الله وهو دائماً مكروب مذعور أن لا يقبل منه فهو يسدى الخير وهو وجل خائف وغير المؤمن شحيح مسيك ضنين وهو مع هذا لا يخاف ولا يوجل » .. واليد العليا خير من اليد السفلى.

10 لصدقة السر بريق خاص :

عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ « لما خلق الله الأرض جعلت تميد وتكفأ فأرساها الجبال فاستقرت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت : يا ربنا هل خلقت خلقاً أشد من الجبال ؟ قال نعم الحديد ؛ قالوا : فهل خلقت خلقاً اشد من الحديد؟ قال : النار .. قالوا : فهل خلقت خلقاً أشد من النار ؟ قال الماء .. قال : الريح ؛ قالوا : فهل خلقت أشد من الريح قال : ابن آدم .. إذا تصدق بصدقة بيمينه فأخفاها من شماله » حسن ..

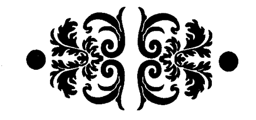
سبحانك ربى . . ويقول **عبد العزيز بن أبي راود** « ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب » . .

* * *

همسة :

قال **عبيد بن عمير** « يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل اشبعه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن كسا لله عز وجل كساه الله» .

* * *





• **السيدة عائشة :** سألها مسكين ذات يوم وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف فقالت لمولاه لها : أعطيها إياه ؛ فقالت : ليس عندك ما تفطرين عليه . . فقالت : أعطيها إياه . . ففعلت وقالت : فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يهدي لنا شاه وكتفها (أي مطبوخة للأكل) فدعتني **عائشة فقالت** : كلي من هذا . . هذا خير من قرصك .

• **أبو بكر الصديق :** تصدق بجميع ماله وعمر بن الخطاب بشطره فقال ﷺ : «**ما أبقيت لأهلك ؟ فقال : مثله وقال لأبو بكر : ما أبقيت لأهلك ، قال : الله ورسوله**» صحيح . . وقال ﷺ «**ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبو بكر فبكى أبو بكر وقال : هل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله** » الترمذي واحمد وابن ماجه . . .

• **عثمان بن عفان :** أرسل عشرة آلاف دينار عندما بعث إليه النبي ﷺ يستعين به في جيش العسرة فجعل النبي ﷺ يقلب الدنانير بين يديه ظهراً لبطن ويدعو له ويقول « غفر الله لك يا عثمان ، ما أسررت وما أعلنت وما أخفيت وما هو كائن إلي أن تقوم الساعة ما يبالي عثمان ما عمل بعد هذا » . .

• **عبد الله بن مسعود :** كان من فقراء المسلمين وعند وفاته خرج أربعين مسكيناً يسألون الطعام وعندما سألوهم أين كنتم ؟ قالوا : كان يطعمنا **ابن مسعود** ! !

• **عبد الرحمن ابن عوف :** مليونير الصحابة كان يمتلك أربعة آلاف فأقرض الله ألفين وادخر ألفين لعياله فقال له الرسول ﷺ « **بارك الله لك فيما أعطيت وبارك لك فيما أمسكت** » رواه البزار عن أبي هريرة .

• **أبو الدحداح :** أحد رموز الصدقة فلما نزل قوله تعالى : ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة: 245] مد **أبو الدحداح** يده للنبي ﷺ وقال : قد أقرضت ربي حائطي . . (وكان حائطه به ستمائة نخلة) .

• **على بن الحسين :** لما مات وغسلوه جعلوا ينظرون الى آثار سواد بظهره قيل ما هذا؟ قيل : كان يحمل جراب الدقيق ليلاً على ظهره يعطيه فقراء أهل المدينة .

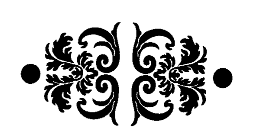
• **عبد الله بن عتبه بن مسعود:** باع يوماً أرضاً بثمانين ألفاً ؛ فقيل له : لو اتخذت لولدك من هذا المال ذخراً ؟ فقال : بل اجعله ذخراً لي ؛ وأجعل الله ذخراً لولدي !! . . أي ينفقه في سبيل الله .

• **عبد الله بن جعفر:** لم يكن يرد سائلاً يؤمه في حاجة قط ولما قيل له في ذلك قال : إن الله عودني عادة وعودت عباده عاده . . عودني أن يعطيني وعودت عباده أن أعطيهم وأخشى إذا قطعت عادتي عنهم أن يقطع عادته عني .

• **الربيع بن خيثم :** وكان لا يتصدق بأقل من رغيف ويقول « إني أستحي أن أرى في ميزاني أقل من رغيف » . . و مرض الربيع ذات مرة فطال وجعه فاشتهى لحم دجاج فكف نفسه أربعين يومًا . . ثم قال لامرأته : اشتهيت لحم دجاج منذ أربعين يوما فكففت نفسي رجاء أن تكف فأبت ؛ فقالت له امرأته : سبحان الله وأي شيء هذا حتى تكف نفسك عنه ؟! قد أحله الله لك فأرسلت امرأته إلى السوق فاشترت له دجاجة بدرهم ودانقين فذبحتها وشوتها واختبزت له خبزًا ثم جاءت ووضعته بين يديه فلما ذهب ليأكل . . قام سائل على الباب فقال : تصدقوا عليَّ بارك الله فيكم . . فكف الربيع عن الأكل وأمر زوجته أن تدفعه للسائل فقالت امرأته : سبحان الله ؛ فقال : افعلي ما آمرك ؛ قالت : فأنا أصنع ما هو خير له وأحب إليه من هذا قال وما هو ؟! قالت : نعطيه ثمن هذا وتأكل أنت شهوتك . . قال : قد أحسنت ائتيني بثمنه . . قال : فجاءت بثمن الدجاجة والخبز والأصباغ . . فقال : ضعيه على هذا وادفعيه إلى السائل !!!

• **داود الطائي :** أحد الزاهدين قالت له أمه ذات يوم : لو اشتهيت شيئًا أتخذه لك ؟ فقال : أجيدي يا أماه فأني أريد أن أدعو إخوانًا لي . . فأجادت وأعدت من الطعام ما تعلم أنه يشتهيه . . فإذا هو آخذ مقعده عند مدخل الدار لا يمر سائل إلا أدخله ثم قدم له ما أعدته أمه له من طعام وتقول له أمه العجوز وقد آلمها أن تراه لا يكاد يطعم إلا القديد بعد أن يفتته بالماء : يا أبا سليمان أما تشتهى الخبز ؟ فيجيبها : بين مضغ الخبز وشرب الفتيت قراءة خمسين آية ! .

* * *





❶ الحصاد الجيبي :

يا أختنا . . يا أخانا : ضع بجيبك يوميًا ما تجعله للصدقة وإن قل وكل يد امتدت إليك فلا تردها وأسوق لك الحكاية من البداية مع **أحمد بن طولون :** كان ذا مال كثير وكان كثير الصدقة وكان راتبه شهرياً ألف دينار سوى ما يطرأ عليه من نذر أو صلة وسوى ما يطبخ في دار الصدقة وكان الموكل بصدقته **سليم الخادم فقال له سليم :** أيها الأمير إني أطوف القبائل وأدق الأبواب لصدقاتك وإن اليد تمد إلى وفيها الحناء وربما فيها الخاتم الذهب أفأعطى أم أرد ؟! فأطرق قليلاً ثم قال : **كل يد امتدت إليك فلا تردها** » فاجتهد حسبما تستطيع أن تعطيها لمن يستحقها . . **وهذه وصيتي لك** . . لذا أخذت هذا الخط المميز . .

❷ صندوق الصدقة :

قد يتعثر على البعض التصدق يومياً لأسباب أو لأخرى وهاهي فكرة . . أن تصنع صندوقاً صغيراً في منزلك وتكتب على صدره « **ما نقص مال من صدقة** » . . وتسقط به كل يوم ما تستطيعه أنت وأصدقائك وأهل بيتك وأولادك وفى نهاية كل يوم أو كل أسبوع التقط ما به وتصدق وناول غيرك هذه الفكرة لأن « **من دل على خير فله مثل أجر فاعله** » مسلم .

وإليك ما أرسله **كلثوم بن عمر** إلى بعض الكرماء برقعة فيها :

إذا تكرهت أن تعطى القليل ولم ... تقدر على سعة لم يظهر الجود
بث العطايا ولا تمنعك قلته ... فكل ما سد فقرًا فهو محمود

❸ وسيلة جميلة :

كانت السيدة عائشة تُعطر ما تنفقه لعلمها أنه سيكون سببًا فى دخولها الجنة فضلاً عن أنها توضع فى يد الله قبل أن تنزل يد الفقير فما أجمل أن نقلد هذا الصنيع ويدخل بؤرة اهتماماتنا ونتغلب على شح أنفسنا ولو مرة فى العمر . .

طرفة :

ذهب أحد الفقراء لأحد الحكماء فقال له : أين الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ؟! . . فرد عليه : ذهبوا مع الذين لا يسألون الناس إلحافاً !! . .



1 ظل النجاة :

تحفة نفيسة من هدايا الحبيب ﷺ « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله .. أحدهم : تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما أنفقت يمينه** » متفق عليه . . سبحان الله . .

يا قليل البضاعة : ﴿ **يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُم بِسُكَارَىٰ ..** ﴾ [الحج: 2] تستظل من حر شمس دانية . . بصدقة !! . . ويثلج صدرك النبى ﷺ : « **كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس** » صحيح . . والذى نفسك بيده لو كان هذا الفضل وفقط لكفي . . **ولابن الجوزى** رؤية خاصة « المال إذا وصل إلى الكرام عابر سبيل وإكرام عابر السبيل تجهيزه للرحيل ؛ جسم البخيل كله يعرق إلا اليد كفة مكفوفة ما ينفق منها خرزة » . . وفهم الموضوع **الفضيل بن عياض** فكتب « يحملون أزوادنا إلى الآخرة بغير أجرة حتى يضعوها فى الميزان بين يدى الله تعالى » . . فشكراً أيها الفقراء . .

يا أخانا : تفكر فيما قرأت عساك تدرك ما نريد . .

2 عودة البركة الغائبة:

قال ﷺ « **إن صدقة المسلم تزيد في العمر وتمنع ميتة السوء ويذهب الله بها الكبر والفخر** » الطبراني . . أليست البركات فى الطريق ؟ واعلم . . أنك إن لم تنفق وإن كثر مالك فلن تجد فيه بركة وكثر ترديد «**لا بركة في المال** » هذه الأيام . . أليس كذلك؟ . . لطغيان عشق المال على النفوس وضيق الصدور بإخراج ولو القليل مع اللهث خلف المال أنى كانت سبل التحصيل وبخس حق الله فيه وكما قالت الحكمة «كل شىء فى يد الإنسان أصبح لا يخرج منها إلا بثمن ومقدار» . . ولذا حين سئل سليل بيت النبوة **الحسن البصري** « أي الأخلاق أفضل ؟ فقال : الجود والصدق » وكان **دائماً** يردد متحسراً : أدركت أقواماً ما كان أحدهم بديناره ولا بدرهمه أحق به من أخيه المسلم فما بالكم معشر الناس تبخلون على ما به تؤاخذون وعليه تحاسبون ما لم يشكر الإنسان الخالق الذي أنعم عليه بالنعمة كانت هذه النعمة معرضة للزوال» . . ولا تنسى وعد ربك ﴿ **وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ** ﴾ [سبأ: 39].

❸ **وسيلة شكر**

يقول شهيد القرآن الهدف من الصدقة « أنها تهادي وتزكية وتطهير لنفس المعطى واستجاشه لمشاعر الإنسانية وارتباطه بأخيه الفقير في الله وتذكير له بنعمة الله عليه وعهده معه في هذه النعمة أن يأكل منها في غير سرف ولا مخيلة وأن ينفق في سبيل الله » . . ويراجع فكرك الإمام الغزالي أنها « تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك والطهارة بقدر البذل وبقدر الفرح بإخراجها واستبشاره بصرفها إلى الله تعالى وأنها شكر النعمة . . فإن لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله ويؤدي شكر الله فيها » وقال مجاهد في قوله : ﴿ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا ﴾ [النحل: 83] . . «أي يعرفون ما عدد الله عليهم من نعمه وينكرونها بقولهم أنهم ورثوها عن آبائهم أو اكتسبوها بأفعالهم» . . وكان الحسن يردد : « ما أنعم على عبده نعمة إلا وعليه فيها تباعه (أي واجبه نحو شكرها)» . . ولا تنس وصية ربك ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ⑨ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ ⑩ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: 9 -11].

❹ **طريق البر الرئيسي..**

يقول تعالى : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران: 92] . . فاعلم بأنك لم ولن تنتسب لتلك الفئة إلا بمداومة إنفاقك لأن للعقد شروطاً وحين عُرضت صفقة البر على أبي طلحة فنفذ فوراً وكان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً وأحب أمواله إليه بيرحاء (حديقة كبيرة) وكانت مستقبلة المسجد وكان النبي ﷺ يدخلها ويشرب من مائها . . قال راوى الحديث أنس فلما نزلت هذه الآية ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . . قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال « يا رسول الله إن الله تبارك وتعالى يقول : ﴿ لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ وإن أحب أموالي إلى بيرحاء وإنها صدقة لله أرجو بها زخرها عند الله » صحيح . . هذا توقيعه . . فأين توقيعك؟ وهل بين أسمائهم أثر لك ؟ . .

وعلم ذلك مجاهد فقال « لا يتصدق أحدكم إلا بما يشتهيه فإن الله تبارك وتعالى يقول ﴿ يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ ﴾ [الإنسان: 8] . . أي : وهم يشتهونه » . .

فهل تبايع ربك ؟

* * *





ما مضى كان الثمرات التى يسدلها عليك إنفاقك وجودك أما إن كان جهاز استقبالك لم يلتقط الإرسال بعد . .

فدعنى أقول لك : اختبر نفسك فى :

1 حب المال :

يقول تعالى : ﴿ وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾ [الفجر : 20] وتذكر قول النبي ﷺ « **لو كان لابن أدم واد من مال لابتغى إليه ثانياً ولو كان له واديان لابتغى لهما ثالثاً ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب**» متفق عليه . . فحب المال صفة خلقت في النفس لذا جاءت التوعية الربانية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [المنافقون : 9] . . وفي الأثر « إذا مات العبد قالت الملائكة ما قدم وقال الناس ما خلف » . . واختبر حبك من هتاف نبيك ﷺ : « **إن الله كريم يحب الكرماء ؛ جواد يحب الجودة ؛ يحب معالى الأخلاق ويكره سفسافها** » صحيح . . وبين قول السلف « إن أول ما ضرب الدينار والدرهم رفعهما إبليس ثم وضعهما على جبهته ثم قبلهما وقال : من أحبكما فهو عبدي حقاً »

فليراجع كل إنسان نفسه ألا تتحول حياته لبورصة دنيوية أو حصالة ربوية ..

قال **يحى بن معاذ** : «الدرهم عقرب . . فإن لم تحسن رقيته فلا تأخذه فإنه إن لدغك قتلك سمه . . قيل : ما رقيته؟ . . قال : أخذه من حله ووضعه فى حقه . . وقال : مصيبتان للعبد فى ماله عند موته لا تسمع الخلائق بمثلها . . قيل وما هما؟ . . قال : **يؤخذ منه كله ويُسئل عنه كله** » .

* * *

2 البخل الخانق :

إياكم !

قال تعالى « **وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُم بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ** » [آل عمران : 180] وان لم ترع بأذنك لهذا التنبيه فخذ هذه «**إياكم**

والبخل فإن البخل دعا قوماً فمنعوا زكاتهم ودعاهم فقطعوا أرحامهم ودعاهم فسفكوا دماءهم » صحيح . .
ولأنه مصيبة كبيرة فمرة أخرى مع النبى ﷺ وهو يقول « **وأى دواء أدوى من البخل** » مسند أحمد . .

فقد أفلح من أجمح نفسه عن البخل ولذا حين سئل الحسن عن معناه أجاب « هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً وما أمسكه شرفاً » ورؤية خاصة **للمنفلوطى** عن السبب فأجاب « سوء الظن بالله وضعف التربية الإيمانية ولؤم النفس وخبثها وسقوط الهمة وفساد القلب » . .

وصدق والله من قال :

« **اعلم أن البخيل بالذهب مات وذهب .. أما الكريم فعاش بعد الموت بما وهب** »

يعنى البخيل بجمع ماله	وللحوادث والوارث ما يدع
كدودة القز ما تبنيه يتعبها	وغيرها بالذى تبنيه ينتفع

مثل نبوى :

يقول ﷺ : « **مثل البخيل كمثل رجلين عليهما جنتان (حلقتان) من حديد قد اضطرت أيديهما إلى تراقيهما (رقبتهما) فجعل المتصدق كلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتى تغشى أنامله وتعفو أثره وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلصت وأخذت كل حلقة بمكانها** قال الراوى : وأنا رأيت رسول الله ﷺ يقلب إصبعه في جيبه فلا رأيته يوسعها ولا تتسع » صحيح . .
ويعلق ابن تيمية : « البخل يقمع النفس ويصغرها ويهينها حتى يجد في نفسه ضيق » . .

أخبرني بالله عليك : إلى متى تضيق الخناق على نفسك ؟

* * *

3 الشح المطاع :

أعلن الحرب !

قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** ﴾ [التغابن: 16] . . فيا محبوساً عنهم في سجن الحرص اخرج يوماً من شحك لتروح عن نفسك . . فإياك وأن يبذره الشيطان بقلبك مما يرسخ أن صدقتك هذه ستجلب لك الفقر فتنسى قوله : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ** ﴾ [البقرة: 268] . . ولصعوبة الإنفاق فاقهر شيطانك ولو مرة وانظر الفارق وكى لا تقع صيداً فى شباك الحرص ينبهك أبو ذر الغفارى بصعوبة الأمر كى تنطلق بقوة وجد « ما على الأرض صدقة تخرج حتى ينهى عنه سبعين شيطاناً كلهم ينهاه عنها » . . أعلمت؟ وبلا مساومة فى التنفيذ . .

أحد المهلكات الثلاثة :

اسمع دوى التحذير « ثلاث مهلكات : هوى متبع وشح مطاع وإعجاب المرء بنفسه » . .

أما من أخذ بيد نفسه من برائنه وطفق يعالجها من مرض مزمن كهذا فيصفه **شهيد القرآن** « أن يعطي عن سعه فالله يعلم ما يوسوس في الصدور وما يهجس في الضمير والله لا يعطي المال وحده ولا يعطي المغفرة وحدها إنما يعطي بالحكمة وهي توخي القصد والاعتدال » . .

من عـــامل الله يربـــح	وكل من يصـــدق نجـا
و من عـــرف مـــا يطلب	هان عليـــه الذى يبـذل
ومـــن زرع فـى الدنيـــا	يحـصـد غـــداً فى الآخـــرة

* * *

4 العُجب المهلك :

كفى عجب . .

داء رهيب يعقب التصدق مباشرة فيتردد فى ذات نفسك « قد أديت ما عليّ » ؛ وهذا خطأ لابد من تداركه ويرشد **حجة الإسلام أبو حامد الغزالي** أن سمة من يتقى هذا الداء « أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال » وهو ما يؤكده السلف « إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل » ، وأترك لك قول **جعفر الصادق** « لا يتم المعروف إلا بثلاثة : و بتعجيله وتصغيره وستره » . .

أعلمت ؟ أم مازلت تشكو ؟..

اللهم تقبل :

وعن عائشة أنها قالت : سألت النبي ﷺ عن هذه الآية : ﴿ **وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ** ﴾ [المؤمنون: 60] قالت عائشة : الذين يشربون الخمر ويسرقون ؟ قال « **لا يا ابنه الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون أن لا يتقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات** » صحيح . .

فاغسل صدقتك بإخلاص وعطرها بابتسامه فى وجه من تعطيه وكأنه طفل حزين يتناول السعادة من قلب أمه .

5 الطمع المسموم :

السم البطىء :

قال فيلسوف « العبيد ثلاثة : عبد رق وعبد شهوة وعبد طمع » . . وقيل « لما خلق الله

آدم عليه السلام عجن بطينته ثلاثة : الحرص والطمع والحسد . . فهي تجرى في أولاده إلي يوم القيامة فالعاقل يخفيها والجاهل يبديها » . . ويهول الأمر قول على كرم الله وجهه « ما الخمر بأذهب لعقول الرجال من الطمع » . .

ولذا أنشد إسماعيل بن قطري :

حســـــبي بعلمي إن نفــع	مـــا الــذل إلا في الطمـــع
من راقـــب الله ابتـعـــــد	عن ســـؤ مـــا كـــان صنع
مـــا طار طيـــــر وارتـفع	إلا كـــمـــــا طـــار وقـــع

قال ﷺ : « يقول العبد مالي مالي وإنما ماله من ثلاث : ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو أعطى فأقنى (ادخره عند الله) وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس» مسلم . .

وقال أبو حازم: « ثلاث من كن فيه كمل عقله : من عرف نفسه . . وحفظ لسانه . . وقنع بما رزقه الله عز وجل» .

وقال بعضهم: «لو قيل للطمع من أبوك؟ . . قال : الشك فى المقدور، ولو قيل له: ماحرفتك؟ . . قال: اكتساب الذل. . ولو قيل له: ما غايتك؟ . . قال الحرمان» .

مزلق لسوء الخاتمة :

وفى « المستطرف» قال أبو الحسن الراندسى : جاء رجل بعجيبة فقال : مرضت حماتي فقالت لي : أريد أن تشترى لي خبيصًا فاشتريت لها وكانت ملقاة في صفة ونحن في أخرى فجاءني ولدى الصغير وقال : يا سيدي إنها تبلع الذهب فقمت وإذ بها تجعل الدينار في شيء من الخبيص فتبلعه فأمسكت يدها وزجرتها عن هذا فقالت: أنا أخاف أن تتزوج على بنتي فقلت : ما أفعل فقالت :إحلف لي . . فحلفت فأعطتني باقي الذهب ثم ماتت فدفنتها وبعد أشهر مات لنا طفل فحملناه إلي قبرها وأخذت معي خرقه خام وقلت للحفار اجمع لي عظام تلك العجوز بها فجئت بها إلى البيت وتركتها في حانة وصببت عليها الماء وحركتها فأخرجت ثمانين دينارًا أو نحوه كانت قد ابتلعتها . . ليتأكد لنا حكمة على بن أبى طالب :

« الدينار والدرهم سهما إبليس المسمومان » . .

6 المـنّ والأذى :

سلب القبـــول

يقول تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأَذَى ﴾ [البقرة: 264] . .

الصدقة وسيلتك لدخول الجنة فلا تبطلها لتحذير **سفيان** « من منّ فسدت صدقته ؛ فقيل له : كيف المن ؟ قال : أن يذكره ويتحدث به » . . لذا فكتمان الصدقة مطلوب ليتفضل الله بالقبول ويشترط **الشعبي** « **من لم ير نفسه إلى ثواب الصدقة أحوج من الفقير إلى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه** » أي : الصدقة التي يتبعها الأذى لا ضرورة لها إذ الوظيفة الأولى للصدقة تهذيب النفوس وتأليف القلوب وأن الله غني عن الصدقة المؤذية .

أحسن وإلا فلا . .

وأذكرك بقوله ﴿ **قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ** ﴾ [البقرة: 264] وحين تدرك فلابد أن تعلن شعارك ﴿ **إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا** ﴾ [الإنسان: 9] . . أي كلمة طيبة تضمد جراح القلوب وتتزين بالرضى والبشاشة خير من صدقة تزيد من عمق الجرح وتذل بها غيرك . . ويوضح لك **الفضيل بن عياض** « من المعروف أن ترى المنة لأخيك عليك إذا أخذ منك شيئا لأنه لولا أخذه منك ما حصل لك الثواب ، وأيضا فإنه خصك بالسؤال ورجا فيك الخير دون غيرك » . .

* * *

7 جمع المال :

يقول **صاحب أدب الدنيا والدين** : «موقف الإنسان من جمع المال :

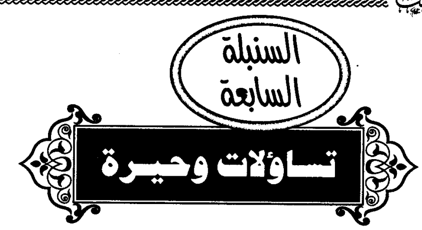
أ- منازعة الشهوات التى لا تنال إلا بزيادة المال وكثرة المادة فإذا نازعته الشهوة طلب من المال ما يوصله إليها وليس للشهوات حد متناه . .

ب- أن يطلب الزيادة ويلتمس الكثرة ليصرفها فى وجوه الخير ويتقرب بها فى جهات البر ويصنع بها المعروف ويغيث بها الملهوف .

ج- أن يطلب الزيادة ويقتنى الأموال ليدخرها لولده ويخلفها لورثته مع شدة ضيقه على نفسه وكفه عن صرف ذلك فى حقه إشفاقاً عليهم من كدح الطلب وسوء المنقلب فهذا شقى بجمعها مأخوذ بوزرها وهذا من سوء ظنه بخالقه أنه لا يرزقهم إلا من جهته . .

د- أن يجمع المال ويطلب به المكاثرة استحلاءاً لجمعه وشغفاً به وهذا أسوأ الناس حالاً فيه وأشدهم حرماناً له ومذام الله له : « **وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ** ﴾ [التوبة: 34] » . . **فلأيهم تنتمى ؟**

* وكى تتضح الرؤية أكثر فاسمع **سفيان الثورى**: «المال فى زماننا هذا سلاح المؤمنين» . . أي فى الخير والزود عن الإسلام .



• سر صدقة السر

قال تعالى : ﴿ إن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: 271] . .

يقص لنا أبو حامد الغزالي عن سر المبالغة في صدقة السر « اجتهدوا (الصحابة والتابعين) أن لا يعرف القابض المعطى فكان بعضهم يلقيه فى يد أعمى وبعضهم يلقيه فى يد الفقير وفى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى وبعضهم كان يصره فى ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بألا يفشيه كل ذلك توصلاً إلى إطفاء غضب الرب واحترازاً من الرياء والسمعة » . .

• بين السر والعلانية

أخي حبيب رسول الله ﷺ : لا تحتار بين صدقة السر والعلن ومع أن صدقة السر أفضل إذ لا يشوبها رياء أو مدح ولكن لا مانع من صدقة العلن إذا طلبت منك ولا شيء إن كانت من قبيل تعليم من يراك بضرورة الصدقة والانضمام لفئة ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: 274] .

تحثنا على مداومة الإنفاق سراً وعلانية . . وكذا الإنفاق في السراء والضراء ﴿ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ ﴾ [آل عمران: 134] وتكملة لها ﴿ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ فعلينا بالإحسان كل الإحسان . . التواضع كل التواضع . .

• صدقة مقبولة ..

قال ﷺ : « قال رجل : لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد سارق !! فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على سارق .. فقال : اللهم لك الحمد .. لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها فى يد زانية ،فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على زانية .. فقال : اللهم لك الحمد

لأتصدقن بصدقة فخرج بصدقته فوضعها في يد غني فأصبحوا يتحدثون : تصدق الليلة على غني .. فقال : اللهم لك الحمد على سارق وعلى زانية وعلى غني فأتى (في المنام) فقيل له : أما صدقتك على السارق فلعله أن يستعف عن سرقته وأما الزانية فلعلها تستعف عن زناها وأما الغني فلعله يعتبر فينفق مما آتاه الله » البخاري ومسلم . .

فاعتبروا يا أولي الأبصار . .

* * *

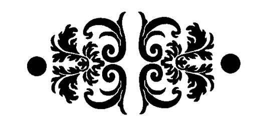
نفائس الكلمات :

قال الحسن البصري « ابن آدم أنت أسير في الدنيا رضيت من لذتها بما ينقضي ومن نعيمها بما يمضي ومن ملكها بما ينفد فلا تجمع الأوزار لنفسك ولأهلك الأموال ، فإذا مت حملت الأوزار إلى قبرك وتركت الأموال إلى أهلك » .

وأخذ أبو العتاهية هذا المعنى وأنشد :

أبقيت مالك ميراثاً لوارثه	فليت شعري ما أبقى لك المالُ
القوم بعدك في حال تسرهُمُ	فكيف بَعْدهم دارت بك الحَالُ
ملوا البكاء فما يبكيك من أحدٍ	واستحكم القيل في الميراث أثقالُ

* * *






★ ترشيد واستثمار

أحب أن ألفت الأنظار باختصار إلى « مراعاة الأولويات فى وجوه الإنفاق وأن تتسع آفاقنا للمجالات غير التقليدية . . إن أكثر المنفقين لا يرون الخير إلا فى بناء المساجد وشراء المصاحف مع كثرتهم ولكن . . أين هم من الإنفاق فى سبيل الله وإعزاز الإسلام وصد هجمات أعدائنا فى الداخل والخارج ؟ أليس من وجوه الخير المساهمة فى نشر الكتاب والشريط الإسلامي لتوعية للمسلمين فى وقت يسود فيه الجهل والغفلة ؟ أليس أولى من إعطاء الفقير صدقة وقتية أن نقيم مشروعات اقتصادية يكون لها أكثر من فائدة ؟ وإذا أراد أن يكرر الحج والعمرة فهل علم أن توجيه هذه الأموال بعد حج الفريضة إلى إنقاذ المسلمين من براثن الفقر وذل التبعية وإلحاح التنصير أولى وأنفع ؟ » راجع بدائل الحج والعمرة .

* * *

★ من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا

جرعة شافية

يقول النبي ﷺ : « **من أرسل نفقة في سبيل الله وأقام في بيته فله بكل درهم سبعمائة درهم ومن غزا بنفسه في سبيل الله وأنفق في وجهه فله بكل درهم سبعمائة ألف ثم تلا هذه الآية والله يضاعف لمن يشاء** » ابن ماجه . .

يا إخوة : إذا رغبتم فى اقتناص مثل ثواب المجاهد في سبيل الله فنفذوا « **من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزا ومن خلف غازياً فى سبيل الله فى أهله بخير فقد غزا** » متفق عليه . . جاهز !!

استفهام . .

من وحى القلم « أيجوع إخوانكم أيها المسلمون وتشبعون ؟! إن هذا الشبع ذنب يعاقب الله عليه . . كان أسلافكم أيها المسلمون يفتحون الممالك فافتحوا أنتم أيديكم . . كل قرش يبذله المسلم لفلسطين يتكلم يوم الحساب **أنا إيمان فلان . . أنا إيمان فلان** » . .

والإمام ابن تيمية « قدم الإنفاق فى الجهاد على الإنفاق على الفقراء والجياع ولو مات الفقراء جوعًا لأن الفقراء لو ماتوا هنا - ولن يحدث - فيموتون بيد الله أما المجاهدون الذى نتخلى عنهم فيموتون بيد الأعداء» . . كما لا ننكر ما للمقاطعة من دور فعال وأنها إعذار منك أمام الله . .

ألا تحب أن تكون خطوة فى عودة عز أمتنا الحبيبة ؟

* * *

★ وللفقير عليك حق

أعيرونى عقولكم :

ماذا لو لم يطلب الله منا الصدقة ؟ كنا في حالة مادية واحدة وما تصنف منا غني أو فقير . . ولما علم **الحسن البصرى** هذا المعنى قال « لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ؛ ولو شاء لجعلكم فقراء لا غنى فيكم ولكن ابتلى بعضكم ببعض لينظر كيف تعملون ثم دل عباده على مكارم الأخلاق فقال سبحانه ﴿ **وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ** ﴾ [الحشر: 9] . .

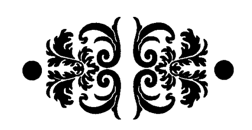
علامة تعجب !!

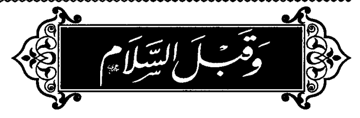
استخلصها ساحر البيان **مصطفى صادق الرافعى** « ويحك ! لم تبتئس ؟! الغنى يريد أن يجعل حظوظ الناس جميعًا حظًا واحدًا ليختص نفسه بهذا الحظ !! وأنت تريد أن تختص بحظ الغنى !! فماذا تركتما لله !! يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء » . .

يا سادة يا كرام : لا تجعلوا لسان حالكم « **لن تبيد هذه أبدا** » بل ﴿ **مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ** ﴾ [الكهف: 39] . .

وبصوت حنون من ربك « **أنفق أنفق عليك** » متفق عليه .

* * *





أيا جامعًا لغيره وما كنز وإذ بملك الموت قد برز وسهام الوارث فى ماله ترتقب وتنتظر . . فكم من حريص قد جمع ماله وجمعه قبره وكتب عليه **ما أخر خسر وما قدم ربح** . . فافتح يدك ﴿ **فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠** ﴾ [الليل: 5-10]

فيا للحرص من صفقة غبن . . أتقنع بخسائس الحشائش ورياض الجنان بين يديك . . فبادر قبل نقلتك من الجود إلى العدم

وترحم عليك **سلمان الفارسي** « إذا مات السخي قالت الأرض والحفظة : يا رب تجاوز عن عبدك في الدنيا بسخائه . . وإذا مات **البخيل** قالت : اللهم احجب هذا العبد عن الجنة كما حجب عباده عما جعلت في يديه من الدنيا » .

ومعادلة موزونة من أبي الدرداء : « حساب ذي الدرهمين أشد حساباً من ذي الدرهم » .

* * *





وصفة سحرية

أتى رجل إلى شيخ عالم قائلا له : إنى أشتاق أن أرى النبى ﷺ فى المنام فبماذا تنصحنى ؟! فقال له الشيخ : اشترى سمك واجعله وجبة عشاءك ولا تشرب بعده الماء . .

فقال الرجل : أهذه هى الوسيلة ؟!

فطوح الشيخ رأسه : نعم نعم . . وأخذ الرجل بنصيحته وتعشى بالسمك ولم يشرب بعده الماء حتى داعبت عينه النعاس وراقت فى النوم . .

وعندما أصبح الرجل ذهب للشيخ مسرعا والقلق يساومه قائلا : لقد فعلت ما أوصيتنى به ؟ فقال الشيخ : وماذا رأيت ؟

فرد الرجل : رأيتنى أشرب ماءا كثيرا وكلما ذهبت إلى مكان شربت الماء وكنت أسبح فى أنهار من الماء وحلمى كله ماء فى ماء . .

ولكنى : لم أرى النبى ؟! . .

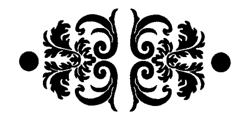
فضحك الشيخ قائلا : وكيف لك أن تراه ؟! لو تعلقت به وتفكرت أمره كما تعلقت بالماء وتفكرت فيه وسعيت خلفه لرأيته ؟!

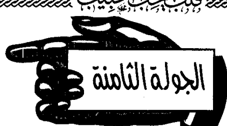
ودهش الرجل مقتنعا بكلام الشيخ . .

أنت مدعو الليلة على حفلة عشاء ..

وباختصار « عشاءنا سمك » ..

وتصبحوا على خير !!







﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ [آل عمران: 15]

لبيك رسول الله من كان باكيا ... فلا تنس قبرا بالمدينة ثاويا

جزى الله عنا كل خير محمد ... فقد كان مهديا وقد كان هاديا

إذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى ... تقلب عريانا وإن كان كاسيا

وخير خصال المرء طاعة ربه ... ولا خير فيمن كان لله عاصيا

ضربة البداية

- إلى من عرفه فاحبه.. وسمعه فاطاعه
- إلى من يهيم قلبه شوقا لمرافقته.. وولهت نفسه لشفاعته
- إلى من صاح لسان الشوق فى قلبه، نظرة من محمد أحب إلى من الدنيا وما فيها
- إليك يا حبيب القلوب. يا صفوة آدم وحلم ابراهيم وجمال يوسف وصبر أيوب وهيبة سليمان ونسيج يونس وزهد عيسى

تعالوا نوقد شموع المحبة ونسامر حبيبنا فى الجنة

وفى يدك الآن الدعوة الناعمة.. هلا قبلت؟!

شريف

نداء المحبة

يا من قد ضاع قلبه أنشده معنا عسى أن تجده . . يا من مرض قلبه احمله إلى نبيك لعله يعافى . . اطرحه فى حب الحبيب ليبزغ له ميلاد جديد . . نزه فؤادك بسماع كلامنا وارتع فى رياضنا مجلسنا بستان فى روضه النبى العدنان طعامنا فيه الجوع وشرابنا فيه الدموع وقلت لك هذا الكلام ليكون مسموع فمن شرب من كأس حبه لم يكن للمعصية من قلبه نصيب للرجوع ووصل به إلى الله كل مقطوع . . ولكن . . يا خيبة سعيى إن وصل التابع وانقطع المتبوع . . صلوا عليه وسلموا تسليما . .

ولى عندك سؤال : **أحقًا تحب النبى؟! وهل حبك مظهر أم جوهر؟!! وهل هو راض عنك؟!**

وأنت لما وُلِـدْتَ أشْــَـرقت وأضَــــاءت بنورك الأفُـــــقْ

فَنحنُ فى ذلك الضَّــيــاء وفى النور وســبل الرشــاد تخــتَــرقْ

فى أمس الحاجة

فى زمننا هذا وقد اختلت الموازين واضمحلت المؤشرات الإيمانية وتاهت القدوة واختلطت المفاهيم وتبدلت القلوب أحجار وصارت الأرواح أموات فانقلب الدواء داء وصار الطبيب مريضًا ولا علاج . . فيحتار العقل وتتداخل الغايات وتشتت أهداف الحياة . . فنأتى لنقرع أبواب الحبيب ﷺ لا لمصمصة الشفاه ولا لاستخراج آهات الإعجاب ولا لإطلاق صافرات الانبهار . . لتنبثق هذه الكلمات كما تأتى الشمس فتنفى كل ظلمة وتنتشل البشرية من حياة الأبدان لحياة القلوب وتصرخ **«صحصوا ما اعترى أنفسكم من غلط الحياة وتخريف الإنسانية وزيف الشهوات»** .

فترشد ظلمات العقل وتهدى تية الروح وتذبح ملالة النفس . . فنحن فى أمس الحاجة لهذا الحب . . لذا فاقرأ بتركيز وتذكر أنك تتسلى مع حبيب القلوب ﷺ فتتعلم ومن ثم تعمل ثم يترنح الثواب وتهب رائحة الجنة . . فهو مثل أعلى يحتذيه كل مسلم وعلى تقادم العهد إلا أنه جديد يوحى لكل فئة بما يبعثها لقبلة الخير ويسوقها إلى ميدان الخلود . .

أزكى صَـلاة مع سَـالم عَـــاطِرْ يَنْمُــو به يوم الحـصَـاد حَـصَـادىْ

«اللهم صلى عليه وعلى آله عدد الرمال والذرات وعدد الحصى والتراب وعدد النجوم والمجرات وعدد الأحياء والأموات . . اللهم صلى عليه وعلى آله عدد أوراق الأشجار وعدد قطرات الأمطار اللهم صلى عليه عدد حسنات المسلمين وعدد سيئات الكافرين وصلى عليه عدد من يصلى عليه وعدد من لا يصلى عليه وكما يحب وينبغى أن يصلى عليه » آمين آمين .

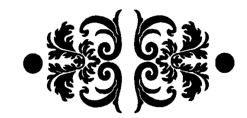
همسة :

يقول صاحب نزهة المجالس : «محمد أربعة أحرف . . (الميم الأولى) ميم المنة كأن الله تعالى يقول : آمن على أمتك بعتقهم من النار . . (الحاء) من المحبة اجعل محبتى فى قلوب أمتك (الميم الثانية) ميم المغفرة أغفر لأمتك ، (الدال) دوام الدين لا ينزع منهم دين الإسلام» .

تعالوا بنا نتخطى أسوار الزمن حتى نصل إلى عتبة باب حبيب القلوب..

ومضة نبوية

يقول ﷺ : **«من صلى على واحدة صلى الله عليه عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ، ورفعت له عشر درجات»** صحيح .





قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: 24].

واعجباً لسكارى من شراب الحب عربدت عليهم ملامح المحبة وشارات الاشتياق.. ولله درهم ذابت أفئدتهم حبا لله ولرسوله يشتاقون إليهم وهم إليهم أشوق.

وقبل الحب تنبيه هام:

يقول ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه وماله وولده ووالده والناس أجمعين**» البخارى ومسلم.. اقرأ الحديث مرات أخرى واعرضه على قلبك..

إليك قوائم العشاق.. عساك تتخذ بينهم مكاناً..

(1) أبو بكر الرفيق والحبيب:

يقول أبو بكر: كنا فى الهجرة وأنا عطش عطش (عطشان جدًا).. فجئت بمذقة لبن فناولتها للرسول وقلت له: اشرب يا رسول الله؛ ويعاود أبو بكر الكلام هامسًا: فشرب النبى حتى ارتويت!!!!

(2) الفاروق عمر:

كان يمشى مع النبى ﷺ ومعهم بعض أصحابه فأخذ رسول الله بيد **عمر** فوجد نفسه تقول: والله يا رسول الله إن أحبك!!.. (لمسة حانية رقيقة تفعل به هكذا).. فقال له النبى ﷺ «**أكثر من ولدك ثم من أهلك ثم من مالك يا عمر؟!**» فقال: نعم.. حتى قال: أكثر من نفسك يا عمر؟! قلت: لا.. فقال النبى: «**لا يا عمر لا يكمل إيمانك حتى أكون أحب إليك من نفسك**» يقول **عمر**: فخرجت ففكرت ثم عدت أهتف بها: والله يا رسول الله لأنت أحب إليَّ من نفسى فقال النبى: «**الآن يا عمر الآن يا عمر**» البخارى.. أى لم يكمل إيمانك يا عمر إلا الآن!!.

وفى مؤتمر صحفى عقده ابنه **عبد الله** عن سبب ذلك فجرى على لسانه هذه الكلمات «ماذا فعلت يا أبى لتعود بها؟! فقال **عمر**: يا بنى خرجت سألت نفسى من أحتاج يوم القيامة أكثر نفسى أم رسول الله؟!.. فوجدت حاجتى إليه أكثر من حاجتى إلى نفسى وتذكرت كيف كنت فى الضلال وأنقذنى الله به».. وبعد.. هل كمل إيمانك بعد؟!

3 ثوبـــان:

تغيب النبى ﷺ طوال اليوم عن **ثوبان** خادمه.. وحينما عاد ﷺ أسرع إليه هاتفًا: **أوحشتنى يا رسول الله** وبكى.. فقال له النبى: «أهذا ما يبكيك؟!».. فرد: لا يا رسول الله ولكن تذكرت مكانك فى الجنة ومكانى فذكرت الوحشة.. فقال له النبى ﷺ: «**يا ثوبان المرء يحشر مع من أحب**» صحيح. ويلاحقك سليل بيت النبوة **الحسن البصرى** مفهمًا إياك: «لا يغرنك قول المرء مع من أحب فإنك لن تلحق الأبرار إلا بعمل أعمالهم فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم»

ارفع يدك واخفض رأسك وقل: اللهم لا تحرمنا مرافقة النبى فى الجنة.. آمين.. آمين.

4 وللجذع حكاية غريبة:

النبى ﷺ كان يخطب ويقف على جذع.. ولما صُنع المنبر وارتقاه سمع الصحابة للجذع أنينًا لفراق النبى!!.. فهدأ النبى من روعه ومسح عليه بيده الشريفة مطيبًا خاطره «**ألا ترضى أن تدفن هاهنا وتكون معى فى الجنة!!**» رواه ابن ماجه.. فسكن الجذع.. وهل أنت أخى أقل من الجذع؟!!.. الجمادات تحن من ألم فراقه فكيف بقلوب المؤمنين؟!.. ويعاتبك **الحسن** «الجذع يحن إلى رسول الله شوقًا إلى لقائه فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه»!!

ابن الفـــاروق:

كان **عبد الله بن عمر** فى سفر بين مكة والمدينة وكان يميل بعنق راحلته لليمين واليسار وعندما سُئل عن ذلك قال: لعل خفًا يقع على خف» (أى لعل خف ناقة النبى ﷺ فى هجرته كانت هنا فوقع عليه خف ناقته)!!.. ومن شابه أباه!!

وقال **ابن عمر**: «لما فَرَض عُمر **لأسامة بن زيد** ثلاثة آلاف وفرض لى ألفين وخمسمائة قلت له: يا أبت لم تفرض **لأسامة بن زيد** ثلاثة آلاف وتفرض لى ألفين وخمسمائة والله ما شهد **أسامة** مشهدًا غبت عنه ولا شهد أبوه مشهدًا غاب عنه أبى، فقال: صدقت يا بنى، ولكنى أشهد لأبوه كان أحبّ الناس إلى رسول الله ﷺ من أبيك ولهو أحب إلى رسول الله ﷺ منك».

6 زيد بن الدثنة:

رأى الموت بعينيه . . وجاءه **أبو سفيان** وكان على الكفر . . ووجه له سؤالاً به من الخبث والدهاء الكثير : أتحب لو أن **محمداً** مكانك وأنت آمن بين أهلك؟ (وتتوقعوا ماذا عن الرد؟!) . . فوسط هذا العذاب والآلام كانت سفن المحبة راسية فى ميناء القلب . . فرد عليه «ليس هذا يا أبا سفيان والله لا أحب أنى آمن فى أهلى ومالى ومحمد ﷺ يشاك شوكة واحدة!!! فقال أبو سفيان : ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا كحب أصحاب محمد محمدًا» فمن مثلك يا زيد؟!

7 رجـل محب:

عن **عائشة** رضى الله عنها قالت : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال يا رسول الله : إنك لأحب إلى من نفسى وإنك لأحب إلى من ولدى وإنى لأكون فى البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتى فأنظر إليك ؛ وإذا ذكرت موتك عرفت إنك دخلت الجنة رُفعت مع النبيين وإنى إذا دخلت خشيت أن لا أراك فأنزل الله تعالى : ﴿**وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا**﴾ [النساء : 69] رجال الصحيح .

وأنشد **شهاب الدين الخفاجى** :

وَحَقُّ المصْطَفى لىْ فِيْـهِ حُبٌّ ... إذَا مَـرِضَ الرَّجَـاء يَكُونُ طبًّـاً

وَلا أرْضَىْ سِوَى الفِرْدَوْسُ مَأوىْ ... إذَا كَانَ الفَتَىْ مَـعَ مَنْ أحَبَّـا

8 امــرأة:

أخبرت باستشهاد أربعة **(أبيها وأخيها وزوجها وابنها)** فلم تبالى وذهبت تسأل : ما فُعل برسول الله؟!! فقالوا : بخير قالت : أرونيه حتى أنظر إليه ؛ فلما رأته قالت : **الحمد لله . . فيك عوض كل ما فات!!** . . عشقها للحبيب أنساها القريب والبعيد . . وها هى ضحت وقدمت فداء لنبيها ودينها . . وأنت؟! . . فكر ولو قليلاً .

9 صاحب الراحة بلال بن رباح:

بلغ منتهاه من الحب إذ سمع امرأته عند موته تقول : وا كرباه . . فألغى فكرتها بقوله : وا طرباه . . غدًا ألقى الأحبة محمدًا وحزبه . .

10 الإمــام مالك:

كان يقرأ فى كتابه الموطأ متناولاً شرح أحاديث الرسول ﷺ فيلدغه عقرب ثلاث عشرة

مرة فلا يقطع الحديث فيقول له الناس: رأينا وجهك قد تغير أكثر من مرة.. فيرد قائلاً: لدغتني عقرب وأنا أقرأ الحديث.. فقالوا له: فلِمَ لم تقطع الحديث؟! قال: **«عجبًا لكم.. أقطع حديث الحبيب من أجل نفسي!!»**.

11 سعيد بن المسيب:

إمام الحديث وهو في سكرات الموت يسأل عن حديث للرسول ﷺ فيقول أجلسوني؛ فيقولون له: أنت مريض.. فيقول معاتبًا: أجلسوني.. كيف أسأل عن كلام الحبيب وأنا مضطجع؟! لابد أن أجلس توقيرًا له ﷺ!!

12 مع أنس بن مالك:

«لقد رأيت رسول الله والحلاق يحلقه وقد أطاف به أصحابه فلما يريدون أن تقع شعره إلا في يد رجل» مسلم.

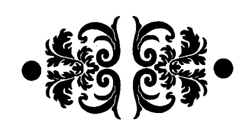
لله درهم.. كانت قلوبهم بالحبيب متعلقة وأنوارهم بالعبادة متألقة يغسلون بالبكاء ذنوب الصحائف.. يفزعون إلى الدعاء إذا مسهم طائف وأحوالهم عجاب وأمورهم طرائف.. كم بينك وبينهم؟!!.. **اصح يا نايم.**

وبعـــد..

إنها والله أحاسيس وليست كلمات.. أُخل بقلبك وعطر روحك وقل هكذا أحبوه فتعلم.. وإن لم يكن فأعد النظر.. وإلا فمتى؟!!

ومضة نبوية

قال ﷺ: **«البخيل الذى من ذكرت عنده فلم يصل عليّ»** صحيح.





الروضة الثانية

الطريق إلى حب الحبيب

الآن.. إلى رحاب الحب..

1- تعرف عليه واقرأ سيرته:

تعرف على بطاقته الشخصية وحياته . . فاقرأ سيرته وتأثر بحالة وطالع قوائم المحبين وجوار ذلك احفظ بعض أحاديثه وأقلها التجوال فى كتاب رياض الصالحين وكن أكثر الناس معرفة به . . ويخبرك **سعد بن معاذ** «إنا لنروى لأبنائنا مغازى النبى كما نحفظهم السورة من القرآن» . . وأرشح لك **«فقه السيرة»** و **«الرحيق المختوم»** و**«السيرة النبوية . . دروس وعبر»** و**«هذا الحبيب يا مُحب»** .

2- إقتدى به وبأصحابه :

نحن بحاجة إلى مصباح نستضىء بشعاعه ونتبين بهداه . . فكانت وصيته ﷺ **«عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين»** صحيح . . واسمع **ابن مسعود** «من كان متأسيًا فليتأسى بأصحاب رسول الله فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلها تكلفة وأقومها هديًا وأحسن حالاً» . . واسمع **عمرو بن العاص** «وما كان أحد أحب إلىّ من رسول الله ﷺ ولا أجلّ فى عينى منه وما كنت أطيق أن أملأ عينى منه إجلالاً له ولو سئلت أن أصفه ما أطقت ، لأنى لم أكن أملأ عينى منه» . . وقد صرح ﷺ : **«الله الله فى أصحابى لا تتخذوهم غرضًا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه»** حسن غريب .

ويتعجب **أحمد حسن الزيات** صاحب وحى الرسالة «وليس من خذلان الله لنشئنا الجدد أن يلوكوا جاهدين أسماء فلان وفلان ممن رأى رأيًا أو أنشأ قصيدة أو ألف كتابًا (أو فنانًا أو لاعب كرة) ثم يتركوا اسم **محمد** ﷺ الذى جمع العرب من شتات وأيقظ العالم من سبات وأقام للسماء دينًا فى الأرض وأسس للأرض دنيا فى السماء» .

3- صلى عليه دوما:

يقول ﷺ : «**من صلى عليَّ حين يصبح عشراً وحين يمسى عشراً أدركته شفاعتى يوم القيامة**» حسن . . كثرة الصلاة عليه ومعايشة القلب لها هو عنوان الحب . . لقوله ﷺ : «**إن لله ملائكة سياحين فى الأرض يبلغونى من أمتى السلام**» صحيح . . وتيقظ أكثر «**ما من أحد يسلم عليَّ إلا رد الله على رَوحى حتى أرد عليه السلام**» حسن . . اللهم صلى وبارك عليك يا حبيبى يا رسول الله . . وأكثر من ذلك لتنال الضمان «**أولى الناس بى يوم القيامة أكثرهم على صلاة**» صحيح . . وخذها درع أمان قبل أن ينطبق عليك قوله ﷺ : « **من نسى الصلاة عليَّ خطأ طريق الجنة** » صحيح .

أكثروا من الصلاة على النبى الكريم فإن الصلاة تغفر الذنب العظيم وتهدى إلى الصراط المستقيم وتقى قائلها عذاب الجحيم ويحظى فى الجنة بالنعيم المقيم . .

4- انهل من فيض عاطفته ومحبته:

عن **عبد الله بن عمر** أن النبى تلا قوله فى **إبراهيم** ﴿ **رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي** ﴾ [إبراهيم: 36] . . وقال **عيسى**: ﴿ **إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [المائدة: 118] فرفع الحبيب يديه وقال : اللهم أمتى أمتى . . فقال الله عز وجل : يا جبريل اذهب إلى **محمد** وربك أعلم فسله ما يبكيك؟! **فأتاه جبريل** عليه السلام **فأخبره** رسول الله بما قال وهو أعلم فقال الله تعالى : **يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له : إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك**» مسلم . . كذلك «**إنى فرطكم (سبقتكم) على الحوض وإنى مكاثر بكم الأمم . . فلا تسودوا وجهى؟؟!!**» صحيح .

يا الله . . إلى كم يحبنا ويأن لحالنا فهل بعد ذلك نسود وجهه . . رأى عجيب!!

بعد أن عُرج بالنبى ﷺ سأله رب العزة : **يا محمد أبقى لك شىء؟! قال : نعم ربى** . . فقال سبحانه وتعالى : سل تُعط . . فقال : **أمتى أمتى** . . **وفى بعض كتب التفسير عند قوله** تعالى : ﴿**وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ**﴾ [الضحى: 5] أنه لمَّا نزلت عليه هذه الآية قال : «اللهم لا أرضى يوم القيامة وواحد من أمتى فى النار» **انظر إلى كم يحبك؟!** .

5- اعلم مدى اشتياقه لك:

قال ﷺ : «**متى ألقى أحبابى؟! فقال أصحابه** : بأبينا أنت وأمنا أولسنا أحبابك؟! . فقال : «**أنتم أصحابى أما أحبابى فهم قوم لم يرونى وآمنوا بى وأنا إليهم بالأشواق لأكثر**» صحيح . . أخى : يشتاق إليك فهل تبادله الشوق؟!

وفى الشمائل المحمدية «لقد أرسل لنا سلامه «بلّغوا السلام عنى من آمن بى إلى يوم القيامة» سلّم علينا قبل أن نكون شيئًا مذكورًا وعرفنا قبل أن نعرفه» . .

فكيف إخوتاه لا نكافىء هذا الحب بحب؟!!

وبشرنا جميعاً قال ﷺ : «**لكل نبى دعوة مستجابة فتعجل كل نبى دعوته وإنى اختبأت دعوتى شفاعة لأمتى يوم القيامة**» صحيح .

6- تذكر شفاعته:

اصغ لهذا الحديث جيدًا «**يقول : أنا فرطكم على الحوض من ورد شرب ومن شرب لم يظمأ بعده وليردن على أقوام أعرفهم ويعرفوننى ثم يحال بينى وبينهم . . فيقال : إنك لا تدرى ما عملوا بعدك ، فأقول . . سحقا سحقا**» .

أخبرنى بالله عليك : هل أنت فى غناء عن شفاعته؟! . . وانظر يوم هم بارزون لا يخفى على الله منهم شىء . . وتتلطم بين الأنبياء ولا مجيب والحال عنده هلموات إلى . . **أنا لها** . . **أنا لها** . . فيُشفع ويُدخل أمته الجنة حتى ما بقى فى النار إلا من حبسه القرآن . . والله ما فاز سوى الزاهدين ولا نال الربح غير العابدين . . يا قليل البضاعة بل يا مفلس ترجو النجاة بالمعاصى . . كيف كيف شئت فإنك تجنى ما تغرس . . والكل أعلم بسياسة حاله؟!!

7- دعاء ومعايشة:

● **تردد بعد الأذان** «**اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت سيدنا محمد الوسيلة والفضيلة وابعثه الله المقام المحمود الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد**» ؛ لبشراه «**فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له شفاعتى**» صحيح . . وصاك بهذا نبيك . . فنفذ ولا تجادل . .

● **التشهد الأخير** : إنك تصلى على النبى كل صلاة بل واسمع الشيخ **محمد الغزالى** «إننا نحى ربنا ونتوجه إلى الرسول باللام بصيغة المخاطب الحاضر وكأن الكلام لشخص قريب منا . . السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته» .

يا أحباب رسول الله : إن السلام أفرغ فى تلك الصيغة ليكون النبى حيًا فى ضمير كل مؤمن . . وهل تؤخذ الأسوة الواجبة إلا من هذا الاستحضار الدائم؟! . . فهل تشعر به كما يشعر هو بك؟!

أحْمَدُ المصْطَفى سِرَاجٌ مُنِيرٌ   خَاتَم الرُسُل صَادقُ الأنْبِيَاء
خُصَّ بالحَوْضِ والشَّفَاعةِ فى   الحشْرِ لكُلِّ الوَرَى وَرَفْعُ اللواءِ

وَالمقَامُ المحمُودُ والسَّبقُ للناس دُخُول الجنَّة في الفَيْحَاء
ثُمَّ يُعْطى وَسِيْلة وَهِيَ أعْلَىْ دَرَجَات الجنان دَار البَقَاء
فَعَلَيْه الصَّلاةُ فِيْ كُلِّ وَقْتٍ وَزَمَانٌ يَبْقى عَلىْ الآنَاء

8- أكثر الدعاء وزر مسجده:

ألح أن يرزقك الله حبه وحب نبيه وكان من دعائه ﷺ «**اللهم إنى أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقربنى إلى حبك**» . . وإلى من يستطيع حج البيت أو أداء عمره فليزر مسجده وقبره فهى روح أخرى.

يَا حَادِيًا يَحْدُوْ لخيْرِ الوَرَىْ هَيَّجت فِيْ قَلبِيْ مِنَ الشَّوق نَارُ
مَتَى أعْزِمُ السَّيْر إلىْ مَنْ بِهِ تُمْحىَ الخطَايا وَتُقِلُّ العثَارُ

واعتذر آخر:

يَا حَبِيبَ القُلُوب يَا خَيْر ذُخرِ ضَاقَ مِنْ أجل إعَاقَتى عَنْكَ صَدْرِىْ
عَوَّقتنِىْ الأعْذَارُ عَنْكَ فَيا مَنْ هُوَ قَصْدِىْ عَسَاك تَقْبَلُ عُذْرِىْ

9- توهم:

توهم نفسك وهو يأخذك لتشرب من يده الشريفة شربة لا ظمأ بعدها وتوهم حالك وأنت بين أحضانه وتسامره فى الجنة وتحكى له عن **سليط** و**نعيمان** وتذهب معه لزيارة **أبى بكر** وأمير المؤمنين **عمر** و . . و . . . ؛ ؛ **أليست هذه وسيلة تعظم حبه فى القلوب؟!** . . وأتركك تحلم بذلك . . ومن شدة تعلق **أنس بن مالك** فاسمع منه «ما من ليلة إلا وأنا أرى فيها حبيبى» . . (يرى النبى فى المنام) ثم يخوض فى البكاء شوقًا إليه . . وقال أنس: «ما مسستُ ديباجة ولا حريراً ألين من كَفِّ رسول الله ﷺ» . . أما تشتاق أن تتأكد وتذق طعم هذا اللين؟!

جاء رجلاً أتى النبى ﷺ فقال: «متى الساعة يا رسول الله؟! قال: «**ما أعددت لها؟!**» قالت ما أعددت لها من كثير صلاة ولا صوم ولا صدقة ولكنى أحب الله ورسوله . . قال: «**أنت مع من أحببت**» البخارى ومسلم.

فهل من ثواب أرجى من أن يحشر المرء مع من احب...

خاصة إذا كان المحبوب هو المصطفى!!

10- أصحابك .. أصحابك

ويقص عليك بشر الحافى «رأيت رسول الله فى المنام فقال: يا بشر أتدرى بما رفعك الله من بين أقرانك قلت: لا يا رسول الله . . قال: بخدمتك الصالحين ونصحيتك لإخوانك ومحبتك لأصحابك وأهل سنتى وإتباعك لسنتى» . . ولا تنس وصيته «لا تصاحب إلا مؤمنًا» . . إذ كيف ترافق النبى فى الجنة وحولك رفقة سوء؟!!

وكان أحمد بن حرب يقول «ليس شىء أنفع لقلب العبد من مجالسة الصالحين والنظر إلى أفعالهم وليس شىء أضر على القلب من مخالطة الفاسقين والنظر إلى أفعالهم».

11- وسيلة عجيبة:

ألا فاسمع توضأ وانهض بصلاة ركعتين واستحضر نية حب النبى . . وأكثر فيهم الدعاء وحين سأل ربيعة بن كعب النبى أن يرافقه فى الجنة فأرشده وإياك «أعنى على نفسك بكثرة السجود» صحيح . . فكن كثير السجود . .



أفيكم عازم على الصلح؟! أمنكم محب يضج من الهجر؟! أفيكم ذووجد قلق من القطع؟! العمر أنفاس تسير بل تطير والأمل منام لا ترى فيه أحلام . . فأصلح قلبك بحب نبيك وإذا أردت التحقق من حبه فراجع هذه الكلمات «أشدّ أمتى لى حباً قوم يكونون من بعدى يود أحدهم أنه فقد أهله وماله وأنه رآنى» حسن .

* * *



الروضة الثالثة
علامات المحبة

أثر المطر حياة النبات . . وأثر الإيمان الثبات على الخيرات وأثر الإسلام إقامة الصلاة وأداء الزكاة والقيام بالواجبات . . وأثر القرآن حب المناجاة وإيثار الخلوات . . وأثر التوفيق فعل الطاعات وترك السيئات . . وأثر الرسول إيثار أمره وإتباع سنته في جميع الحالات . .
قال الحسن: «زعم قوم أنهم يحبون الله فابتلاهم بهذه الآية: ﴿ **قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ** ﴾ [آل عمران: 31] . . إذا كان حبك صادقًا فاختبر نفسك.

1- مظهرك

يا أخانا: مظهرك جميلاً مهندمًا كما كان ﷺ فتهتم بشعرك وتصفيفه لقوله ﷺ: «من كان له شعر فليكرمه» حسن . . وكان عند بابه كوة (قدر) من ماء ينظر فيها (كالمرآة) قبل أن يخرج من بيته . . ورائحتك لابد أن تكون عطرة فقد كان ﷺ يُعرف من رائحته . . وكن وقورًا فى مشيك فقد كان ﷺ إذا مشى مشى مجتمعًا ليس فيه كسل . . وخذ بالك من أسنانك والسواك له دور . .

وأنت أختاه: **إذا كان حبك صادقًا فتلتزمى نصحه وتلبى أمره فيصير حالك هو هو حال** زوجاته وبناته فالحجاب هو زينتك وجمالك وعدم كشف العورة وستر البدن مبدؤك لتصريحه ﷺ **«صنفان من أهل النار لم أرهما (منهم) . . نساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة (كناية عن كشف الشعر) لا يدخلن الجنة . . ولا يجدن ريحها»** مسلم . . ولا تتعطرى عند الخروج لقوله ﷺ: **«أيما امرأة استعطرت فمرت على قوم فوجدوا من ريحها فهى زانية»** . والحياء عنوان لك فى مشيتك لأن **«الحياء والإيمان قرناء جميعًا فإذا رفع أحدهما رفع الآخر»** لأنهما وجهان لعملة واحدة .

2- كلامك

كان ﷺ يُعرض عن القبيح ويُكَنِّى الأمور المستقبحة فى العُرف إذا اضطره الكلام إلى ذكرها . . فانظر إلى لسانك فيما يتكلم . . إما يتغنى بالآيات وإما يردد التفاهات . . إما مصان وإما فاحش بذئ . . فاعلم أنه **«لا يستقيم إيمان المرء حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»** صحيح . . فقد تفشت الألفاظ القبيحة وصارت المناداة بين الشباب بالأب

والأم وكأن كأس الأخلاق أريق على السب واللعنات . . وذبحت الفضيلة بسكين الغيبة والنميمة والاستهزاء . . وهذا ما نبه إليه الحبيب ﷺ «**إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوى بها في النار سبعين خريفًا (سنة)**» صحيح . . فكلمة واحدة تكفى لحطب جهنم . . فكن صادقًا دومًا ولو على نفسك . .

فابدأ جولات التصحيح وخاصة وقت الغضب واسمع **أنس**: «والله لقد خدمته ﷺ تسع سنين ما علمته قال لشيء صنعتُه : لمَ فعلتَ كذا وكذا؟! ولا عاب عليّ شيئًا قط وما قال لي أف قط» . . فكم من مرة قلت لوَالديك أف ونامت الأم تبكي والأب يتقطع كبده على سوء معاملة أولاده له؟! .

3- خلقــك

وضع لك الشرط ﷺ «**إن أحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا**» صحيح . . فهل حقًا تضع النبي مقياسًا لخلقك . . ومنهجًا لسمتك؟! وتعال معي واسمع **السيدة عائشة** وهي تصف : كان خلقه القرآن . .

ويعلق المبدع **محمد الغزالي** «فكأن الرسالة التي خطت مجراها في تاريخ الحياة وبذل صاحبها جهدًا كبيرًا في مد شعاعها وجمع الناس حولها لا تنشد أكثر من تدعيم فضائلهم وإنارة آفاق الكمال أمام أعينهم حتى يسعوا إليها على بصيرة» . . ولذا كان من دعاء النبي ﷺ : «**اللهم اهدني لأحسن الأخلاق لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت**» صحيح .

فهل ستكون هذا الهمام الذي يصدح دعوني أجدد من خلقي؟! وأحسن من معاملتي مع أهلي وأصدقائي وجيراني؟!

4- طاعته واتباعه

* يوضح **الإمام الترمذي** « إن من أحب شيئًا آثر موافقته وإلا لم يكن صادقًا في حُبه وكان مُدعيًا فالصادق في حب النبي ﷺ من تظهر علامة ذلك عليه وأولها : الإقتداء به واستعمال سنته وإتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، والتأدب بآدابه في عُسره ويُسره ومنشطه ومكرهه وشاهد هذا قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: 31] وإيثار ما شرعه والحض عليه وتقديمه على هوى نفسه وموافقة شهوته» .

* يشرح ﷺ «**كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى**» . . **قالوا : ومن يأبى يا رسول الله؟! قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**» . صحيح . واسمع صيحته : «**ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه ! فوالله إني لأعلمهم الله وأشدهم له خشية**» متفق عليه .

* ويطبق الكلام بحذافيره عبد الله بن رواحة حيث مر ذات يوم والنبى يخطب فسمعه يقول: اجلس. فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ النبى ﷺ من خطبته وحين علم بذلك قال له: «**زادك الله حرصًا على طواعية الله وطواعية رسوله**» صحيح.. ونصح **أنس بن مالك** «يا بُنى من أحيا سنتنى فقد أحبنى ومن أحبنى كان معى فى الجنة».

أى محافظة على الصلوات وتلاوة الآيات والتزين بالحجاب ومخالفة كلام الأعداء.. وترفع عن المعاصى والشهوات.. **تكن معه فى الجنة.**

ومضة نبوية:

قال ﷺ: «**رأيت رجلاً من أمتى يزحف على الصراط ويحبو أحيانًا فجاءته صلاته علىَّ فأقامته على قدميه وأنقذته**» حسن جداً.

5- مع العبادة والثواب

* «**فإذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه**» هكذا أخبرتنا أمنا **عائشة**.. فكم من مرة أغضبت النبى من تهاونك فى الصلاة؟! ومن تولى وجهك عن قبلة المسجد؟! وتحكى أيضا: استيقظت ليلة من الليالى فبحثت عن الرسول ﷺ فوقعت يدى على رجله وهو ساجد يبكى ويقول: «**اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وبفضلك عمن سواك وبك منك لا أحصى ثناءا عليك أنت كما أثنيت على نفسك**» صحيح.. وقال خادمه «كنت اجلس إلى بابه فلا يزال يسبح حتى أمل وتغلبنى عيناى».. **فما حال العبادة عندك؟!**

* يوم فتح الله له **مكة** وانحدرت جحافل قريش الطاغية الباغية التى نصبت له فخ العداء نحو عشرين سنة دخل على راحلته وهو القائد المنتصر ولكن أتدرون ما حاله؟!.. دخل وهو مطأطأ الرأس خضوعًا وشكرًا لله سبحانه..

* كان ﷺ يأتى ضعفاء المسلمين ويزورهم ويعود مرضاهم ويشهد جنائزهم وكان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويجيب دعوة العبد كما كان يدعى إلى خبز الشعير فيجيب.. وهذا حال المؤمن دائمًا.

* ويضرب النبى المثل كما فى كل مرة يوم **بدر** كان كل ثلاثة يتبادلون على بعير وكان **أبو لبابة وعلى بن أبى طالب** زميلى رسول الله ﷺ فقالا له: نحن نمشى عنك ولتظل راكبًا وهم شباب!!.. فقال: «**ما أنتما بأقوى منى على المشى ولا أنا بأغنىٰ عن الأجر منكما**» صحيح.. وهو ما يذكرنا بيوم الهجرة حين دفع **لأبى بكر** ما يعادل تجهيز راحلته للهجرة.. فيعلمنا أن فرص الثواب أنى أتت فالمؤمن أولى الناس بها.

فهل نتنافس فى الخير كذلك؟! وإلى كم ذا النعاس؟!!

أيها المسلمون . . متى يقدم الإنسان لنفسه ما لم يقدم طيلة ما مضى؟! متى يُصل من لم يُصل هذه الأيام؟! متى يقرأ القرآن من لم يقرأه فى حياته؟! إذا دفن الإنسان فلن يصلى عنه أحد ولن يصوم عنه أحد ولن يذكر عنه أحد . .

6- مع دعوته

* حين قصد **الطائف** ورفضوا دعوته وقذفه الصبية والرعاع بالحجارة وأصيب الرسول ﷺ فى قدمه . . وهكذا السفهاء دائمًا فى إيذاء حملة الخير . . سالت الدماء فلجأوا لبستان **عتبة وشيبة ابنى ربيعة** . . ثم رفع أكف الضراعة «اللهم إنى أشكو ضعف قوتى . . » وبعثا بغلامهم (**عداس**) بقطف عنب للنبى ودار بينهما حوار لطيف انتهى بإسلام **عداس**!!

يا أرباب القلوب الضائعة : أوسط هذا العذاب والدماء يمارس النبى دعوته وأنت وسط هذه الراحة كم آية بلغت؟! وكم شاب دخل المسجد على يديك؟! . .

وأنت أختاه . . كم من فتاة أحبت الالتزام من سلوكك؟! . . وهكذا المسلم يكابد التعب والمشقة فى سبيل نصرة الدين والدعوة والتهام الحسنات أنى كانت مع فن اكتسابها .

* يقول ﷺ : «**بلغوا عنى ولو آية**» صحيح . ويعلق **المعافى النهروانى** «ولو آية . . آية واحدة ليسارع كل سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآى (الآيات) ولو قل» . . وقال ﷺ : «**نضر الله رجلاً سمع منى مقالتى فوعاها فأداها كما سمعها . . فرب مبلغ أوعى من سامع**» صحيح . . وحين رأى **عمر بن الخطاب** الدعة والكسل قرأ ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران: 110] ثم قال : «من سره أن يكون من هذه الأمة فليؤد شرط الله فيها ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله ﴿**كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ**﴾ [المائدة: 79] .

* بلغ عن حبيبك ولو آية وافتح الحوار مع من تجلس معهم عن النبى ﷺ وتجولوا فى سيرته العطرة . . وأهمس فى أذنك : **هات فى سيرة نبيك** . . وخذ بيد غيرك وليكن شعارك «**أصلح نفسك وادع غيرك**» . . وهو من أشار «**لأن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها**» . . فلما الانتظار؟! والحركة مكسب والوقوف خسارة!! .

ومضة نبوية

يقول ﷺ : «**من صلى علىَّ فى اليوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده فى الجنة**» الطبرانى والحاكم وابن عبد البر

7- مع الناس والجيران

* كان رسول الله ﷺ فى سفر مع جماعة فلما حان موعد الطعام عزموا على إعداد

شاه يأكلونها فقال أحدهم : عليّ ذبحها وقال الآخر عليّ سلخها والثالث عليّ طبخها فقال الرسول ﷺ وأنا عليّ جمع الحطب» فقالوا يا رسول الله نحن نكفيك العمل فقال : «علمت أنكم تكفوننى ولكننى أكره أن أتميز عليكم وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه مميزًا بين أصحابه ! ! » .

* انظر رجاءه ﷺ : « **اللهم أحينى مسكينًا وأمتنى مسكينًا واحشرنى فى زمرة المساكين**» ابن ماجة والحاكم . . وليس هذا طلبًا للفقر بل للرحمة والتواضع . . فهو من قال : «**اللهم إنى** أعوذ بك من الكفر والفقر ! ! » ونصيحته «**إن أردت أن يلين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم**» المنذرى وأحمد .

وكان **عمر بن عبد العزيز** «**يخدم الضيوف بنفسه ويقوم يصلح المصباح فإذا قيل له فى ذلك؟! يقول : قمت وأنا عمر وجلست وأنا عمر**» .

اعف عن ذى الذلة واغفر لصاحب الخطيئة وأغث الملهوف وساعد الضعيف وأطعم الجائع واكسو العار وداوى المريض وواسى الحزين وأوصيك بجارك كما قال **القاضى عياض** «أن من التزم شرائع الإسلام لزمه إكرام الضيف والجار . . وقد قال ﷺ « **ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**» وقوله تعالى : ﴿ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء : 36] .

ومضة نبوية :

عندما سأل أبى بن كعب النبى أن يجعل له صلاته (دعاءه) كلها؟! . . فبشره الحبيب «**إذًا يكفى الله همك ويغفر لك ذنبك**» صحيح .

8- مع الجهاد والتضحية

يقول ﷺ : «**والذى نفسى بيده لوددت أنى أقتل فى سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل**» صحيح . . فقد لقى العناء وضحى بالكثير وأقلها يوم أحد فقد كسرت رباعيته ودخلت حلقات المغفرة بوجهه فعالجها **أبو عبادة** بفمه فما خلصت حتى سقطت معها ثناياه وتدفق الدم بغزارة من جراحه وكلما سُكب الماء ازداد دفقًا فما استمسك حتى أُحرقت قطعة من حصير فألصقت به» صحيح .

* حين قال النبى ﷺ لأصحابه : قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض . . ففهم عمير بن الحمام الأنصارى المعادلة فأخرج تمرات وجعل يأكل منها فناشدته الجنة فهتف لسان

الشوق: لئن أنا حييت حتى آكل تمراتى هذه إنها لحياة طويلة؟!! فألقى التمرات ثم قتل شهيدًا وكأنه أنشد:

تَهُــونُ الحَـيَــاةَ وَكُلٌّ يَهُــونْ ... وَلَكـنَّ إسْـلامنا لا يَهُـــونْ

نُضَــحِّى لهُ بالعَـــزِيْزِ الكَرِيْم ... وَمِنْ أجْلِه نَسْــتَـحِبُ المنُوْن

يا سادة: كم أخرتنا التمرات والأموال والشهوات والمناصب؟! وكم ألهتنا تدابير الدنيا على استراحة العقل فأخطأ طريق الرشاد؟! وكم وكم؟! أما أن العبرة؟! أما حانت اليقظة؟! أما جاءت الهمة؟! الجد الجد فما تحتمل الطريق فتور.

أما سحرك الإمتيازات «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له فى أول دفعه، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويضع على رأسه تاج الوقار الياقوته فيه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج باثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع فى سبعين من أقربائه**» الترمذى وابن ماجه.

يقول الأستاذ عمر التلمسانى: «لا تستهينوا بأنفسكم ولا تقعدكم قوة أعدائكم والحياة حركة والتوقف موت والتراخى فوات وما بعد اليوم من مستعتب وما بعد التحفز إلا الجنة وما بعد عدم المبالاة إلا النار فتخيروا لأنفسكم أحد المصيرين» ﴿ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: 31] » . . فتابع حال المسلمين باهتمام وخاصة **فلسطين والعراق** وشاركهم الدعاء والتبرع والمقاطعة كى تقر عين نبيك فى قبره.

أنظرتم ما كان يتحمله كى يصلنا الإسلام على طبق من ذهب؟ فأين دورك؟!

أحبائى: علينا أن نعد العتاد الإيمانى والذهنى والبدنى ونتجرد من متعلقات تثقل الراحلة وتجر إلى الفرار.. وا أسفى لمنقطع دون الركب متأخر عن لحاق الصحب بعد الساعات فى متى.. ولعل.. وعسى.. وهل؟!!

ويحك: أما بدت سواعد الجد فهم صدقوا ما عاهدوا.. وأنت؟!!

9- زوجتــك وأولادك

* تقول السيدة عائشة سمعت أصوات أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء فقال لى رسول الله ﷺ: «**أتحبين أن ترى لعبهم؟! قالت فقلت: نعم فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله ﷺ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر وجعل رسول الله ﷺ يقول: «حسبك» قلت: لاتعجل مرتين؛ ثم قال: يا عائشة «حسبك» فقلت: نعم فأشار إليهم فانصرفوا**» صحيح.

* عند موت خديجة نزل جبريل عليه السلام وأخبر النبى « أخبر خديجة أن الله راض عنها فهل خديجة راضية عن الله؟! وبشرها بقصر من قصب فى الجنة لا تعب فيه ولا نصب» . . فعلل السبب بن كثير «أنها (خديجة) لم ترفع صوتها على زوجها (النبى) قط . . فنالت تلك البشرى!!» . . فأبشرى أختاه . .

* قال ﷺ : «خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى» . . فشارك زوجتك واجتمع معها وتذكروا أول لحظات حياتكم وأهدى لها هدية وأنت أختاه كذلك . . واتفقوا اليوم على عبادة تؤديانها معًا يوميًا أو أسبوعيًا . . لتروا زهرة الحب بينكم .

* والأولاد لهم حق . . عن أبى هريرة قال : «قبل رسول الله ﷺ الحسن بن على وعنده الأقرع بن حابس التيمى فقال الأقرع: إن لى عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدًا فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال : «من لا يَرحَم لا يُرحم» متفق عليه . . رغم التعب وهموم الدعوة لا ينسيه العطف والرحمة أنى اكتظت اللحظات وتزاحمت الظروف والأوقات . . وهى برقية للآباء والأمهات خاصة . . ولكل من رضى به رسولاً . . فتربيتهم على القرآن والأخلاق دوركم .

10- مع المزاح.. مواقف وطرائف

كان النبى ﷺ ذو نفس طيبة تحب الدعابة البريئة ومتبسمة للنكات اللطيفة وتعالوا نبتسم مع النبى :

* عن عبد الله بن الحارث قال : ما رأيت أحدًا أكثر تبسمًا من الرسول ﷺ وكان لا يُحدِّث إلا تبسم وكان ضحك أصحابه عنده التبسم من غير صوت اقتداء به وتوقيرًا له . . وإذا جرى به الضحك وضع يده على فمه . . وكان ﷺ من أضحك الناس وأطيبهم نفسًا» وكان لا يمزح إلا صدقًا . .

* كان من الصحابة من يقال له نعيمان كثير المزاح حلو الفكاهة وكان يمازح رسول الله ﷺ ومن مزحه أنه كان لا يدخل المدينة إلا اشترى هدية وأهداها للنبى فإذا جاء صاحبها يطالب نعيمان بثمنها جاء به إلى النبى فيقول : يا رسول الله : أعط هذا ثمن متاعه فيقول ﷺ : «أو لم تهده لى»؟! فيقول : يا رسول الله إنه والله لم يكن عندى ثمنه ولقد أحببت أن تأكله . . فيبتسم ويأمر لصاحبه بثمنه . !!» (رواه الزبير بن بكار فى الفكاهة) .

* ومن أروح الفكاهات « أن أبا بكر خرج قبل وفاة النبى ﷺ بعام ومعه نعيمان وسليط ابن حرملة وكان سليط موكلاً بالطعام فقال له نعيمان : أطعمنى ؛ فقال : لا أطعمك حتى يأتى أبو بكر فقال نعيمان : لأغيظنك . . فمر عليهم قوم فقام نعيمان وقال لهم : أتشترون منى عبدًا لى؟! قالوا : نعم . . قال : فإنه عبد له كلام وسيقول لكم : لست عبد أنا ابن عمه فإن كان إذا قال لكم هذا تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا علىّ عبدى ؛ قالوا : لا بل نشترى ولا

ننظر فى قوله فاشتروه منه بعشر قائص (النوق الشابة) ثم جاءوا ليأخذوا **سليطًا** على أنه هو العبد الذى باعه لهم **نعيمان** فامتنع **سليط** من الذهاب معهم فوضعوا فى عنقه عمامه وشدوه بها فقال لهم: إنه يتهزأ ولست بعبده فقالوا له: قد أخبرنا خبرك ولم يسمعوا كلامه ثم ساقوه معهم بالقوة فجاء **أبو بكر** فلما علم بالخبر اتبع القوم وأخبرهم أن **نعيمان** يمزح ورد عليهم القلائص وأخذ **سليطاً** منهم فلما قدموا على النبى ﷺ أخبروه الخبر فضحك من ذلك هو والصحابة حولاً كاملاً». (رواه أحمد والزبير فى الفكاهة).

* حين سُئل بن عمر: هل كان أصحاب النبى ﷺ يضحكون؟! قال: «نعم والإيمان فى قلوبهم أعظم من الجبال».

يا هذا: إذا رأيت نفسك متخيلة لا مع المحبين ولا مع التائبين فابسط رماد الأسف وأرسل مع بريد الصعداء.. اللهم لا تحرمنا حب خاتم الأنبياء ولا صحابته الأتقياء.. آمين.. آمين.. فكن بشوشًا مبتسمًا صادقًا..

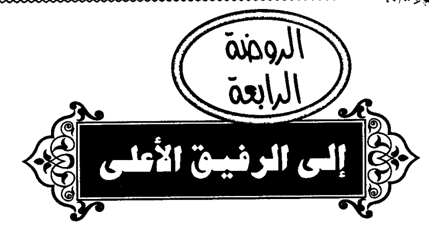
وبعـــــد..

إذا حرمت الأرض المطر فنفعها قليل؛ قلب حرم الإيمان فموته طويل؛ قلب لا يحب الحبيب ﷺ فهو قلب عليل؛ لسان لا يقرأ القرآن فهو كليل؛ مذنب لا تلحقه شفاعة المصطفى فهو حقير ذليل.. فإذا رأيت أرضًا ميتة فاعلم أن الله تعالى لم يرسل إليها رحمته؛ وإذا رأيت قلبًا غافلاً عن النية والإحسان فاعلم أنه لم يصل إليه آثار الإيمان، وإذا رأيت بدنًا تهاون فى أداء المكتوبة فاعلم أن آثار الإسلام عنه محجوبة، وإذا رأيت حامل القرآن مصرًا على العصيان فاعلم أنه من أهل الحرمان والخذلان يلعنه فى قلبه نور القرآن، وإذا رأيت عبدًا مصروفًا عن الهداية والمحبة مفرطًا فى الوفا.. فقل له: **فأين بركة اتباع المصطفى؟!**

ومضة نبوية:

يقول ﷺ: **«من صلى علىّ صلاة لم تزل الملائكة تصلى عليه ما صلى علىّ.. فليقلّ عبد من ذلك أو يكثر»** صحيح.





استحضر قلبك وعقلك واستدع روحك وخذ لنفسك واقرأ بعين دمعك

علامات التوديع:

حين نزلت على النبى ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: 3] وصل هاتفيًا للنبى أنه سيعادر الدنيا . . وكانت مشاعر التوديع تبرق أطيافها فى مرآة كل قلب مسلم . . شعر بوعكة المرض والصداع الحاد واتقدت حرارة العلة وكان يمسح وجهه بالماء قائلا : «**اللهم أعنى على سكرات الموت**» فكيف الحال معنا؟! . . ومع شدة المرض لم يخمد نور ذهنه للاطمئنان على الدعوة!! . . فعندما اصطف الناس فجر الإثنين أطل برأسه فوجد الصفوف منتظمة فقرت عينه . . فكيف لو رأى حالنا؟!!! . ودخل عليه رجل يحمل سواكًا فعرفت **عائشة** أنه يريد فأخذته وألنته بفمها حتى كانت تقول : جمع الله ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا . . (رسالة للمتزوجين . . فليتعلموا) . . رأى النبى ﷺ ابنته **فاطمة** فرحب بها وأقعدها عن يمينه . . ولم ينسيه المرض الترحيب بابنته . . ثم شخص بصره قائلاً : «بل الرفيق الأعلى من الجنة» . . وكانت أول من لحق به . .

ومات الحبيب:

وتسرب الخبر وشعروا بظلام سود آفاق المدينة . . وزلزلت الأرض زلزالها وكأن عقولهم تأذن بالذهاب . . والكل فى **دهشة لا يصدق** . . فلم يصدق **عمر** ومن نطق بالخبر كانت رأسه فوق سيفه . . وحين بلغ **أبو بكر** الخبر هرول لبيت النبى وقبله مراراً وهو يصرخ بأبى أنت وأمى وكل المصائب تهون بعد تلك . . ولما دُفن قالت **عائشة** : كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله؟ . . **يا قلوب كيف أنت والعيون؟!!**

وانتهت حياة أشرف خلق الله . . لقد استطاع تغيير الأرض من غير أن تتبدل الأرض غير الأرض . . وبعد كل هذا **من أنت** حتى تتجاهل النبى ﷺ فى سلوكك وتتعمد مخالفته بتكاسلك؟!

فيا من هجرته طيلة حياتك أما آن الوقت؟! يا ناكراً جميلة أما حان الود؟!

إلى من يهمه الأمر:

أتطمع فى البقاء بعد موت سيد المرسلين؟! أما لك عبرة فيمن فرضتهم الشهور والدهور فى الماضى من السنين؟! . . أما لك فكرة فيمن صُرع قبلك من الأنام من شيخ وكهل وشاب وطفل وجنين؟! أما اعتبرت بمن قبرت من صديق وشقيق وخليل وقرين؟! إلى متى تلتفت إلى العلائق كأنك ما أنت من الموت على يقين؟! بالله عليك اقبل نصحى قبل أن يعرق منك الجبين ويشتد نزعك والأنين وتبكى عليك العيون ويبقى كل امرىء بما كسب رهين . .

وإلى من لا يهمهم الأمر:

يا أنتم. . شُوقتم فما رغبتم، وخُوفتم فما رهبتم، وأيقظكم الموت بمن أخذ قبلكم فما انتهيتم، ووعظكم القرآن فما اتعظتم، كأنكم بمنادى الرحيل يناديكم: انتبهوا يا نيام فقد طُلبتم. . أما كان لكم فى موت المصطفى عبرة؟! أما أيقظكم فقده من هذه السكرة؟! أما جالت لكم فى قرب آجالكم فكرة؟! وقد قال صاحب المعجزة: «**إن للموت لسكرات**» أما أبكاكم توجع **فاطمة البتول** حين كانت تقول لأبيها الرسول: واكربى لكربك يا أبتاه! . . فأين أرباب العقول؟!

كلام له معنى

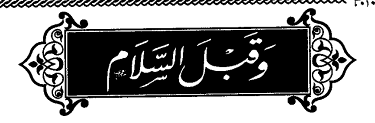
يا حبيب رسول الله: هكذا لم يبتلعه طوفان الحياة التى ولد بكيانها ولكنه وثب كالأسد يبدد كل تلك المفاهيم ويعيد صياغة تلك المعايير . . وهكذا أحبتى إذا أراد الله بعبده أن يوجهه لدعوة الخير والصلاح ألقى فى قلبه كره ما عليه مجتمعه من ضلال وفساد فهل ستكون لنا نحن حياة غير الحياة التى يحياها الناس ونستعين برب الناس؟! ولِمَ لا؟!

فكر قليلاً وستجد الكلام مقنعاً . .

ومضة نبوية:

قال ﷺ: «**إنى لقيت جبريل فبشرنى . . وقال: ربك يقول: من صلى عليك صليت عليه ومن سلم عليك سلمت عليه فسجدت لله شكراً**» صحيح.





هذه القدوة.. فمن المقتدى؟

قال ابن الجوزى: «من تأمل حاله ﷺ رأى كاملاً من الخلق يعطى كل ذى حق حقه فتارة يمزح وتارة يضحك ويداعب الأطفال ويسمع الشعر ويتكلم بالمعاريض ويحسن معاشرة النساء ويأكل ما قدر عليه وأتيح له، إن كان لذيذًا كالعسل ويستعذب له الماء ويفرش له الظل».

هكذا أحبابى كانت شخصية النبى المتكاملة فى مختلف المواقف ومتنوع الأحوال ليُبَصِّر أعيننا بأن الإسلام دين شامل فى شتى مجالات الحياة أين كانت ومهما كانت ومتى كانت

«أى: ».

ويا ترى أبعد هذا نضع النبى فى معزل عن واقع حياتنا ومعيشتنا؟!.. ومِنْ مَنْ؟!..

من أتباعه ومحبوه.. فهل هذا كلام؟!!

كن دائمًا ابن المعجزة!!

بعد أن تجولنا بروضات الحبيب وقطفنا بعض الطيب، أيذهب كل ما تعلمناه هباء؟!

يا رفاق: لابد أن نحضر وجوده فى مشاعرنا وحياتنا فحب النبى ﷺ روح سارية فى حنايا القلب وإياك والحب السلبى إذ لا صدى له فى واقع الحياة.. وها هى أعصار مرت على الرسول الكريم والقيم الرفيعة معان لم تمت.. لكن العميان كثير!!

وهل رسول الله هو الذى يصنع معه هذا الصنيع؟!! تنزه فى أخبار المحبين.. ولا تنقطع من نبيك العظيم واجعله مثلك الأعلى.. ومن يدرى؟! **لمَ لا تكن أنت هذا المنقذ الكريم الآخذ بيد هذه الأمة؟! بعد أن ضاعت وسط الركام وغطت فى أحلك ظلام؟!.**

وارع سمعك جيدًا للعلامة **أبو الحسن الندوى** «يا أصحاب القلوب المؤمنة أنتم المجتمع فى قسمات وجوهكم وضمائركم وعقولكم يرقد المستقبل الزاهر الذى نؤمله فهيئوا نفوسكم تهيئة روحية خلقية علمية إيمانية هذا هو نداء الوقت وواجب الساعة وجهاد اليوم».

ومضات بلا تعليق

* يقول أبو مسلم الخراساني: «أيظن الصحابة أن يستأثروا بمحمد دوننا؟! والله لنزاحمنهم عليه زحامًا حتى يعلموا أنهم قد خلفوا رجالاً» . . أعد ترتيب أوراقك؟!!

* يصرح الحبيب ﷺ «إن أولى الناس بى المتقون من كانوا وحيث كانوا» صحيح.

* يقول ﷺ : «حوضى مسيرة شهر وراوياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظمأ أبداً» صحيح.

* يقول أبو الأعلى المودودى «اربط نفسك بالمصطفى ﷺ فهذا هو الدين كله إذا لم تصل نفسك به فأنت وأبو لهب واحد!!».

يَا مَنْ يُجيبُ دُعَا المضْطر فى الظُّلَمِ ... يَا كَاشف الضُّر والبَلْوىْ مَعَ السَّقَمِ

شَفِّع نبيك فى ذُلِّى وَمَسْكَنَتىْ ... وَاسْتُر فَإنك ذُو فَضْل وَذُو كَرمِ

وَاغْفر ذُنُوبى وَسَامحنى بهَا كَرمًا ... تَفَضُّلاً منك يَا ذا الفَضْل والنِّعم

إنْ لمْ تُغْشنى بعَفْوك منك يا أمَلىْ ... وَاخَجلى وَاحَيَائى مِنْكَ واندَمى

وَقَد وَعَدت بأنْ نَدْعو تُجيبُ لنَا ... وَقَد دَعَوْنا فَجُدْ بالعَفْو والكَرم

* * *





* **التائبون العابدون الحامدون** كُشف لهم عن الدنيا فرأوا عيوبها وألاح لهم الأخري فتلمحوا غيوبها وبادروا شمس الحياة يخافون غروبها واشتغلوا بالطاعة فحصلوا مرغوبها وحثهم الإيمان علي الخوف . . فما يأمنون؟!

* **التائبون العابدون الحامدون** ندموا علي الذنوب وسافروا إلي المطلوب فاقتربوا وسقوا غرس الحزن بدمع الأسف، فإذا أقلقهم الحذر طاشوا وهربوا وإذا هب عليهم نسيم الرجاء عاشوا وطربوا . . فاغتنم أرباحهم واعلم نيل النصيب بالنصيب يكون ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [المؤمنون: 1] . .

* **التائبون العابدون الحامدون** نظروا إلي الدنيا بعين الاعتبار فعلموا أنها لا تصلح للقرار وتأملوا أساسها فإذا به ﴿ **عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ** ﴾ [التوبة: 109] فرفضوا بالصيام لذة الطعام بالنهار وزهدوا المنام بالقيام وحالهم ﴿ **وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**﴾ [الذاريات: 18] .

* **التائبون العابدون الحامدون** أبدانهم قلقي من الجوع، وأجفانهم قد حالفت في الليل السهر، ودموعهم تجري كالمطر، فالقوم تأهبوا إلا أنهم علي سفر عبروا لديكم وما عندكم منهم خبر، وترنم حاديهم لو أنكم تسمعون . . اللهم سر بنا في سرب هذه العصابة ووفقنا للتوبة والإنابة يا من يقول للشيء ﴿**كن فيكون**﴾ .

* يا مُختار الكون وما يعرف قدر نفسه . . أما أسجدت الملائكة بالأمس لك؟! وجعلتهم اليوم فى خدمتك لما تكبر عليك إبليس وقد عبدنى سنين طردته ﴿ **أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي**﴾ [الكهف: 50] أنا القائل قبل الوجود للملائكة﴿ **إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**﴾ [البقرة: 30] . . فهل كنت كما أريد ؟! . . وهل لك دور فى الحياة جديد؟!

* * *

إلهي. . تفضلت فعم أفضالك وأنعمت فتم نوالك وسترت فوصل غفرانك وعفوت فتكامل إحسانك جل جلالك .

إلهي. . كيف يحيط بك عقل أنت خلقته؟! أم كيف يدركك بصر أنت شققته؟! أم كيف يدنو منك فكر أنت وفقته؟! أم كيف يحصي الثناء عليك لسان أنت أنطقته؟!

إلهي. . عجبًا للقلوب كيف استأنست بسواك!! وأرواح كيف استقرت والأسرار بنور البصائر تراك، والألسن كيف شكرت من لا يقدر علي شيء لولاك، والأقدام سعت إلي غير رضاك؟!

إلهي . . كيف يناجيك في الصلوات من يعصيك في الخلوات لولا حلمك؟! أم كيف يدعوك في الحاجات من ينساك عند الشهوات لولا فضلك؟! أم كيف تنام العيون وفي كل ليلة تقول: هل من تائب؟! هل من مستغفر؟! هل من سائل؟!

إلهي . . يا حبيب كل غريب ويا أنيس كل كئيب أي منقطع إليك لم تكفه بنعمتك؟! أم أي طالب لم تلقه برحمتك؟! أم أي محب خلا بذكرك فلم تؤنسه؟! أم أي داع دعاك فلم تجبه؟!

إلهي . . كيف أرجوك وأنا أنا . . وكيف لا أرجوك وأنت أنت؟!

مَازلتُ أغرقُ في إسَاءة دائمًا	**ويكون منك العَفْو والغُفْرانُ**
لم تَنْتَقصْني إذا أسَأت وزدتني	**حتى كَان إساءتي إحْسَانُ**
تَولي الجميل على القبيحِ تكَرُّمًا	**فَاغْفُر فأنت المنعمُ المنَّانُ**

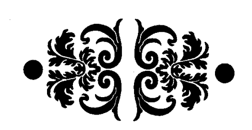
اللهم . . يا حبيب التائبين ويا سرور العابدين ويا قرة أعين العارفين ويا أنيس المنفردين ويا حرز اللاجئين ويا ظهر المنقطعين . . يا من حنت إليه قلوب الصديقين اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين . .

اللهم . . دلنا بك عليك وارحم ذلنا بين يديك . . واجعل رغبتنا فيما لديك . . ولا تحرمنا بذنوبنا ولا تطردنا بعيوبنا واغفر لنا ولوالدينا ولمن كان له حق علينا . .

اللهم . . اجعل جمعنا هذا جمعًا مرحومًا وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا ولا تجعل فينا ولا منا شقيًا ولا محرومًا . .

اللهم . . لا تدعنا نغلق تلك الصفحات إلا بذنبٍ مغفور وسعيٍ مشكور وشفاءً لما في الصدور وعمل صالح متقبل مبرور . .

آمين . . آمين . . آمين





أخي .. أختاه :

حمداً لله على وصولك بالسلامة . . فها قد شارفت ساحل النهاية وانسلخت بين يديك الورقات . . فيا ترى بعد أن تجشمت عناء القراءة وقطعت شوطاً من وقتك . . تُرى : أيذهب تعبك سدًا أو يفنى وقتك هباءًا ؟! . . فيطوى الكتاب بجوار ما سبقه من كتاب حتى يغلفهم التراب!! . . أهذا ما تود أن تتركه معى من ذكرى لك ؟! أهذا ما تحب أن تدونه الملائكة عليك أو تشرح به صدر إبليس ؟! أهذا ما تراه الأصلح مع ربك والمطلوب أمام نبيك ؟! .

فالدنيا موسم المؤمنين ومتجر الصالحين وميدان المتسابقين ولكن أهذا ملخص الحياة . . أرحام تدفع وأرض تبلع !! فما أعجبها من حياة يقول الطفل عندما أشب فأصبح غلاما . . ثم عندما أترعرع وأصبح شابًا ثم يقول عندما أتزوج ثم عندما أصبح رجلاً متفرغًا فإذا جاءته الشيخوخة تطلع إلى الرحلة التى قطعها من عمره فإذا هى تلوح ريحًا باردة اكتسحتها اكتساحًا **ذلك لأننا نتعلم بعد فوات الأوان** !! . .

وهذا ما أضحك أبو الدرداء « أضحكنى ثلاثاً : مؤمل دنيا والموت يطلبه وغافل ليس مغفولاً عنه وضاحك ملء فيه لا يدرى رضى الله عنه أم سخط عليه » . .

وأحب أن أذكرك أن كل كلمة اقتبستها عينك وتصفحها قلبك ما خرجت إلا بمداد من حب لا من حبر وساقها الله إليك عبر بريد الشوق فخاضت القفار وقطعت البلاد حتى تُسكب فى بوتقة قلبك أنت . . **وتهزك هزاً** .

أين أنت ؟! أين قلبك ؟! أين عقلك ؟! أين مكانك ؟! أين حياتك ؟! . .أأكون أحرص عليك من نفسك ؟! . .

وتمد إليك يد السلام لا إشارة بإصبع الاتهام :

أنت مرشح للعودة إلى الله .. أنت مرشح لقيادة البشرية .. أنت مرشح لصنع مجد الإسلام وأنت أعلم بحال الأمة ..

وترفع راية العتاب والانطلاق :

من يقود الأمة إلا أنت ؟! من يهدي ويدل على الخير إلا أنت ؟! من يدافع عن الإسلام ويوجه الناس إلا أنت ؟!..

فلو رأيت في الجنان أهلها يسرحون منطلقين في أغراضهم يمرحون لا يدرون بأي مطلوب يفرحون أبالنجاة من النيران ؟! أم بالخلود في الجنان ؟! أم بالخيرات الحسان ؟! أم برضى الواحد الديان ؟! فما أجملهم وبشرى الرب تظللهم « **أنا ربكم الذى صدقتكم وعدى وأتممت عليكم نعمتى فهذا محل كرامتى فاسألونى ما شئتم . . فيقولون : نسألك رضوانك . . فيقول : رضوانى أحلكم دارى وأدناكم من جوارى** » .

فأحكموا من اليوم . . صنع مركب السير فبين أيديكم سفر طويل ومفاوز عديدة . . واجعلوا صدق العزيمة وإخلاص النية بناؤه والتقوى والورع وقوده والخوف المزعج والشوق المقلق محركاته . . ولا احتياج لصُرة الذنوب فألقها فى نحر الشيطان ويكفيك دواء الصدق فهو علاج عظيم لمآسيك ودواء ناجع لأمراضك . . وما دامت الريح طيبة فاغتنم إلى الله المسير وإن جاءتك ريح عاصف فاستعن باللطيف الخبير فنعم المغيث والمستجير . .

ومهما ضاقت بك السبل أو أقعدك هم أو سيطر عليك فتور . . فلا تغط فى السبات ولكن كن خفيف النوم واعلم أنه مهما امتدت الصحراء فوراؤها رياض خضراء وإذا رأيت السحب السود فاعلم أن الغيث الهنيء فى جوانحها وإذا هالك الظلام فتيقن أن الصباح مقبل لا محالة . .

فشمس الهرم تبدد حيوية الشباب ومركب الأجل يمر مر السحاب والأعمار فانية وآخذه للذهاب . . كل ينادى : طر بجناح الجد من وكر الكسل وتجهز فقد حدا الحادى بالركاب . . والناس لا ينظرون إلى الوراء ولا يلتفتون إلى الخلف لأن الريح تتجه إلى الأمام والماء ينحدر إلى الأمام والقافلة تسير إلى الأمام فلا تخالف سنة الحياة . . بشر آمالك بمستقبل زاه وغد مشرق وفجر باه جديد . . وهنا الهتاف . . «**يا لها من وثبة إلى الجنة**»

وبعد . .

أرى الأوراق تتلاشى من أمامى والحبر يأذن بالذهاب وعقارب الساعة تصيح فى وجهى وبعد أن تجهزت المعطيات وبدت المشاهدة وارتسمت الخطوات ما بقى إلا خوض التجربة وأنتظرك بالنتائج . . وما أجمل ما قاله **الشيخ محمد الغزالى** « ما أجمل أن يعيد الإنسان ترتيب تنظيم نفسه بين الحين والحين وأن يرسل النظرات ليعرف عيوبها وآفاتها وأن يرسم السياسات القصيرة المدى والطويلة ليتخلص من هذه الهنات التى تزرى به » . .

وأكرر ما ردده **عمر بن عبد العزيز** « **إنى لا أقول هذه المقالة** وما أعلم عند الله أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندى فاستغفر الله وأتوب إليه ولو أن المرء لا يعظ أخاه حتى يحكم نفسه إذًا لتواكل الناس الخير وإذا رفع الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر » .

لئنْ لمْ يعظ العَاصينْ مَنْ هُوَ مُذْنبٌ فَمَنْ يَعظ العَاصينْ بَعْدَ مُحَمَّدِ ؟!!

ومن القلب 

. . بين يديكم كلمات خرجت من قلب يحبكم . . فاقرؤا بعين جديدة وأطبعوا بصمه في أعماقكم لا تمحى والموعظة أمامكم لم تحبس الورقة معانيها . . ويا لها من موعظة لو صادفت من القلوب حياة . . **قليل من الاعتبار يرحمكم الله ..**

وجزاك الله خيرًا لتفويض الليث بن سعد « من أخذ منى صدقة أو هدية فحقه على أعظم من حقى عليه لأنه قبل منى قربانى إلى الله عز وجل » . .

وآخر سطر أردت أن أقول لك فيه وأكتبه لك بخط يدى . .

لا تنس صلاحية الكتاب بإغلاق دفتيه .. ولا تجعل بين ما قرأت وبين عملك حلقة مفقودة .. فما خططت كلماته إلا لتكون يد عون لك .. والدال على الخير كفاعله .. وأعد القراءة .. مرة واثنان وثلاث

ولتكن رفيقك في الدرب وزادك على الطريق ولا تحرم كاتبه من دعوة بظهر الغيب وإن كنت لا تراني ولا أراك فيكفينا حب القلوب وتكاتف أيادينا هاتفين: متى نلقى الأحبة محمدًا وحزبه ؟!

وعلى الحوض أول لقاء وعتبات الجنة يحلو العناق ونغرد مع الحبيب بنشيد

« الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله »

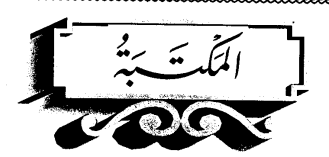
فتطرب الآذان بالنداء ..

« سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين »

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

شريف

هواة المراسلة
sherif4islam@yahoo.com
sherif4islam@hotmail.com



معلومة :

آثرت ألا أجعل للكتاب حواشى تخفيفًا وتسهيلاً لتكون قراءتك مستمرة وفكرك متصل كذلك لم أنقل رقم الصفحة أو الجزء مقتديًا بمن سبق ولا تثريب عليَّ . . وإليك مراجع الكتاب أسردها لمن تسره غزارة المعرفة ومن هو من هواة التطلع والبحث والاستزادة . .

• مكتبة القرآن وتفسيره :

* في ظلال القرآن .... سيد قطب
* تفسير القرآن العظيم ..... الإمام بن كثير

• مكتبة الحديث وشروحه :

اللؤلؤ والمرجان .... محمد عبد الباقى
رياض الصالحين .... النووى
مختصر صحيح مسلم .... الألبانى
صحيح الجامع الصغير .... الألبانى
السلسلة الصحيحة .... الألبانى
الروضة الناضرة ...... عبد الفتاح القاضى
جامع العلوم والحكم ..... ابن رجب الحنبلى
الأحاديث القدسية ..... دار التوزيع والنشر

• مكتبة الزهد والرقائق :

إغاثة اللهفان .... ابن القيم
الفوائد .... ابن القيم
حادى الأرواح .... ابن القيم
الوابل الصيب .... ابن القيم
الداء والدواء .... ابن القيم
عدة الصابرين .... ابن القيم
مدارج السالكين .... ابن القيم
المدهش .... ابن الجوزى
التبصرة .... ابن الجوزى
صيد الخاطر .... ابن الجوزى
بحر الدموع .... ابن الجوزى
بستان الواعظين .... ابن الجوزى
المواعظ والمجالس .... ابن الجوزى
اللطائف .... ابن الجوزى
إحياء علوم الدين .... أبو حامد الغزالى
أيها الولد .... أبو حامد الغزالى
مكاشفة القلوب .... أبو حامد الغزالى
منهاج العابدين .... أبو حامد الغزالى
رسالة المسترشدين ...... الحارث المحاسبى
التوهم .... الحارث المحاسبى
التوبة .... الحارث المحاسبى
الرعاية لحقوق الله ...... الحارث المحاسبى
محاسبة النفس .... ابن أبى الدنيا

• مكتبة السير والتراجم:

• مكتبة اللغة والأدب:







يا حبيبة رسول الله .. يا حبيب رسول الله ..

إن كنت لا تعبد الله إلا فى المواسم ولا يكن لك نصيب من الغنائم فاعلم بضعف إيمانك وذبول أعمالك ونقصان حسناتك أما من تلمحوا فجر الأجر وسحر أعينهم بريق الأرباح . . خافوا على أنفسهم من النار وانتقلوا بها إلى إرضاء الرحمن . .

ألهبت الغيرة قلوبهم على مكانتهم عند ربهم . . ومن هنا فقد ربح البيع فكن من العاقدين العزم والموقعين العقد على تنفيذ تلك الكلمات والملبين لتلك النداءات . .

ولكى تنبت الهداية جذورها فى قلبك وتروى ظمأ روحك . . كانت هذه المعاهدة وهى بتوقيعك عند الله فاستحضر صفاء ذهنك ودونها بخط يدك وعاودها مرات بعد مرات . .

وتذكر ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴾ [الإسراء: 36]

أعاهد الله :

1- .... 2 .... 3- ....

أعاهد الحبيب (ص) :

1- .... 2 .... 3- ....

أعاهد نفسى :

1- .... 2 .... 3- ....

أعاهدكم :

1- .... 2 .... 3- ....

يقول تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴾ [الإسراء: 34]

توقيـــع ..

(..................)

ومضة الختام

يقول ابن عباس :

« أنفس هو خالقها وأموال هو رازقها ثم يعطينا الجنة نعمت الصفقة الرابحة » .